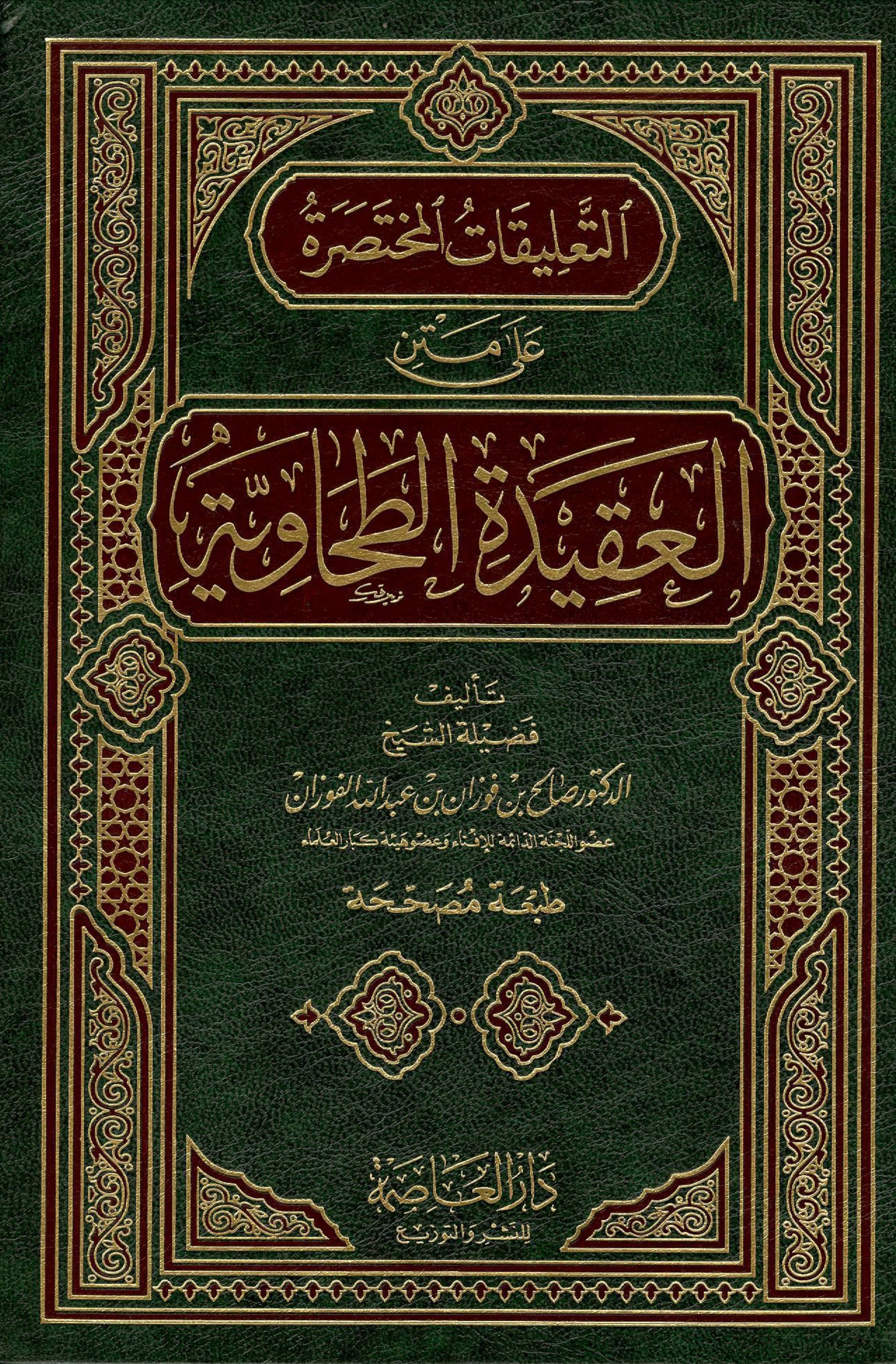


التعليقات المختصرة
على متن
العقيدة الطحاوية
تأليف
فضيلة الشيخ
الدكتور صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان
عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء
طبعة مصححة
دار العاصمة
للنشر والتوزيع

التعليقات المختصرة

على متن

العقيدة الطحاوية

تأليف

فضيلة الشيخ

الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذه تعليقات يسيرة على متن العقيدة الطحاوية، فُرِّغت من أشرطة الدروس التي ألقيتها على هذا المتن في الطائف، وقد راجعتها وأجريت عليها بعض التصحيحات والتعديلات، وأذنت بطبعها ونشرها، رجاء الاستفادة منها، ومن أدرك فيها خطأً حصل مني فأرجو أن ينبهني عليه، وله من الله المثوبة. وأسأل الله أن يجعل في هذا العمل ما ينفع المسلمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

١٣/٦/١٤٢١هـ

[متن العقيدة الطحاوية]

قال العلامةُ حجةُ الإسلامِ أبو جعفر الوراقُ الطَّحاويُّ ـ بمصْرَ ـ رحمهُ اللهُ:

[١] هذا ذكرُ بيانِ عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ على مذهبِ فقهاءِ الملةِ: أبي حنيفةَ النعمانِ بنِ ثابتٍ الكوفيِّ، وأبي يوسُفَ يعقوبَ بن إبراهيمَ الأنصاريّ، وأبي عبدِاللهِ محمدِ بن الحسنِ الشيبانيِّ رضوان اللهُ عليهم أجمعين، وما يعتقدون من أُصولِ الدِّين ويدينون به ربَّ العالمين.

[٢] نقُولُ في تَوحيدِ الله مُعتَقدينَ بتوفيقِ اللهِ: إنَّ الله واحدٌ لا شَريكَ لَهُ.

[٣] وَلا شيءَ مِثْلُهُ.

[٤] وَلاَ شَيْءَ يُعْجِزُهُ.

[٥] وَلا إِلٰهَ غَيْرُهُ.

[٦] قَديمٌ بلا ابتدَاء، دَائمٌ بلا انْتِهاء.

[٧] لا يَفنَى ولا يَبيدُ.

[٨] ولا يكونُ إلا ما يُريدُ.

[٩] لاتَبلُغُه الأَوْهَامُ.

[١٠] ولا تُدْركُهُ الأَفْهَامُ، وَلا يُشْبِهُ الأَنَامَ.

[١١] حَيٌّ لا يَمُوتُ.

[١٢] قَيُّومٌ لا يَنَامُ.

[١٣] خَالِقٌ بِلا حَاجَة، رَازِقٌ بلا مُؤْنَة.

[١٤] مُميتٌ بِلا مَخافَة.

[١٥] بَاعِثٌ بِلا مَشَقَّة..

[١٦] مَا زالَ بِصِفَاتِهِ قَديماً قَبْلَ خَلْقِهِ.

[١٧] لم يَزْدَدْ بكَوْنِهم شَيْئاً، لم يكنْ قَبلَهُم مِنْ صِفَتِه.

[١٨] وكما كانَ بصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كذلك لا يزالُ عَلَيْهَا أبديًّا.

[١٩] ليسَ بَعْدَ خَلْقِ الخَلْقِ اسْتَفَادَ اسمَ «الخَالِق».

[٢٠] ولا بإِحْدَاثِ البريَّةِ استفادَ اسمَ «الباري».

[٢١] له معنى الرُّبُوبيَّةِ ولا مَرْبُوب، ومعنى الخالق ولا مخلُوق.

[٢٢] وكما أَنَّه مُحيِي الموْتَى بَعْدَما أَحْيَا، استحقَّ هَذَا الاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهم، كذلِك استحقَّ اسْمَ الخَالِق قبلَ إِنْشَائِهم.

[٢٣] ذلك بأَنَّهُ على كلِّ شَيْءٍ قديرٌ.

[٢٤] وكلُّ شَيْءٍ إليهِ فَقِيرٌ.

[٢٥] وكلُّ أمْرٍ عَلَيْهِ يَسيرٌ.

[٢٦] لا يحتاجُ إلى شَيْءٍ.

[٢٧] ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾.

[٢٨] خَلَقَ الخَلْقَ بِعِلْمِهِ.

[٢٩] وَقَدَّرَ لهمْ أَقْدَاراً.

[٣٠] وَضَرَبَ لهم آجَالاً.

[٣١] ولم يَخْفَ عَليهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُم.

[٣٢] وعَلِمَ ما هُم عامِلون قبل أَن يَخلُقهم.

[٣٣] وأَمَرَهُم بطَاعَتِهِ، ونَهَاهُم عَنْ مَعْصِيتِهِ.

[٣٤] وَكُلُّ شَيءٍ يَجْرِي بتَقْدِيرِهِ.

[٣٥] ومَشيئتُهُ تَنْفُذُ، لا مَشِيئَةَ للعبادِ إلا ما شاءَ لهم، فما شاءَ لهم كان، وما لم يَشأ لم يَكُن.

[٣٦] يَهْدِي مَنْ يشاءُ، ويَعْصِمُ وُيَعافِي فَضْلاً، وَيُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَخْذِلُ ويَبْتلي عَدْلاً.

[٣٧] وكُلُّهُم يتقلَّبُون في مَشِيئتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعدْلِهِ.

[٣٨] وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الأَضدادِ والأَندَادِ.

[٣٩] لا رَادَّ لقضَائِهِ، ولا مُعَقِّبَ لحُكْمِه، ولا غالبَ لأَمرِهِ.

[٤٠] آمَنَّا بذلِك كُلِّه، وأَيْقنَّا أَنَّ كُلاًّ مِنْ عِنْدِه.

[٤١] وأَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ المصطَفى، ونبيُّه المجْتبى، ورَسُولُه المرْتضى.

[٤٢] وأَنَّه خَاتِمُ الأَنبياءِ، وإِمَامُ الأَتْقِياءِ، وسيِّدُ المرسَلينَ وحَبيبُ ربِّ العالَمين.

[٤٣] وكُلُّ دَعْوى النُّبوةِ بَعدَهُ فَغيٌّ وَهَوى.

[٤٤] وَهُو المبعوثُ إلى عَامَّةِ الجِنِّ وكَافَّةِ الوَرَى بالحقِّ والهُدَى، وبالنُّورِ والضِّياءِ.

[٤٥] وأَنَّ القرآنَ كَلامُ اللهِ.

[٤٦] مِنْه بَدَا بلاَ كَيْفِيَّةٍ قَوْلاً، وأَنْزَله على رَسُولِهِ وَحْياً.

[٤٧] وَصدَّقهُ المؤمنون عَلى ذلك حَقًّا.

[٤٨] وأَيْقَنُوا أنه كلامُ اللهِ تعالى بالحقيقةِ.

[٤٩] ليس بمخلوقٍ ككلامِ البَرِيَّةِ.

[٥٠] فمن سمِعَهُ فزَعَمَ أنَّه كلامُ البشرِ، فَقَدْ كَفرَ.

[٥١] وَقَدْ ذمَّهُ اللهُ وعابَهُ وأوعَدهُ بسَقَر، حيث قال تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المدّثر: ٢٦].

[٥٢] فَلمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرٍ لمنْ قال: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ عَلِمْنَا وأَيْقنَّا أنه قولُ خالقِ البَشرِ.

[٥٣] ولا يُشْبِهُ قولَ البَشَرِ.

[٥٤] وَمَنْ وَصَفَ اللهَ بمعنًى مِنْ مَعاني البشرِ، فقدْ كَفَرَ.

[٥٥] فمن أَبْصَرَ هذا اعْتبَرَ.

[٥٦] وعَنْ مِثْلِ قولِ الكفَّارِ انْزَجرَ.

[٥٧] وعَلِمَ أنَّه بصفاته ليسَ كالبشرِ.

[٥٨] والرؤْيةُ حقٌّ لأَهلِ الجَنَّةِ، بغَيْرِ إحَاطَةٍ ولا كَيْفِيَّةٍ.

[٥٩] كما نَطَقَ به كِتَابُ ربِّنا: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٦٠] وتَفْسيرُهُ عَلى ما أرادَهُ اللهُ تَعالَى وَعَلِمَه.

[٦١] وكلُّ ما جاءَ في ذَلِكَ مِنَ الحديثِ الصَّحيحِ عَنِ الرسولِ صلَّى عليه وآله وسلَّم فهو كما قال.

[٦٢] وَمَعناهُ على ما أرادَ.

[٦٣] لاَ نَدْخلُ في ذلك مُتَأَوِّلينَ بآرائِنا، ولا مُتوَهِّمينَ بأَهْوائِنا.

[٦٤] فإنَّهُ مَا سَلِمَ في دينه إلاَّ مَنْ سَلَّمَ للهِ عزَّ وَجَلَّ ولرسُولِه صلَّى اللهُ

عليه وعلى آله وسلَّم.

[٦٥] وردَّ عِلْمَ ما اشْتبَهَ عَلَيْهِ إلى عَالِمِهِ.

[٦٦] ولا تَثْبُتُ قَدَمُ الإسلامِ إلاَّ على ظَهْرِ التَّسْليمِ والاسْتِسْلاَمِ.

[٦٧] فمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُه، ولم يَقنعْ بالتَّسليمِ فَهْمُهُ، حَجَبَه مَرامُهُ عَنْ خَالصِ التَّوحِيدِ، وصَافي المعرِفةِ، وصَحيحِ الإيمانِ.

[٦٨] فيتَذبْذَبُ بينَ الكُفرِ والإيمانِ، والتَّصْدِيقِ والتَّكْذيبِ، والإقْرَارِ والإنكارِ.

[٦٩] مُوَسْوِساً تَائِهاً، شَاكًّا، لا مُؤْمِناً مُصَدِّقاً، ولا جَاحداً مُكَذِّباً.

[٧٠] وَلا يَصحُّ الإيمانُ بالرُّؤْيةِ لأَهْلِ دارِالسَّلامِ لِمن اعْتبَرهَا مِنْهُم بِوَهْم أَوْ تأَوَّلَها بِفَهْمٍ.

[٧١] إذْ كانَ تأويلُ الرؤْيةِ وتأويلُ كلِّ مَعْنَىً يُضَافُ إلى الرُّبُوبيَّةِ بِترْكِ التَّأْويلِ ولُزوم التَّسْلِيمِ.

[٧٢] وعليه دينُ المسْلِمين.

[٧٣] ومن لم يَتَوقَّ النَّفْيَ والتشْبِيهَ، زلَّ ولمْ يُصِبِ التنْزِيهَ.

[٧٤] فَإنَّ ربَّنا جَلَّ وعَلا موصوفٌ بصفاتِ الوحْدَانِيَّةِ.

[٧٥] مَنْعوت بنعُوتِ الفَرَدَانِيَّةِ. ليسَ في معناهُ أحَدٌ من البَرِيَّةِ.

[٧٦] وتَعالَى عَنِ الحدُودِ والغَاياتِ، والأَرْكانِ والأَعْضَاءِ والأدَواتِ.

[٧٧] لا تَحويهِ الجِهاتُ السِّتُّ كسَائِرِ المُبْتَدَعَاتِ.

[٧٨] والمِعْرَاجُ حقٌّ، وقَدْ أُسْرِيَ بالنَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم.

[٧٩] وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ في اليَقَظَةِ إلى السَّماءِ.

[٨٠] ثُمَّ إلى حيث شاءَ الله مِنَ العُلا. وأكْرمَهُ الله بِمَا شَاءَ.

[٨١] وأوْحَى إليْهِ مَا أَوْحَى ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾.

[٨٢] فَصَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ في الآخِرَةِ والأُولَى.

[٨٣] والحوْضُ الذِي أكرَمَهُ الله تعالَى به ـ غِيَاثًا لأُمَّتِهِ ـ حَقٌّ.

[٨٤] والشفَاعَةُ التي ادَّخَرَها لَهُم حَقٌّ، كما رُوِيَ في الأخْبارِ.

[٨٥] والميثاقُ الذي أخذَهُ الله تعالَى مِنْ آدمَ وذُريَّتِهِ حَقٌّ.

[٨٦] وقَدْ عَلِمَ الله تعالَى فِيما لم يزلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ، وعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النارَ جُمْلَةً واحِدَةً، فَلا يزْدَادُ في ذلك العَدَدُ، ولا يَنقُصُ مِنْهُ.

[٨٧] وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُم فِيمَا عَلِمَ مِنْهُم أَنْ يفْعلُوه.

[٨٨] وكُلٌّ مُيَسرٌ لما خُلِقَ له.

[٨٩] والأَعْمَالُ بالخَواتِيمِ.

[٩٠] والسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بقضَاءِ اللهِ، والشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بقضَاءِ اللهِ.

[٩١] وأصلُ القَدَرِ سِرُّ الله تعالى في خَلْقِه.

[٩٢] لمْ يَطَّلِعْ عَلى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نَبيٌّ مُرْسَلٌ.

[٩٣] والتعَمُّقُ والنَّظَرُ في ذلكَ ذَرِيعَةُ الخِذْلاَنِ، وَسُلَّمُ الحِرْمَانِ، ودَرَجَةُ الطُّغْيَانِ.

[٩٤] فالحذَرَ كُلَّ الحذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَراً وفِكْراً وَوَسْوَسَةً.

[٩٥] فإن الله تعالى طَوَى عِلْمَ القَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ.

[٩٦] وَنَهَاهُم عَنْ مرامِهِ.

[٩٧] كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

[٩٨] فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَابِ.

[٩٩] وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَاب كانَ مِنَ الكافِرين.

[١٠٠] فَهَذَا جُمْلَةُ ما يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ هُو مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلياءِ اللهِ تعالى.

[١٠١] وهي دَرَجَةُ الرَّاسِخينَ في العِلْمِ.

[١٠٢] لأنَّ العِلْمَ علمَان: عِلْمٌ في الخَلْقِ مَوْجُودٌ، وَعِلْمٌ في الخَلْقِ مَفْقُودٌ.

[١٠٣] فإنكارُ العِلْمِ الموْجُودِ كُفْرٌ، وادّعَاءُ العِلمِ المفقودِ كُفْرٌ.

[١٠٤] ولا يَثْبُتُ الإيمانُ إلا بِقَبُولِ العِلمِ الموجودِ، وترْكِ طَلَبِ العِلْمِ المفْقُودِ.

[١٠٥] ونُؤْمِنُ باللَّوحِ والقَلَمِ وبِجَميعِ مَا فيه قَدْ رُقِم.

[١٠٦] فَلو اجتمعَ الخَلْقُ كلُّهم على شَيْءٍ كتبَهُ الله تَعالى فِيه أَنَّهُ كَائِنٌ، لِيجْعَلوهُ غَيْرَ كَائِن ـ لمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ.

ولو اجْتَمَعُوا كُلُّهم عَلى شَيْءٍ لمْ يكْتُبه الله تعالى فيه، ليجعلُوهُ كَائِناً ـ لم يَقدرُوا عَلَيْه.

[١٠٧] جَفَّ القَلَمُ بما هُوَ كَائِنٌ إلى يَوْمِ القِيامَة، ومَا أَخْطأَ العَبْدُ لمْ يَكُنْ ليُصِيبَهُ، وما أَصَابَهُ لمْ يَكُن ليُخْطِئَهُ.

[١٠٨] وعَلَى العَبْدِ أن يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائنٍ مِنْ خَلْقِه.

[١٠٩] فَقَدَّرَ ذلكَ تقْدِيراً مُحْكَماً مُبْرَماً.

[١١٠] ليسَ فيه نَاقِضٌ، وَلاَ مُعَقِّبٌ، وَلاَ مُزِيلٌ، ولا مُغيرٌ، ولا نَاقِصٌ ولا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ في سَمَاوَاتهِ وأَرْضِه.

[١١١] وذلكَ مِنْ عُقَدِ الإيمَانِ، وأُصُولِ المعْرِفَةِ.

[١١٢] والاعْتَرافِ بتوْحيدِ الله تعالى ورُبُوبيَّتِه، كما قالَ تعالى في كتابهِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝٢﴾، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾.

[١١٣] فَويْلٌ لمنْ صَارَ للهِ تَعالى في القَدَرِ خَصِيماً.

[١١٤] وأحْضَرَ للنَّظَرِ فيهِ قَلْباً سَقِيماً.

[١١٥] لَقَدِ الْتَمَسَ بوهْمِهِ في فَحْصِ الغَيْبِ سِرًّا كَتِيماً.

[١١٦] وَعادَ بما قالَ فيهِ أَفَّاكاً أَثِيماً.

[١١٧] والعرشُ والكرسِيُّ حَقٌّ.

[١١٨] وهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ العرشِ ومَا دُونَه.

[١١٩] مُحِيطٌ بِكُلِّ شيْءٍ وفَوْقَهُ.

[١٢٠] وقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الإحَاطَةِ خَلْقَهُ.

[١٢١] ونَقُولُ: إنَّ اللهَ اتخَذَ إبْرَاهيمَ خَلِيلاً، وكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً، إيمَاناً وتَصْدِيقاً وتَسْلِيماً.

[١٢٢] ونؤْمِنُ بالملائكةِ والنَّبيين.

[١٢٣] والكُتُبِ المنزَّلَةِ عَلى المرْسَلينَ ونَشْهَدُ أنَّهُم كانوا على الحَقِّ المبين.

[١٢٤] ونُسمِّي أهْلَ قِبْلَتِنا مسلِمينَ مؤْمِنِينَ.

[١٢٥] مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، ولهُ بِكُلِّ ما قَالَهُ وأَخْبَرَ مُصَدِّقِين.

[١٢٦] ولا نَخُوضُ في اللهِ، ولا نُمارِي في دينِ اللهِ.

[١٢٧] ولا نُجَادِلُ في القرآنِ، ونَشْهدُ أَنَّهُ كلامُ ربِّ العالمينَ.

[١٢٨] نَزَلَ به الروحُ الأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سيِّدَ المرسلين مُحَمَّداً صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم.

[١٢٩] وهو كَلَامُ اللهِ تَعَالى لا يُساوِيه شيءٌ مِنْ كلامِ المخْلُوقِين.

[١٣٠] ولا نَقُولُ بخَلْقِهِ، وَلا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ المُسْلِمينَ.

[١٣١] ولا نُكَفِّرُ أَحَداً مِن أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ.

[١٣٢] وَلا نَقُولُ: لا يَضُرُّ مَعَ الإِيمَانِ ذَنْبٌ لمنْ عَمِلَه.

[١٣٣] ونَرْجُو للمُحْسِنينَ مِنَ المُؤْمِنين أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُم ويُدْخِلَهُم الجَنَّةَ بِرَحْمتِهِ، ولا نَأْمَنُ عَلَيْهِم، ولا نشْهدُ لهم بالجَنَّةِ.

[١٣٤] ونَستَغْفِرُ لمُسِيئِهِم، ونَخَافُ عَلَيْهِم، وَلا نُقَنِّطُهُم.

[١٣٥] والأَمْنُ والإِياسُ يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الإِسْلَامِ.

[١٣٦] وَسَبِيلُ الحقِّ بَيْنَهُمَا لأَهلِ القِبْلَةِ.

[١٣٧] ولا يَخْرُجُ العبْدُ مِنَ الإِيمَانِ إلا بجُحُودِ ما أَدْخَلَهُ فيه.

[١٣٨] والإيمانُ: هوَ الإِقْرارُ باللِّسَانِ، والتصديقُ بالجَنَانِ.

[١٣٩] وَجَمِيعُ ما صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم مِنَ الشَّرْعِ والبَيانِ كُلُّه حَقٌّ.

[١٤٠] وَالإِيمانُ وَاحِدٌ.

[١٤١] وأَهْلُهُ في أَصْلِهِ سَوَاءٌ، والتَّفَاضُلُ بَيْنَهُم بالخَشْيَةِ والتُّقَى،

ومُخَالَفةِ الهَوى، ومُلازَمَةِ الأُولى.

[١٤٢] والمؤمِنُونَ كُلُّهُم أَوْلياءُ الرَّحْمنِ، وأَكْرَمُهُم عِنْدَ اللهِ أَطْوَعُهُم وَأَتْبعُهُم لِلقُرْآنِ.

[١٤٣] والإِيمانُ: هوُ الإِيمانُ باللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، واليومِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ: خَيْرِه وشَرِّهِ، وحُلْوِهِ ومُرِّهِ، مِنَ الله تَعَالَى.

[١٤٤] ونَحْنُ مُؤْمِنُون بِذَلِكَ كُلِّهِ

[١٤٥] لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، ونُصَدِّقُهُم كُلَّهُمْ عَلى مَا جَاءوا به.

[١٤٦] وَأَهْلُ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلّم فِي النَّارِ لا يُخَلَّدُون، إِذَا مَاتُوا وهُمْ مُوحِّدُونَ.

[١٤٧] وإِنْ لم يَكُونُوا تَائِبينَ، بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ «مُؤْمِنينَ» وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وحُكْمِهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لهُمْ وَعَفَا عَنْهُم بِفَضْلِه، كما ذكرَ عَزَّ وجَلَّ في كتابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُم فِي النَّارِ بِعَدْلِه.

[١٤٨] ثُمَّ يُخْرِجُهُم مِنْهَا بِرَحْمَتِه وَشفَاعَةِ الشَّافِعينَ مِن أَهْلِ طَاعَتِه.

[١٤٩] ثُمَّ يَبْعثُهُم إلى جَنَّتِهِ.

[١٥٠] وَذلِكَ بِأَن الله تعالى تولَّى أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُم فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِه، الذينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ، ولمْ يَنَالُوا مِنْ وِلاَيَتِهِ.

[١٥١] اللَّهُمَّ يا وَلِيَّ الإِسْلامِ وَأَهْلِهِ، ثَبِّتْنَا عَلى الإِسْلامِ حَتَّى نَلْقَاكَ به.

مَاتَ مِنْهُم.

[١٥٣] وَلاَ نُنَزِّلُ أَحداً مِنْهُم جَنَّةً ولا ناراً.

[١٥٤] ولاَ نَشْهَدُ عَلَيْهِم بِكُفْرٍ وَلا بشْرِكٍ وَلا بِنفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُم شَيءٌ مِنْ ذَلك.

[١٥٥] وَنَذَرُ سَرَائِرَهُم إلى الله تعالى.

[١٥٦] وَلا نَرى السَّيْفَ عَلى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلم إلاَّ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ.

[١٥٧] وَلاَ نَرى الخُرُوجَ عَلى أَئِمتِنَا وَوُلاَةِ أُمُورِنَا.

[١٥٨] وَإِنْ جَارُوا.

[١٥٩] وَلاَ نَدْعُو عَلَيْهِم.

[١٦٠] وَلاَ نَنْزِعُ يَداً مِنْ طَاعَتِهِم.

[١٦١] وَنَرى طَاعَتَهُم منْ طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَريضةً، مَا لَمْ يَأمُروا بمعْصيَةٍ.

[١٦٢] وَندْعو لَهُم بِالصَّلاحِ والمعَافَاةِ.

[١٦٣] ونَتَّبِعُ السُّنَّةَ والجَمَاعَة، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ والخِلاَفَ والفُرْقَةَ.

[١٦٤] وَنُحِبُّ أَهْلَ العَدْلِ والأَمَانَةِ، وَنَبْغَضُ أَهْلَ الجوْرِ والخِيَانَةِ.

[١٦٥] وَنقُولُ: اللهُ أَعْلَمُ، فيما اشْتُبِهَ عَلَيْنَا عِلْمُه.

[١٦٦] وَنَرى الْمسْحَ عَلى الخُفَّيْنِ، فِي السَّفَرِ والحَضَرِ، كَمَا جَاءَ في الأَثَرِ.

[١٦٧] وَالحَجُّ والجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولي الأَمْرِ مِنَ المُسْلِمينَ:

بَرِّهم وفَاجِرِهم، إلى قِيامِ السَّاعةِ، لا يُبْطِلُهُما شَيْءٌ ولا يَنْقُضُهُمَا.

[١٦٨] وَنؤْمِنُ بالكِرَامِ الكَاتِبينَ، فَإِنَّ الله قَدْ جَعَلَهُم عَلَيْنَا حَافِظين.

[١٦٩] وَنُؤْمِنُ بمَلَكِ الموْتِ، الموكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ العَالَمينَ.

[١٧٠] وَبعَذابِ القبْرِ لمنْ كَانَ لَهُ أَهْلاً، وسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنكِيرٍ في قَبْرِه عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبيِّهِ، عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم، وَعنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم.

[١٧١] وَالقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ.

[١٧٢] وَنُؤْمِنُ بِالبَعْثِ وَجزَاءِ الأَعْمَالِ يَوْمَ القِيامَةِ، والعَرْضِ والحِسَابِ، وقِراءَةِ الكِتَابِ، والثَّوَابِ والعِقَابِ، والصِّرَاطِ والمِيزَانِ.

[١٧٣] وَالجَنَّةُ والنَّارُ مَخْلوقَتَانِ، لا تَفْنَيانِ أَبداً وَلاَ تَبيدانِ.

[١٧٤] وأَنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ الجَنَّةَ والنَّارَ قَبْلَ الخَلْقِ، وَخَلَقَ لهُما أَهْلاً.

[١٧٥] فَمَنْ شَاءَ مِنْهُم إلى الجَنَّةِ فَضْلاً مِنْهُ. وَمَنْ شَاءَ مِنْهُم إلى النَّارِ عَدْلاً مِنْهُ.

[١٧٦] وَكُلٌّ يَعْمَلُ لما قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إلى مَا خُلِقَ لَهُ.

[١٧٧] والخَيْرُ والشَرُّ مُقَدَّرَانِ عَلى العِبَادِ.

[١٧٨] والاسْتِطاعَةُ التي يَجبُ بِهَا الفِعْلُ، مِنْ نَحْوِ التَّوفِيقِ الَّذِي لا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ المخْلُوقُ بهِ ـ فَهِيَ مَعَ الفِعْلِ، وأَمَّا الاسْتِطَاعَةُ مِنْ

جِهَةِ الصِّحَةِ والوُسْعِ، والتَّمَكُّنِ وَسَلامَةِ الآلاتِ - فَهِيَ قَبْلَ الفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الخِطَابُ، وهُوَ كَمَا قالَ تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

[١٧٩] وَأَفْعَالُ العِبَادِ خَلْقُ اللهِ، وكَسْبٌ مِنَ العِبَادِ.

[١٨٠] ولمْ يُكَلِّفْهُم اللهُ تعالى إلاَّ مَا يُطِيقُون.

[١٨١] وَلا يُطيقُونَ إلاَّ مَا كَلَّفَهُمْ.

[١٨٢] وَهُو تَفْسِيرُ: «لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ». نقول: لا حِيلَةَ لأَحَدٍ، وَلاَ حَرَكَةَ لأَحَدٍ ولاتَحوُّلَ لأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إلاَّ بِمَعونَةِ اللهِ، وَلاَ قُوَّةَ لأَحَدٍ على إقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ والثَّباتِ عَلَيْهَا إلاَّ بتَوفِيقِ الله.

[١٨٣] وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بمَشيئَةِ اللهِ تعالَى وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ.

[١٨٤] غلَبَتْ مَشِيئَتُهُ المشيئَاتِ كُلَّهَا.

[١٨٥] وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الحِيَلَ كُلَّهَا.

[١٨٦] يَفعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُو غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَداً، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سوءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ.

[١٨٧] ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

[١٨٨] وفي دُعاءِ الأَحْياءِ وَصَدَقَاتِهم مَنْفعةٌ لِلأَمْواتِ.

[١٨٩] واللهُ تعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَواتِ، وَيَقْضِي الحَاجَاتِ.

[١٩٠] وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلاَ يَمْلِكُهُ شَيْءٌ.

[١٩١] وَلاَ غِنَى عَنِ اللهِ تَعَالى طَرْفَةَ عَيْنٍ

[١٩٢] وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ.

[١٩٣] واللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى، لاَ كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَى.

[١٩٤] وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم.

[١٩٥] وَلاَ نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُم.

[١٩٦] وَلاَ نَتبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُم.

[١٩٧] وَنُبْغِضُ مَن يُبْغِضُهُم.

[١٩٨] وَبِغَيْرِ الخَيْرِ يَذْكُرُهُم، ولا نَذْكُرُهُم إلاَّ بِخَيْرٍ.

[١٩٩] وَحُبُّهُم دِينٌ وإِيمَانٌ وإِحْسَانٌ، وبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ.

[٢٠٠] وَنُثْبِتُ الخِلاَفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم: أَوَّلاً لأبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، تَفْضِيلاً لَهُ وتَقْدِيماً عَلَى جَمِيعِ الأُمَّةِ، ثُمَّ لعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ، ثُم لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ لِعَلِيٍّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهُمُ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ والأَئِمَّةُ المُهْتَدُون.

[٢٠١] وَأَنَّ العَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُم رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم وَبشَّرَهُم بِالجَنَّةِ، عَلَى مَا شَهِدَ لَهُم رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم، وَقَوْلُهُ الحقُّ، وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، والزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُ الرَّحمنِ بنُ عَوْفٍ، وأَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أَجْمَعِين.

[٢٠٢] وَمَنْ أَحْسَنَ القَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، وأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاته المقدسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ؛ فَقَدْ بَرِىءَ مِنَ النِّفَاقِ.

[٢٠٣] وعُلماءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابقينَ، وَمَنْ بعْدَهُم مِنَ التَّابعينَ - أَهْلُ الخَيْرِ والأَثَرِ، وَأَهْلُ الفِقْهِ والنَّظَرِ - لا يُذكَرونَ إلاَّ بالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكرهُم بسُوءٍ فَهُو عَلى غَيْرِ السَّبيلِ.

[٢٠٤] وَلا نُفَضِّلُ أَحَداً مِنَ الأَوْلِيَاءِ عَلى أَحَدٍ مِنَ الأَنْبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ، ونقولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ.

[٢٠٥] وَنُؤمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِم، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِم.

[٢٠٦] وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ: مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّالِ.

[٢٠٧] ونُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ السّماءِ.

[٢٠٨] وَنُؤمِنُ بطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا.

[٢٠٩] وَخُرُوجِ دَابَّةِ الأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا.

[٢١٠] وَلاَ نُصَدِّقُ كَاهِناً وَلا عَرَّافاً.

[٢١١] وَلاَ مَنْ يَدَّعِي شَيْئاً يُخَالِفُ الكِتَابَ والسُّنَّةَ وإجْمَاعَ الأُمَّةِ.

[٢١٢] وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَاباً، والفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا.

[٢١٣] وَدِينُ الله في الأَرضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ، وهُو دينُ الإِسْلاَمِ.

[٢١٤] قال اللهُ تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾. وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

[٢١٥] وَهُو بَيْنَ الغُلُوِّ والتَّقْصِيرِ.

[٢١٦] وَبَيْنَ التَّشْبيهِ والتَّعْطِيلِ.

[٢١٧] وَبَيْنَ الْجَبْرِ والقَدَرِ.

[٢١٨] وَبَيْنَ الأَمْنِ والإِياسِ.

[٢١٩] فَهَذا دينُنَا واعْتِقَادُنَا ظَاهِراً وَبَاطناً. ونَحْنُ بَرَاءٌ إلى الله مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ.

[٢٢٠] وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلى الإيمانِ، ويَخْتِمَ لَنَا بِهِ.

[٢٢١] ويَعْصِمَنَا مِنَ الأَهْوَاءِ المخْتَلِفَةِ، والآرَاءِ المتفَرِّقَةِ.

[٢٢٢] والمذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ.

[٢٢٣] مِثْلَ المشَبِّهَةِ.

[٢٢٤] والمعْتَزِلَةِ، والجَهْمِيَّةِ.

[٢٢٥] والجَبْرِيَّةِ.

[٢٢٦] والقَدَرِيَّةِ.

[٢٢٧] وَغَيْرِهم، مِنَ الّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ والجَمَاعَةَ، وَحَالفُوا الضَّلاَلَةَ.

[٢٢٨] ونَحْنُ مِنْهُم بَرَاءٌ، وَهُمْ عِنْدَنا ضُلاَّلٌ وأَرْدِيَاءُ. وبِاللهِ العِصْمَةُ والتَّوْفِيقُ.

❊ ❊ ❊

قال العلامةُ حجةُ الإسلامِ أبو جعفر الوراقُ الطَّحاويُّ - بمصْرَ - رحمهُ اللهُ:

[١] هذا ذكرُ بيانِ عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ على مذهبِ فقهاءِ الملةِ: أبي حنيفةَ النعمانِ بنِ ثابتٍ الكوفيِّ، وأبي يوسُفَ يعقوبَ بن إبراهيمَ الأنصاريّ، وأبي عبدِاللهِ محمدِ بن الحسنِ الشيبانيِّ رضوان اللهُ عليهم أجمعين، وما يعتقدون من أُصولِ الدِّين ويدينون به ربَّ العالمين.

---

[١] بسم الله الرحمن الرحيم
والحمد لله رب العالمين
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد: فإن العقيدة هي أساس الدِّين، وهي مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والركن الأول من أركان الإسلام(١)، فيجب الاهتمام بها والعناية بها ومعرفتها، ومعرفة ما يخل بها، حتى يكون الإنسان على بصيرة، وعلى عقيدة صحيحة؛ لأنه إذا قام الدين على أساس صحيح صار ديناً قيماً مقبولاً عند الله، وإذا قام على عقيدة مهزوزة ومضطربة، أو عقيدة فاسدة،

---

(١) لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُنِيَ الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان**».
أخرجه البخاري رقم (٨) ومسلم رقم (١٦).

....

صار الدِّين غير صحيح، وعلى غير أساس، ومن ثم كان العلماء ـ رحمهم الله ـ يهتمون بأمر العقيدة ولا يفترون في بيانها في الدروس وفي المناسبات، ويرويها المتأخر عن المتقدم.

كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ليس عندهم أي شك فيما جاء به القرآن وما جاءت به سنة رسول الله، ﷺ، فكانت عقيدتهم مبنية على كتاب الله وسنة رسول الله، ﷺ، ولا يعتريهم في ذلك شك ولا توقف، فما قاله الله وقاله رسوله ﷺ اعتقدوه ودانوا به، ولم يحتاجوا إلى كتابة تأليف؛ لأن هذا مسلّم به عندهم ومقطوع به، وكانت عقيدتهم الكتاب والسنة، ثم درج على ذلك تلاميذهم من التابعين الذين أخذوا عنهم، فلم يكن هناك أخذ وردّ في العقيدة، كانت قضية مسلمة، وكان مرجعهم الكتاب والسنة.

فلما ظهرت الفرق والاختلافات، ودخل في الدِّين من لم ترسخ العقيدة في قلبه، أو دخل في الإسلام وهو يحمل بعض الأفكار المنحرفة، ونشأ في الإسلام من لم يرجع إلى الكتاب ولا إلى السنة في العقيدة، وإنما يرجع إلى قواعد ومناهج أصَّلها أهل الضلال من عند أنفسهم، عند هذا احتاج أئمة الإسلام إلى بيان العقيدة الصحيحة وتحريرها وكتابتها وروايتها عن علماء الأمة، فدوَّنوا كتب العقائد، واعتنوا بها، وصارت مرجعاً لمن يأتي بعدهم

....

من الأمة إلى أن تقوم الساعة.

وهذا من حفظ الله تعالى لهذا الدين، وعنايته بهذا الدين، أن قيَّض له حملة أمناء يبلغونه كما جاء عن الله وعن رسوله، ويردون تأويل المبطلين وتشبيه المشبهين، وصاروا يتوارثون هذه العقيدة خلفاً عن السلف.

ومن جملة السلف الصالح الذين كانوا على الاعتقاد الثابت عن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين، من جملتهم الأئمة الأربعة الإمام أبو حنيفة، والإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد، وغيرهم من الأئمة الذين قاموا بالدفاع عن العقيدة وتحريرها، وبيانها وتعليمها للطلاب.

وكان أتباع الأئمة الأربعة يعتنون بهذه العقيدة، ويتدارسونها ويُحفِّظُونها لتلاميذهم، وكتبوا فيها الكتب الكثيرة على منهج الكتاب والسنة، وما كان عليه المصطفى، ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم والتابعون، وردوا العقائد الباطلة والمنحرفة، وبيَّنوا زيفها وباطلها، وكذلك أئمة الحديث: كإسحاق بن راهويه، والبخاري، ومسلم، والإمام ابن خزيمة، والإمام ابن قتيبة، ومن أئمة التفسير: كالإمام الطبري، والإمام ابن كثير، والإمام البغوي، وغيرهم من أئمة التفسير.

وألفوا في هذا مؤلفات يسمونها بكتب السنة، مثل كتاب

....

السنة لابن أبي عاصم، وكتاب السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل، والسنة للخلال، والشريعة للآجري، وغير ذلك.

ومن جملة هؤلاء الأئمة الذين كتبوا في عقيدة السلف: الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي[(١)]، من علماء القرن الثالث بمصر، وسمي بالطحاوي نسبة لبلدة في مصر، فكتب هذه العقيدة المختصرة النافعة المفيدة.

وكُتِبَتْ عليها شروح، حوالي سبعة شروح، ولكن لا تخلو من أخطاء؛ لأن الذين ألّفوها كانوا على منهج المتأخرين، فلم تخلُ شروحهم من ملاحظات ومخالفة لما في عقيدة الطحاوي، إلا شرحاً واحداً فيما نعلم، وهو شرح العز بن أبي العز رحمه الله[(٢)]، المشتهر بشرح الطحاوية، وهذا من تلاميذ ابن كثير فيما يظهر، وقد ضمّن شرحه هذا منقولات من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن كتب ابن

---

(١) الإمام العلامة الحافظ الكبير محدث الديار المصرية وفقيهها، برز في علم الحديث والفقه وجمع وصنف، وكان ثقة ثبتاً فقيهاً عاقلاً لم يخلف مثله، ومن نظر في تواليف هذا الإمام علم محلة من العلم وسعة معارفه، توفي سنة ٣٢١هـ رحمه الله تعالى. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧ ـ ٣٣).

(٢) هو الإمام العلامة صدر الدين أبو الحسن علي بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الأذرعي الصالحي نشأ رحمه الله في أسرة ذات نباهة وذكر وتتلمذ على الحافظ ابن كثير ونصر أقوال ابن تيمية وابن القيم رحمهم الله جميعاً.

....

القيم، ومن كتب الأئمة، فهو شرح حافل، وكان العلماء يعتمدون عليه ويعتنون به؛ لنقاوته وصحة معلوماته، فهو مرجع عظيم من مراجع العقيدة، والمؤلف ـ كما ذكَرَ ـ ألَّف هذه العقيدة على مذهب أهل السنة عموماً، ومنهم الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، فهو أقدم الأئمة الأربعة وأدرك التابعين وروى عنهم.

وكذلك صاحباه أبو يوسف، ومحمد الشيباني، وأئمة المذهب الحنفي.

ذكر عقيدتهم، وأنها موافقة لمذهب أهل السنة والجماعة، وفي هذا ردٌّ على المنتسبين إلى الحنفية في الوقت الحاضر أو في العصور المتأخرة، ينتسبون إلى الحنفية ويخالفون أبا حنيفة في العقيدة، فهم يمشون على مذهبه في الفقه فقط، ويخالفونه في العقيدة، فيأخذون عقيدة أهل الكلام والمنطق، وكذلك حدث في الشافعية المتأخرين منهم يخالفون الإمام الشافعي في العقيدة، وإنما ينتسبون إليه في الفقه، كذلك كثير من المالكية المتأخرين ليسوا على عقيدة الإمام مالك، لكنهم يأخذون من مذهب مالك في الفقه فقط، أما العقيدة فهم أصحاب طرق وأصحاب مذاهب متأخرة.

ففي هذه العقيدة ردٌّ على هؤلاء وأمثالهم ممن ينتسبون إلى الأئمة،

[٢] نقُولُ في تَوحيدِ الله مُعتَقَدينَ بتوفيقِ اللهِ: إنَّ الله واحدٌ لا شَريكَ لَهُ.

ويتمذهبون بمذاهب الأئمة الأربعة، ويخالفونهم في العقيدة، كالأشاعرة: ينتسبون إلى الإمام أبي الحسن الأشعري في مذهبه الأول، ويتركون ما تقرر واستقر عليه أخيراً من مذهب أهل السنة والجماعة، فهذا انتساب غير صحيح؛ لأنهم لو كانوا على مذهب الأئمة لكانوا على عقيدتهم.

[٢] نقول، أي؛ نعتقد في توحيد الله عز وجل.

والتوحيد لغة: مصدر وحّد: إذا جعل الشيء واحداً.

وشرعاً: إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، وترك عبادة ما سواه.

وأقسامه ثلاثة بالاستقراء من كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ، وهذا ما تقرر عليه مذهب أهل السنة والجماعة، فمن زاد قسماً رابعاً أو خامساً فهو زيادة من عنده؛ لأن الأئمة قسَّموا التوحيد إلى أقسام ثلاثة من الكتاب والسنة.

فكل آيات القرآن والأحاديث في العقيدة لا تخرج عن هذه الأقسام الثلاثة.

الأول: توحيد الربوبية: وهو توحيد الله تعالى وإفراده بأفعاله: كالخلق، والرزق، والإحياء والإماتة، وتدبير الكون، فليس هناك رب سواه سبحانه وتعالى، رب العالمين.

القسم الثاني: توحيد الألوهية أو توحيد العبادة؛ لأن الألوهية

....

معناها عبادة الله عز وجل بمحبته وخوفه ورجائه، وطاعة أمره، وترك ما نهى عنه فهو إفراد الله تعالى بأفعال العباد التي شرعها لهم.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات: وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وتنزيهه عما نزَّه عنه نفسه، ونزّهه عنه رسوله ﷺ من العيوب والنقائص.

فكل الآيات التي تتحدّث عن أفعال الله فإنّها في توحيد الربوبية، وكل الآيات التي تتحدّث عن العبادة والأمر بها والدعوة إليها فإنها في توحيد الألوهية.

وكل الآيات التي تتحدّث عن الأسماء والصفات لله عز وجل فإنها في توحيد الأسماء والصفات.

وهذه الأقسام الثلاثة المطلوب منها هو توحيد الألوهية؛ لأنه هو الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب، وقام من أجله الجهاد في سبيل الله، حتى يُعبد الله وحده، وتُترك عبادة ما سواه.

وأما توحيد الربوبية ومنه توحيد الأسماء والصفات فلم ينكره أحد من الخلق، وذكر الله سبحانه وتعالى ذلك في آيات كثيرة، ذكر أن الكفار مُقِرُّون بأن الله هو الخالق الرازق، المحيي المميت، والمدبِّر، فهم لا يخالفون فيه. وهذا النوع إذا اقتصر عليه الإنسان

....

لا يُدْخله ذلك في الإسلام؛ لأن النبي، ﷺ، قاتل الناس وهم يقرون بتوحيد الربوبية، واستحل دماءهم وأموالهم.

ولو كان توحيد الربوبية كافياً لما قاتلهم الرسول عليه الصلاة والسلام، بل ما كان هناك حاجة إلى بعثة الرسل، فدل على أن المقصود والمطلوب هو توحيد الألوهية، أما توحيد الربوبية فإنه دليل عليه، وآية له، ولذلك إذا أمر الله بعبادته ذكر خلقه للسموات والأرض، وقيامه سبحانه بشؤون خلقه، برهاناً على توحيد الألوهية، وإلزاماً للكفار والمشركين، الذين يعترفون بالربوبية وينكرون الألوهية، ولما قال لهم النبي ﷺ: «**قولوا: لا إله إلا الله**» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝﴾[1] [ص:٥]، وقال

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرض أبو طالب فجاءته قريش، وجاءه النبي ﷺ وعند أبي طالب مجلس رجل فقام أبو جهل كي يمنعه، وشكوه إلى أبي طالب، فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ قال: «**إني أريد منهم كلمة واحدة، تدين لهم بها العرب، وتؤدّي إليهم العجم الجزية**» قال: كلمة واحدة؟ قال: «**كلمة واحدة**» قال: «**يا عم يقولوا: لا إله إلا الله**» فقالوا: إلهاً واحداً، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق. قال: فنزل فيهم القرآن: ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ إلى قوله: ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾.

أخرجه في المسند ١/ ٢٢٨ والترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة صٓ(رقم ٣٢٣٢) وقال: حديث حسن صحيح. وكذا صححه الشيخ أحمد شاكر رقم (٢٠٠٨).

....

سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦].

فهم لا يريدون توحيد الألوهية، بل يريدون أن تكون الآلهة متعددة، وكُلٌّ يعبد ما يريد.

فيجب أن يُعلم هذا، فإن كل أصحاب الفرق الضالة الحديثة والقديمة، يركزون على توحيد الربوبية، فإنه إذا أقر العبد عندهم بأن الله هو الخالق الرازق، قالوا: هذا مسلم، وكتبوا بذلك عقائدهم، فكل عقائد المتكلمين لا تخرج عن تحقيق توحيد الربوبية والأدلة عليه.

وهذا لا يكفي، بل لابد من الألوهية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] يأمرون الناس بعبادة الله وهي توحيد الألوهية.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، . ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

كل الآيات تأمر بتوحيد الألوهية وتدعو إليه، وجميع الرسل دعوا إلى توحيد الألوهية وأمروا به أممهم، ونهوهم عن الشرك، هذا هو المطلوب والغاية والقصد من التوحيد، وأما توحيد الأسماء

[٣] وَلا شيءَ مثْلُهُ.

والصفات فأنكره المبتدعة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، على تفاوت بينهم في ذلك.

وقوله نقول: - أي يقول معشر أهل السنة والجماعة - في توحيد الله، معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له».

العقيدة والتوحيد بمعنى واحد. سواء سُمِّيت عقيدة أو توحيداً أو إيماناً، فالمعنى واحد وإن اختلفت الأسماء.

وقوله: «بتوفيق الله» هذا تسليم لله عز وجل، وتضرُّع إلى الله، وتبرؤ من الحول والقوة، فالإنسان لا يزكي نفسه، وإنما يقول: بتوفيق الله، بمشيئة الله، بحول الله، هذا أدب العلماء رحمهم الله. «إن الله واحد لا شريك له» هذا هو التوحيد؛ واحد في ربوبيته، واحد في ألوهيته، وواحد في أسمائه وصفاته.

[٣] مأخوذ من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، أي شبهاء ونظراء.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، أي: مماثل يساميه سبحانه وتعالى، فالتمثيل والتشبيه منفيان عن الله عز وجل.

لا يشبهه أحد من خلقه، وهذا هو الواجب أن نثبت ما أثبته الله لنفسه ونعتقده ولا نشبهه بأحد من خلقه، ولا نمثّله بخلقه سبحانه

[٤] وَلاَ شَيْءَ يُعْجِزُهُ.

وتعالى، وهذا فيه رد على المشبهة الذين يعتقدون أن الله مثل خلقه، ولا يُفَرِّقون بين الخالق والمخلوق، وهو مذهب باطل.

وفي مقابله مذهب المعطلة؛ الذين غلوا في التنزيه حتى نفوا عن الله ما أثبته من الأسماء والصفات، فراراً من التشبيه بزعمهم.

فكلا الطائفتين غلت، المعطلة غَلَوْا في التنزيه ونفي المماثلة، والمشبهة غَلَوْا في الإثبات، وأهل السنة والجماعة توسَّطوا؛ فأثبتوا ما أثبته الله لنفسه على ما يليق بجلاله، من غير تشبيه ولا تعطيل على حد قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ نفي للتشبيه، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ نفي للتعطيل، وهذا المذهب الذي يسير عليه أهل السنة والجماعة.

ولهذا يُقال: المعطِّل يعبد عدماً، والمشبِّه يعبد صنماً، والموحد يعبد إلهاً واحداً فرداً صمداً.

[٤] هذا إثبات لكمال قدرته:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: ٤٤].

والقدير معناه: المبالغ في القدرة، فقدرته سبحانه وتعالى

[٥] وَلا إِلٰهَ غَيْرُهُ.

لا يعجزها شيء، إذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كن فيكون.

ـ فهذا فيه إثبات قدرة الله عز وجل، وإثبات شمولها، وعمومها لكل شيء.

ـ أما العبارة التي يقولها بعض المؤلفين: إنه على ما يشاء قدير. فهذه غلط؛ لأن الله لم يقيد قدرته بالمشيئة، بل قال: على كل شيء قدير، فقل ما قاله الله سبحانه وتعالى. إنما هذه وردت في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ۝٢٩﴾ [الشورى: ٢٩]؛ لأن الجمع له وقت محدد في المستقبل، وهو قادر على جمعهم في ذلك الوقت، أي أهل السماوات وأهل الأرض، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ۝٢٩﴾ [الشورى: ٢٩].

[٥] هذا هو توحيد الألوهية. لا إله، أي: لا معبود بحق غيره.

أما إذا قلت: لا معبود إلا هو؛ أو لا معبود سواه، فهذا باطل؛ لأن المعبودات كثيرة من دون الله عز وجل، فإذا قلت: لا معبود إلا الله، فقد جعلت كل المعبودات هي الله، وهذا مذهب أهل وحدة الوجود، فإذا كان قائل ذلك يعتقد هذا فهو من أصحاب أهل وحدة الوجود، وأما إن كان لا يعتقد هذا، إنما يقوله تقليداً أو سمعه من أحد، فهذا غلط، ويجب عليه تصحيح ذلك. وبعض الناس يستفتح

[٦] قَديمٌ بلا ابتدَاء، دَائمٌ بلا انْتهاء.

[٧] لا يَفنَى ولا يَبيدُ.

بهذا في الصلاة فيقول: ولا معبود غيرك، والله معبود بحق، وما سواه فإنّه معبود بالباطل، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢].

[٦] كما دل عليه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء**»[1].

لكن كلمة «قديم» لا تُطلق على الله عز وجل إلا من باب الخبر، أما من جهة التسمية فليس من أسمائه: القديم، وإنما من أسمائه: الأول. والأول ليس مثل القديم؛ لأن القديم قد يكون قبله شيء، أما الأول فليس قبله شيء، قال عليه الصلاة والسلام: «**أنت الأول فليس قبلك شيء**».

لكن المؤلف رحمه الله احتاط فقال: «قديم بلا ابتداء»، أما لو قال: «قديم» وسكت، فهذا ليس بصحيح في المعنى.

[٧] الفناء والبيد بمعنىً واحد، فالله سبحانه وتعالى موصوف بالحياة الباقية الدائمة، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٧١٣).

[٨] ولا يكونُ إلا ما يُريدُ.

﴿ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

فالله لا يأتي عليه الفناء، قال سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

فله البقاء سبحانه وتعالى، والخلق يموتون ثم يبعثون، وكانوا في الأول عدماً ثم خلقهم الله، ثم يموتون ثم يبعثهم الله عز وجل.

فالله سبحانه وتعالى ليس له بداية وليس له نهاية.

[٨] هذا فيه إثبات القدر وإثبات الإرادة، فلا يكون في ملكه ولا يحصل في خلقه من الحوادث والكائنات إلا ما أراده سبحانه وتعالى بالإرادة الكونية: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فكل خير وكل شر فهو بإرادة الله الكونية، فلا يخرج عن إرادته شيء، وهذا فيه رد على القدرية الذين ينفون القدر، ويزعمون أن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه ويوجد فعل نفسه، تعالى الله عما يقولون، وهذا تعجيز لله، وأنه يكون في خلقه ما لا يريده سبحانه وتعالى، فهذا وصف له بالنقص، فجميع ما يكون في الكون من خير وشر فإنه بإرادته، فيخلق الخير لحكمة، ويخلق الشر لحكمة، فهو من جهة خلقه له ليس بشر؛ لأنه لحكمة عظيمة، ولغاية عظيمة، وهي الابتلاء والامتحان، وتمييز الخبيث من الطيب، والجزاء على

[٩] لا تَبلُغُه الأَوْهَامُ ولا تُدْرِكُهُ الأَفْهَامُ.

[١٠] ولا يُشْبِهُ الأَنَامَ.

[١١] حَيٌّ لا يَمُوتُ.

الأعمال الصالحة، والجزاء على الأعمال السيئة، له الحكمة في ذلك سبحانه وتعالى، لم يخلق ذلك عبثاً.

[٩] فالله سبحانه وتعالى لا يُحاط به، فالله أعظم من كل شيء سبحانه وتعالى ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠]، فالله سبحانه يُعلم ولكن لا يُحاط به، فالله أعظم من كل شيء، فلا يتخيله الفكر، ولا يجوز لإنسان أن يقول في الله إلا ما قاله سبحانه عن نفسه، أو قاله عنه رسوله عليه الصلاة والسلام.

[١٠] هذه مثل العبارة التي مضت، ولا شيء مثله، والأنام معناه: الخلق، فالله سبحانه وتعالى منزه عن مشابهة الخلق: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ٤] فهو سبحانه منزه عن مشابهة خلقه، وإن كان له أسماء وصفات تشترك مع أسماء وصفات الخلق في اللفظ والمعنى، لكن في الحقيقة والكيفية لا تشابه بينهما.

[١١] حياته كاملة لا يعتريها نقص ولا نوم ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨] فنفى عن نفسه السِّنة، وهي النوم الخفيف والنوم

[١٢] قَيُّومٌ لا يَنَامُ.

المستغرق[١]، ونفى عن نفسه الموت لكمال حياته سبحانه[٢].
والنوم والنعاس والموت نقص في الحياة، وهذه من صفة المخلوق، وحياة المخلوق ناقصة فهو ينام ويموت.

فالنوم كمال في حق المخلوق، نقص في حق الخالق؛ لأن المخلوق الذي لا ينام معتل الصحة، فهذا يدل على الفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوق، والحي والقيوم: هاتان الصفتان مأخوذتان من قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ الحي الذي له الحياة الكاملة، والقيوم صيغة مبالغة.

[١٢] القيوم هو: القائم بنفسه والمقيم لغيره، القائم بنفسه فلا يحتاج إلى شيء، وغني عن كل شيء، المقيم لغيره، كل شيء فقير إليه يحتاج إلى إقامته له سبحانه وتعالى، فلولا إقامة الله للسموات

---

(١) فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «**إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام. . . .**» إلخ الحديث.
أخرجه مسلم رقم (١٧٩).

(٢) وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت، اللهم إنِّي أعوذ بعزتك لا إله إلاّ أنت أن تضلني أنت الحيُّ الذي لايموت، والجن والإنس يموتون**».
أخرجه مسلم رقم (٢٧١٧).

[١٣] خَالِقٌ بِلا حَاجَة، رَازِقٌ بلا مُؤْنَة.

[١٤] مُمِيتٌ بِلا مَخافَة.

والأرض والمخلوقات لتدمرت وفنيت، ولكن الله يقيمها ويحفظها ويمدها بما يصلحها.

فجميع الخلق في حاجة إليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ﴾ [فاطر: ٤١].

[١٣] هو الذي خلق الخلق وهو ليس بحاجة إليهم، إنما خلقهم لعبادته ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، فخلقهم لا لحاجة إليهم بأن ينصروه أو ليعينوه أو ليساعدوه ـ سبحانه ـ أو يحموه، إنما خلقهم لعبادته، وهم المحتاجون للعبادة؛ لتصلهم بالله وتربطهم بربهم، فالعبادة صلة بين العبد وربه، فتقربه من الله، ويحصل بها من الله على الثواب والجزاء، فالعبادة حاجة للخلق وليست بحاجة لله عز وجل ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم: ٨]، ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْۖ﴾ [الزمر: ٧]. وقوله: (رازق بلا مؤنة) أي هو القائم بأرزاق عباده ولا ينقص ذلك مما عنده.

[١٤] أي: يميت الأحياء إذا كملت آجالهم، لا لأنه خائف منهم ولكن ذلك لحكمته سبحانه وتعالى؛ لأن الحياة في الدنيا لها نهاية، وأما الآخرة فليس للحياة فيها نهاية، فإماتتهم ليس خوفاً منهم أو ليستريح منهم، ولو كانوا يكفرون به فإنه لا يتضرر بكفرهم، وإنما

[١٥] بَاعِثٌ بِلا مَشَقَّة . .

يضرون أنفسهم، لكنه هو يفرح بتوبتهم؛ لأنه يحب ـ ويريد ـ لهم الخير، فهو يفرح بتوبتهم وهو ليس في حاجة إليهم، إنما ذلك من لطفه وإحسانه.

[١٥] هذا من عجائب قدرته، أنه يميت الخلق ويفنيهم حتى يتلاشوا ويصيروا تراباً ورفاتاً. حتى يقول الجاهل: لا يمكن أن يعودوا ولكن الله عز وجل يبعثهم من جديد ويعيد خلقهم من جديد، وليس عليه في ذلك مشقة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [لقمان: ٢٨]. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم: ٢٧].

فالمشركون أنكروا البعث استبعاداً منهم كما ذكر الله ذلك عنهم: ﴿ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ [يس: ٧٨]، قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [يس: ٧٩].

أول مرة، ليس لها وجود أصلاً، فأوجدها من العدم سبحانه وتعالى، فالذي خلقها من العدم: أليس بقادر على إعادتها من باب أولى؟ هذا في نظر العقول، وإلا فإن الله سبحانه لا يُقاس بخلقه، إنما ذلك لضرب المثل: ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الروم: ٢٧].

....

فهذا ردٌّ على هذا الجاحد، قال تعالى: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ [يس: ٧٨]، نسي أنه في الأول كان لا شيء ولا وجود له ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ [الإنسان: ١]، نسي أن الله أوجده من عدم.

فهو يجمع هذه العظام المتفرقة، واللحوم الممزقة، والتراب الذي تحلل، وهذه الشعور المتبعثرة يعيدها كما كانت، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الروم: ٢٥] ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨] وهي نفخة البعث.

فالأولى نفخة الصعق والموت، والثانية نفخة البعث.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ [يس: ٥١] أي: القبور: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس: ٥١، ٥٢].

فالله قادر على كل شيء، وهذا رَدٌّ على الكفار الذين يُعجزون الله عن إحياء الموتى وإعادتهم كما كانوا.

قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن

[١٦] مَا زالَ بِصِفَاتِهِ قَديماً قَبْلَ خَلْقِهِ.

﴿نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ [القيامة: ٣، ٤]. ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣﴾ [المعارج: ٤٣].

هذه قدرة الله وإرادته ومشيئته، لا يعجزه شيء، لكن بعض المخلوقين يقيس الله بخلقه فيستبعد البعث؛ لأنه في نظره مستحيل، ولا ينظر إلى قدرة الله، ولم يَقْدُر الله حق قَدْرِه، وهذا من الجهل بالله عز وجل.

[١٦] تقدم قول المصنف: «قديم بلا ابتداء»، فهو سبحانه وتعالى ليس قبله شيء، ومعنى ذلك: أنه متصف بصفات الكمال، فصفاته تكون أزلاً وأبداً، فكما أنه أَوَّلٌ بلا بداية، فكذلك صفاته، فإنها تكون تابعة له سبحانه، فهي أولية بأولية الله سبحانه وتعالى، فلم يكن أولاً بلا صفات ثم حدثت له الصفات بعد ذلك كما يقوله أهل الضلال، الذين يقولون: لم تكن له صفات في الأزل ثم كانت له صفات؛ لئلا يلزم على ذلك تعدد الآلهة ـ كما يزعمون ـ أو تعدد القدماء، وتكون الأسماء والصفات شريكة لله في أوليته. فنقول: يا سبحان الله! هذا يلزم عليه أن يكون الله ناقصاً ـ تعالى الله ـ في فترة، ثم حدثت له الصفات وكمل بها، تعالى عما يقولون، ولا يلزم من قِدَمِ الصفات قِدَمُ الأرباب؛ لأن الصفات ليست شيئاً غير الموصوف في الخارج، إنما هي معانٍ قائمة بالموصوف، ليست شيئاً مستقلاً

[١٧] لم يَزْدَدْ بكَوْنِهِم شَيْئاً، لم يكنْ قَبلَهُم مِنْ صِفَتِهِ.
[١٨] وكما كانَ بصِفَاتِهِ أَزَليًّا، كذلك لا يزالُ عَلَيْهَا أبديًّا.

عن الموصوف، فإذا قلت مثلاً: «فلان سميع بصير، عالم فقيه، لغوي نحوي» فهل معنى هذا أن الإنسان صار عدداً من الأشخاص، فلا يلزم من تعدد الصفات تعدد الموصوف، كما يقوله أصحاب الضلال.

فالله سبحانه وتعالى ليس لصفاته بداية كما أنه ليس لذاته بداية، فيوصف بأنه الخالق دائماً وأبداً.

وأما أفعاله سبحانه، فهي قديمة النوع حادثة الآحاد.

فالله سبحانه وتعالى متكلم قبل أن يصدر منه الكلام، وخالق قبل أن يصدر منه الخلق. وأما أنه يتكلم ويخلق، فهذه أفعال متجددة وهكذا.

[١٧] أي: خلق الخلق. ولا نقول: لم يصرْ خالقاً إلاَّ بعد أن خلقهم، بل هو يسمى خالقاً من الأزل، لا بداية لذلك، أما خلقه إنما هو متجدد.

[١٨] كما أنه موصوف بصفاته أزليًّا، يعني: لا بداية لذلك، كذلك صفاته تلازمه ـ سبحانه ـ في المستقبل، فهو بصفاته أبدي لا نهاية له (أنت الآخر فلا بعدك شيء) باسمك وصفاتك، ولا يقال: إن هذه الصفات تنقطع عنه في المستقبل، بل هي ملازمة له سبحانه وتعالى.

[١٩] ليسَ بَعْدَ خَلْقِ الخَلْقِ اسْتَفَادَ اسمَ «الخَالِق».

[٢٠] ولا بإِحْدَاثِ البريّةِ استفادَ اسمَ «الباري».

[٢١] له معنى الرُّبُوبيَّةِ ولا مَرْبُوب، ومعنى الخالق ولا مخلُوق.

[٢٢] وكما أَنَّه مُحيِي الموتَى بَعْدَما أَحْيَا، استحقَّ هَذَا الاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهم، كذلِك استحقَّ اسْمَ الخَالِق قبلَ إِنْشَائِهم.

---

[١٩] هذا توضيح وتكرار لما سبق.

[٢٠] من أسماء الله عز وجل: الباري، يعني: الخالق، برى الخلق، يعني: خلقهم، فهو الباري، وهذا الاسم ملازم لذاته ليس له بداية.

[٢١] كذلك هو رب قبل أن توجد المربوبات، والرب معناه: المالك والمتصرف والمصلح والسيد، وهذه الصفات لازمة لذاته، يوصف بالربوبية بلا بداية ولا نهاية، قبل وجود المربوبات وبعد فناء المربوبات.

[٢٢] كما أنه ـ سبحانه ـ يوصف بكونه محيي الموتى في الأزل، وبأنه يحيي ويميت، ولا يكون هذا الوصف معدوماً حتى يكون أحيا الموتى، وإنما هذا له من القديم والأزل، وأما إحياء الموتى فهذا متجدد، أحيا ويحيي سبحانه إذا شاء.

[٢٣] ذلك بأنَّهُ على كلِّ شَيْءٍ قديرٌ.

[٢٤] وكلُّ شَيْءٍ إليهِ فَقِيرٌ.

---

[٢٣] هذا وصف أزلي، لا يقال بأنه ما استفاد القدرة إلا بعد أن خلق وأوجد المخلوقات، بل القدرة صفة أزلية، وإنما كونه أوجد المخلوقات فهذا أثر ناتج من كونه على كل شيء قدير.

والله هو الذي وصف نفسه بأنه على كل شيء قدير من الموجودات ومن المعدومات، لم يقيد قدرته بشيء معين، لا يعجزه شيء، ولا يجوز التقييد بأنه قدير على كذا، ولا يقال: إنه على ما يشاء قدير، إنما هذا خاص بجمع الله سبحانه وتعالى لأهل السموات والأرض: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الشورى: ٢٩] وهذه قضية معينة.

[٢٤] لا شيء يمكن أن يستغني عن الله لا من الملائكة ولا السماوات والأرض ولا الجن ولا الإنس، ولا الجامدات من الجبال ولا البحار، كل شيء فقير إلى الله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥].

فكل شيء إليه فقير، لا الأولياء ولا السماوات، ومن يقول: إن الأولياء لهم قدرة غير قدرة البشر وإنهم يتصرفون في الكون، وإنهم ينفعون ويضرون من دون الله، فذلك من قول الكفرة والمشركين، فليس للأولياء والرسل والملائكة غِنًى عن الله ولا

[٢٥] وكلُّ أمْرٍ عَلَيْهِ يَسيرٌ.

[٢٦] لا يحتاجُ إلى شَيْءٍ.

تَصَرُّفٌ من دونه.

وهذا مما يُبطل عبادة غير الله من الأصنام ونحوها، كيف تَعْبُدُ أشياءَ فقيرةً وتَنْسَى الذي بيده ملكوت كل شيء؟ ولهذا لما قال بعض علماء القبورية لعامِيٍّ من أهل التوحيد: أنتم تقولون: إن الأولياء لا ينفعون ولا يضرون، قال: نقول: إنهم لا ينفعون ولا يضرون، قال: أليس الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]. قال: وهل الله قال: يُرْزَقون، أو يَرْزُقون؟ قال: بل قال: (يُرزقون) بضم الياء، قال: إذن أنا أسأل الذي يرزقهم ولا أسألهم. فانخصم ذلك العالم بحجة العامي الذي هو على الفطرة.

[٢٥] ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

فهو يحيي ويميت، ويخلق ويرزق، ويعطي ويمنع، ويحيي الموتى بعد فنائهم، وذلك يسير عليه سبحانه وتعالى، لا يكلفه شيئاً ولا يشق عليه، خلاف المخلوق، فإنّه يتكلف بفعل الأشياء، أو يعجز عنها، أما الله فليس شيءٌ عليه صعباً، ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

[٢٦] الله سبحانه غني عن كل شيء، فالله ليس بحاجة إلى الخلق؛

[٢٧] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾.

[٢٨] خَلَقَ الخَلْقَ بِعِلْمِهِ.

لأنه هو الغني، فهو الذي يعطي الخلق سبحانه.

[٢٧] هذا نفي للتشبيه عن الله سبحانه، والكاف لتأكيد النفي، مثل: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ۝٧٠﴾ [النساء: ٧٠] الأصل: وكفى الله عليماً، ولكن جاءت الباء للتأكيد.

وليس يُشْبِهُهُ شيءٌ من الأشياء، لا الملائكة ولا الأنبياء والرسل ولا الأولياء ولا أي مخلوق ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١] فسمى نفسه السميع البصير.

فالآية في أولها ردٌّ على المُشَبِّهة، وفي آخرها ردٌّ على المُعَطِّلة، ودلت على أنه لا يلزم من إثبات الأسماء والصفات التشبيه بالمخلوقات، فَسَمْعُ وَبَصَرُ المخلوقات لا يشبه سمعَ ولا بصرَ الله عز وجل.

[٢٨] قال سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [تبارك: ١٤]. فخلقه دليل على علمه سبحانه وتعالى وقدرته كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

[٢٩] وَقَدَّرَ لهمْ أَقْدَاراً.

[٣٠] وَضَرَبَ لهم آجَالاً.

---

[٢٩] قَدَّرَ الله جل وعلا المقادير، ولم يوجد هذه الأشياء بدون تقدير ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١] فكل شيء قدره الله بمقادير وكيفيات لا تختلف ولا تتغير، فالإنسان قَدَّرَ الله جسمه وحواسه وأعضاءه وتركيبه وأوزانه، حتى صار إنساناً معتدلاً يمشي ويقف ولو اختل شيء من أعضاء هذا الإنسان أو من تراكيبه اختل الجسم، وكذلك سائر الكائنات ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ [الرعد: ٨] فلكل شيء مقادير ينضبط بها، ولكل شيء مقادير تختلف عن مقادير الآخر.

[٣٠] المخلوقات لها آجال ولها نهاية، قال سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، وقال سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

كل شيء له عمر محدود، حدده الله ـ سبحانه ـ إما قصير وإما طويل، قال سبحانه: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]، فالأعمار بيده سبحانه وتعالى، وهذا يدل على كمال ربوبيته وكمال قدرته، فما شاء الله كان وما لم

[٣١] ولم يَخْفَ عَليهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُم.
[٣٢] وعَلِمَ ما هُم عامِلون قبل أَن يَخلُقهم.
[٣٣] وأَمَرَهُم بِطَاعَتِهِ، ونَهَاهُم عَنْ مَعْصِيتِهِ.

يشأ لم يكن.

[٣١] بل هو عالم بالأشياء قبل أن توجد، لا أنه لا يعلمها إلا بعد أن وُجدت.

[٣٢] علم ما يعمل العباد قبل خلقهم، أن هذا من أهل الطاعة وهذا من أهل المعصية.

[٣٣] كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، خلقهم أولاً، ثم أمرهم بعبادته سبحانه وتعالى، فهوسبحانه أمرهم بطاعته وعبادته، مع أنه يعلم ما هم عاملون من قبل، ولكن الجزاء لا يترتب على العلم، وإنما الجزاء يترتب على العمل، فالله لا يعذب العبد بحسب العلم إلا إذا وقع منه الذنب، ولا يكرم المحسن حتى يقع منه الفعل، فالجزاء مرتب على العمل، لا على العلم ولا على القدر، ففرق بين العلم وبين الجزاء، ولذلك أمرهم الله ونهاهم. فمن أطاع الأوامر وترك النواهي حصل على الثواب، ومن خالف الأوامر وارتكب النواهي حصل على

[٣٤] وَكُلُّ شَيءٍ يَجْرِي بتَقْدِيرِهِ.

[٣٥] ومَشيئتُهُ تَنفُذُ، لا مَشِيئَةَ للعبادِ إلا ما شاءَ لهم، فما شاءَ لهم

العقاب بأفعاله هو لا بأفعال الله سبحانه، فالعبد هو المصلي والمزكي والحاج والمجاهد، فالأعمال تنسب إليه لا إلى الله، إلا من جهة الخلق والعلم والتقدير والتوفيق.

[٣٤] لا شك أن كل شيء بتقديره لا يخرج عن تقدير الله من الخير والشر، والطاعة والمعصية، والكفر والإيمان، والمرض والصحة، والغنى والفقر، والعلم والجهل، كل شيء يجري بتقديره، وليس في ملكه شيء لم يقدره ولا يريده.

[٣٥] الله سبحانه وتعالى له مشيئة، والعباد لهم مشيئة، ولكن مشيئة العباد مرتبة على مشيئة الله، وليست مستقلة، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾، [الإنسان: ٣٠] وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩] فجعل لنفسه مشيئة هي من صفاته، وجعل لعباده مشيئة هي من صفاتهم، وربط مشيئتهم بمشيئته سبحانه، وفي هذا رد على القدرية والجبرية: فالقدرية ينفون مشيئة الله لأفعال العباد، ويجعلون للعبد مشيئة مطلقة، وأن العبد

كان، وما لم يَشأ لم يَكُن.

مستقل بأفعاله وإرادته ومشيئته، هذا مذهب القدرية من المعتزلة وغيرهم. والجبرية يقولون: العبد ليس له مشيئة، وإنما المشيئة لله فقط، والعبد يتحرك بدون اختياره ولا إرادته، مثل ما تحرك الآلة. فطائفة غلَتْ في إثبات مشيئة الله، وطائفة غلت في إثبات مشيئة العبد.

وأما **أهل السنة والجماعة**: فأثبتوا المشيئتين، وجعلوا مشيئة العبد مربوطة بمشيئة الله، أخذاً من الآيتين السابقتين فقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ فيه إثبات مشيئة العباد، وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فيه إثبات مشيئة الله عز وجل، وفي الآية أن مشيئة العبد ليست مستقلة، وإنما هي مربوطة بمشيئة الله؛ لأنه خلق من خَلْقِ الله، خَلَقَهُ وخَلَقَ مشيئته وخلق إرادته، ولهذا لما قال بعض الناس للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، قال عليه الصلاة والسلام: «**أجعلتني لله ندًّا؟**» أي: شريكاً في المشيئة «**قل: ما شاء الله وحده**»[١]. ولما بلغ النبي ﷺ أن

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧، والبخاري في الأدب المفرد رقم (٧٨٣) وابن ماجه رقم (٢١١٧) والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٩٨٨).

[٣٦] يَهْدِي مَنْ يشاءُ، ويَعْصِمُ وُيَعافِي فَضْلاً، وَيُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَخْذِلُ ويَبْتلي عَدْلاً.

قوماً يقولون: ما شاء الله وشاء محمد، أنكر ذلك وقال: «**قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد**»، فجعل مشيئته مرتبة على مشيئة الله «بثم» التي تفيد الترتيب والتراخي، لا بالواو؛ لأنها تقتضي التشريك.

[٣٦] الله سبحانه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وهذا بقضاء الله وقدره، ولكنه يهدي من يعلم أنه يَصْلُحُ للهداية، ويهدي من يحرص على طلب الهداية ويُقبل عليها، فإن الله ييسره لليسرى، ويضل من يشاء بسبب إعراضه عن طلب الهداية والخير، فيضله الله عقوبةً له على إعراضه وعدم رغبته في الخير، يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ [الليل: ٥ ـ ٧] فصار السبب من العبد، والقَدَرُ من جهة الله سبحانه: ﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [الليل: ٨ ـ ١٠] فصار السبب من العبد والقَدَر من الله عز وجل، ولكن قَدَّرَهُ الله عقوبةً له.

فَقَدَّرَ الله الهداية فضلاً من الله عز وجل، وتكَرَّمَ على الشخص الذي يريد الخير ويريد الهداية، فييسره الله للخير ولفعله، وهذا لمصلحته، لا مصلحةً لله عز وجل، وأما إضلال الضالين فعدل منه سبحانه وتعالى، جزاءً لهم على إعراضهم وعدم إقبالهم على الخير

....

وعلى طاعة الله عز وجل، لم يظلمهم شيئاً، ولهذا نجد في الآيات ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨] ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [البقرة: ٢٦٤]، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [المائدة: ١٠٨] فجعل الظلم، والكفر، والفسق، أسباب لعدم الهداية، وهذه من أفعال العباد جازاهم عليها، عدلاً منه سبحانه وتعالى لا ظلماً ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [النحل: ٣٣]، فلا يليق به سبحانه أن يكرم من هذا وصفه وأيضاً لا يليق به سبحانه وتعالى أن يُضيعَ عمل العاملين، قال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١] ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية: ٢٢]، ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦] هذا جور ينزه الله عنه، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨].

[٣٧] وكُلُّهُم يتقلَّبُون في مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعدْلِهِ.
[٣٨] وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الأَضدادِ والأَندَادِ.

فالله سبحانه وتعالى لا يُضِيعُ أجر من عمل صالحاً، ولا يجازي أحداً بغير فعله، وبغير كسبه ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الصافات: ٣٩] فالعمل كله للعبد من الخير والشر، والمجازاة من الله فضلاً وعدلاً.

[٣٧] وكل العباد لا يخرجون عن التقلُّب في مشيئة الله بين فضله على أهل الطاعة وأهل الخير، وعدله مع أهل الكفر والشرك، وهذا هو اللائق بحكمته وعظمته سبحانه، فلا يجمع بين المتضادات والمختلفات، بل ينزل الأشياء في منازلها، ولهذا من أسمائه: الحكيم، ومن صفاته: الحكمة، الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها، فيضع الفضل في أهل الطاعة، ويضع العذاب في أهل الكفر والمعاصي، هذا فضله سبحانه وعدله.

[٣٨] (متعال) أي: مرتفع بذاته وقدره وقهره عن الأضداد والأنداد، فالأنداد: هم الأمثال والشبهاء والنظراء، فالله سبحانه وتعالى ليس له نظير، وليس له مثيل ولا شبيه، فلا أحد يشارك الله ولا يشابهه ولا يساويه جل وعلا، وهذا من علو قدره وقهره وهو العلي بذاته فوق مخلوقاته. أما الأضداد: فهم المعارضون له، فالله ليس له معارض، ولا يضادّه أحد من خلقه، فإنه إذا أراد أمراً فلا يمكن لأحد أن يعترض ويمنع أمره سبحانه وتعالى، وإذا أراد إعطاءً

[٣٩] لا رَادَّ لقضَائِهِ، ولا مُعَقِّبَ لحُكْمِه، ولا غالبَ لأَمرِهِ.

فلا أحد يمنع، وإذا أراد منعاً لشيء فلا أحد يعطيه (لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت)[1].

قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢].

فلا نِدَّ لله ولا ضِدَّ له فيما يأمر به وينهى عنه، خلاف المخلوقين فيوجد من ينازعهم ويقف ضد تنفيذ أوامرهم، فالمخلوقات كلها لها مشارك، فالخلق يتشابهون في العلم والاسم وفي كل شيء، في الأجساد والصفات، ويشتركون في الأفعال والأملاك والله سبحانه لا يشبهه أحد ولا يشاركه أحد.

[٣٩] فالله ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [مريم: ٣٥] ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الرعد: ٤١] فالله عز وجل إذا قضى أمراً فلا يستطيع أحد أن ينقضه أو يرده، بخلاف المخلوق فقد يُعَطَّلُ تنفيذُ حكمه وقد يُنقض.

---

(١) عن ورّاد كاتب المغيرة بن شعبة قال: أملى عليَّ المغيرة بن شعبة في كتاب إلى معاوية: أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجدُّ**».
أخرجه البخاري رقم (٨٤٤) ومسلم رقم (٥٩٣).

[٤٠] آمَنَّا بذلِك كُلِّه، وأَيْقنَّا أنَّ كُلاًّ مِنْ عِنْدِه.

[٤١] وأَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ المصطَفى، ونبيُّه المجْتبى، ورَسُولُه

(ولا غالب لأمره): وإذا أمر بالشيء لا أحد يغلب أوامره الكونية، أما أوامره الشرعية فقد تُعطل وقد تُخالف، وهذه للابتلاء والامتحان. ليترتب على ذلك الثواب أو العقاب.

[٤٠] كل ما سبق ذكره من أول العقيدة إلى آخرها، ندين لله به، وليس مجرد كلام بألسنتنا، بل هو من قلوبنا.

[٤١] لما بَيَّنَ الشيخ ـ رحمه الله ـ في أول كلامه ـ ما يجب من معرفة الله سبحانه، واعتقاد أنه الرب المستحق للعبادة دون ما سواه، وأنه متصف بصفات الكمال ونعوت الجلال التي هو متصف بها أزلاً وأبداً، لما بين هذا ووضحه، انتقل إلى ما يجب اعتقاده في الرسول عليه الصلاة والسلام. وقوله: «وإن محمداً عبده المصطفى...» هذا عطف على أول الكلام: «نقول في توحيد الله، معتقدين بتوفيق الله إن الله واحد لا شريك له...» إلى آخره، ثم قال: «وإن محمداً...» إلى آخره، فلابد من اعتقاد هذا، كما نشهد لله بالألوهية، كذلك نشهد للرسول ﷺ بالرسالة، ولذلك فالشهادتان دائماً متلازمتان.

«وأن محمداً» هذا اسمه عليه الصلاة والسلام المشهور به، وقد جاء في القرآن: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن

. . . .

رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وفي قوله: ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢﴾ [محمد: ٢]، وفي قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح: ٢٩]، وجاء أحمدُ في القرآن في قوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

وله أسماء جاءت في السنة، ذكَرَها ابن القيم في كتابه: «جلاء الأفهام».

والتعرف على الرسول ﷺ من واجبات الدين ومن أصول الإسلام، وقد قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في «ثلاثة الأصول»: «الأصل الأول: معرفة الله، والثاني: معرفة نبيه، والثالث: معرفة دين الإسلام بالأدلة»، كما يجب عليك معرفة الله، كذلك يجب عليك معرفة نبيه ﷺ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة. هذه أُصول ثلاثة، وهي التي يسأل عنها الميت إذا وضع في قبره.

وقوله: (عبده) فهو عبدالله عز وجل، وليس له من الألوهية شيء، ولا من الربوبية شيء، وإنما هو عبدالله ورسوله، مؤتمر بأوامره، منتهٍ عن نواهيه، مبلغ عن الله عز وجل، وهذا فيه رد على الغلو فيه عليه الصلاة والسلام؛ لأن هناك من يغلون في الرسول عليه الصلاة والسلام، ويجعلون له شيئاً من الربوبية أو الألوهية،

....

ويدعونه مع الله، وهذا غلو ـ والعياذ بالله ـ كما غلت النصارى في المسيح عيسى ابن مريم، وقالوا إنه ابن الله أو الله أو ثالث ثلاثة. ففي قوله: (عبده المصطفى) فيه رَدٌّ للغُلُوِّ، فهو عبد، وكل من في الأرض والسموات عبيد لله عز وجل، قال سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾ [مريم: ٩٣]، فالملائكة عبيد ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧]، والأنبياء والرسل عبيد كما قال سبحانه في نوح عليه السلام: ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء: ٣]، وقال عز وجل: ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ [القمر: ٩]، وقال في داود: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٧﴾ [ص: ١٧]، وقال في سليمان: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠﴾ [ص: ٣٠]، وقال في أيوب: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [ص: ٤١]، وقال في عيسى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾ [الزخرف: ٥٩]، فإذا كان الأنبياء والرسل والملائكة عبيد لله، وهم أشرف الخلق، فغيرهم من الأولياء والصالحين من باب أولى.

وأفضلهم محمد ﷺ، وهو آخر الأنبياء، وسماه الله عبداً في قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] يعني: رسول الله ﷺ، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١]،

....

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ١]، ومقام العبودية هو أعلى المقامات، ولا شيء أشرف من العبودية لله عز وجل.

قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسىٰ ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[1].

ومعنى المصطفى: المختار، من الاصطفاء، وهو الاختيار، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝٤٧ ﴾ [ص: ٤٥ - ٤٧] المصطفين: جمع مصطفى، وهو المختار، أصله مصتفى، ثم أُبدلت التاء طاء فصارت مصطفى؛ ليسهل النطق بها.

فالمصطفى هو المختار؛ لأن الله سبحانه اختار محمداً عليه الصلاة والسلام للرسالة من بين قومه، والله أعلم حيث يجعل رسالته، فلا يختار إلا من يعلم أنه يستحق الاختيار، وأنه يقوم بالمهمة؛ لأن هذه المهمة صعبة وعظيمة، فلا يختار الله إلا من هو لها أهل، قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٤٤٥).

[٤٢] وأنَّه خَاتِمُ الأَنبياءِ، وإِمَامُ الأَتْقِياءِ، وسيِّدُ المرسَلينَ وحَبيبُ ربِّ العالَمين.

و(المجتبى) بمعنى المصطفى.

والنبي: مَنْ أوحى إليه الله بشرع ولم يُؤمر بتبليغه، والرسول: من أُوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه، وهذا أشهر ما قيل في الفرق بين النبي والرسول، ومعنى: أمر بتبليغه، أي: أمر بإلزام الناس وأن يقاتلهم على ما جاء به.

وكذلك النبي، يُوحى إليه ويدعو إلى الله عز وجل، ولكن يتبع من قبله من الأنبياء ويمشي على طريق من قبله، ولا ينفرد بشريعة خاصة، مثل أنبياء بني إسرائيل، جاؤوا بالتوراة ودعوا إلى التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام.

و(المرتضى) بمعنى المجتبى والمصطفى، فالمرتضى بمعنى: أن الله ارتضاه.

[٤٢] هذه من صفاته عليه الصلاة والسلام.

خاتم الأنبياء، ومعنى (خاتم) الذي لا يأتي بعده نبي، وختام الشيء هو: الذي يُجعل عليه حتى لا يزاد عليه ولا ينقص منه، فالله ختم الرسالات بمحمد ﷺ، قال جل في علاه: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فلا حاجة لمجيء نبي بعده؛ لأن القرآن موجود، والسنة النبوية موجودة، والعلماء الربانيون موجودون، يدعون إلى الله ويبصرون الناس؛

....

فدين محمد باقٍ إلى قيام الساعة لا يبدل ولا ينسخ ولا يغير؛ لأن الله سبحانه جعله صالحاً لكل زمان ولكل مكان، أما شرائع الأنبياء السابقين فتكون مؤقتة لأممهم في فترة من الفترات، ثم ينسخ الله تلك الشريعة بشريعة أخرى تتناسب مع الأمة الأخرى ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨﴾ أي لكل كتاب أجل.

فدين الإسلام كامل لا يحتاج بعد محمد ﷺ إلى رسول، والعلماء ورثة الأنبياء، فمن اعتقد أنه يأتي بعد محمد ﷺ نبي فهو كافر بالله خارج من الملة، وقد أخبر النبي ﷺ أنه يأتي كذبة يدعون النبوة من بعده، قال عليه الصلاة والسلام: «**سيأتي بعدي كذابون ثلاثون، كلهم يدعي أنه نبي، وأنا خاتم الأنبياء لا نبي بعدي**»[1].

فمن ادّعى النبوة أو ادعيت له النبوة ومن اتبعهم، فكلهم كفرة، وقد قاتلهم المسلمون وكفَّروهم، وآخر من ادعى النبوة في الوقت الحاضر: القادياني الباكستاني الذي ادّعى النبوة له أتباعه القاديانية،

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان، فيكون بينهما مقتلة عظيمة، دعواهما واحدة، ولا تقوم الساعة حتى يُبعث دجّالون كذّابون قريباً من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله**».
أخرجه البخاري رقم (٣٦٠٩) ومسلم رقم (١٥٧/ ٨٤) من كتاب الفتن.

....

ويسمون بالأحمدية نسبة إلى اسمه؛ لأن اسمه أحمد القادياني، وقد كفره العلماء وطردوه من البلاد الإسلامية، وكفَّروا أتباعه؛ لأن هذا تكذيب لله ولرسوله، وتكفيرهم بإجماع المسلمين، لم يخالف في هذا أحد.

فلابد للمسلم أن يعتقد أنه عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء والمرسلين، وإمام الأتقياء؛ يعني القدوة الوحيد للأتقياء الذين يتقون الله عز وجل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]

أما غير النبي ﷺ فيقتدى به إن كان يقتدي بالنبي ﷺ، أما من خالف الرسول عليه الصلاة والسلام فلا يجوز الاقتداء به: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، فلا طريق إلى الله إلا باتباع الرسول عليه الصلاة والسلام والاقتداء به.

«وسيد المرسلين» هو عليه الصلاة والسلام سيد ولد آدم، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[1] أخبر الأمة

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٦٢٤) وأحمد ٣/ ١٤٤ ـ ١٤٥ وقال الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح.
ويشهد له الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «**أنا سيد القوم**=

....

بذلك من باب الشكر لله عز وجل، ولتشكر الأمة ربها عز وجل على هذه النعمة: أن جعل رسولها سيد الرسل.

و«سيد» معناه: المقدم والإمام، فهو أفضل الرسل عليه الصلاة والسلام، وإمامهم ومُقَدَّمهم.

و«حبيب رب العالمين» هذه العبارة فيها مؤاخذة؛ لأنه لا يكفي قوله: حبيب، بل هو خليل رب العالمين؛ والخلة أفضل من مطلق المحبة؛ فالمحبة درجات، أعلاها الخلة، وهي خالص المحبة، ولم تحصل هذه المرتبة إلا لاثنين من الخلق إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥]، ونبينا عليه الصلاة والسلام، فقد أخبر بذلك فقال: «**إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً**»[1]. فلا يقال: حبيب الله؛ لأن هذا يصلح لكل مؤمن، فلا يكون للنبي ﷺ في هذا ميزة، أما الخلة فلا أحد يلحقه فيها.

= **يوم القيامة**». وبلفظ: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**».
أخرجه البخاري رقم (٣٣٤٠، ٤٧١٢) ومسلم رقم (١٩٤، ٢٢٧٨).

(١) أخرجه مسلم رقم (٥٣٢).
وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله**» يعني نفسه ﷺ أخرجه مسلم رقم (٢٣٨٣) وعند البخاري بلفظ: «**ولكن أخوة الإسلام ومودته**»

[٤٣] وكُلُّ دَعْوى النُّبوةِ بَعدَهُ فَغيٌّ وَهَوى.

[٤٤] وَهُو المبعوثُ إلى عَامَّةِ الجنِّ وكَافَّةِ الوَرَى بالحقِّ والهُدَى، وبالنُّورِ والضِّياءِ.

---

[٤٣] هذا سبق في معنى أنه خاتم النبيين، فكل دعوى للنبوة بعده فباطلة وكفر؛ لأنه لا يأتي بعد نبينا عليه الصلاة والسلام نبي، وعيسى عليه الصلاة والسلام لما ينزل آخر الزمان فإنه لا يأتي على أنه نبي ورسول أو يأتي بشريعة جديدة، إنما يأتي على أنه مجدد لدين رسول الله ﷺ، ومتبع لرسول الله ﷺ، ويحكم بالشريعة الإسلامية.

[٤٤] كذلك، هذا ما يجب اعتقاده في النبي ﷺ، لا يكفي أن نعتقد أنه رسول الله فقط، بل أنه رسول إلى الناس عامة، بل إلى الجن والإنس، قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَـٰذِيرًا ﴾ [سبا: ٢٨]، وقال له: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨] فرسالته إلى الناس عامة، وهذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام، فهو رسول للناس عامة، ووجبت طاعته على جميع الخلق، عربهم وعجمهم، وأسودهم وأبيضهم، وإنسهم وجنهم، فكل من بلغته دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام وجب أن يطيعه وأن يتبعه، فمن أقر أنه رسول الله للعرب خاصة، كما يقوله طائفة من النصارى، أنه رسول الله للعرب خاصة، وينكرون نبوته لغيرهم، فهذا كفر بالله عز وجل، وتكذيب لله عز

....

وجل ولرسوله، فالله يقول: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَـٰذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]، ويقول سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ [الفرقان: ١] فرسالته عالمية.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**كان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**»[1]. وكاتب رسول الله ﷺ ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، فدل على أنه مرسل إلى أهل الأرض كلهم، وأمر بالجهاد حتى يدخل الناس في الإسلام، فدل على عموم رسالته عليه الصلاة والسلام، فيجب اعتقاد هذا.

فتجب في حقه هذه الاعتقادات:

أولاً: أنه عبدالله ورسوله.

ثانياً: أنه خاتم النبيين لا نبي بعده.

ثالثاً: أن رسالته عامة للإنس والجن.

ودليل عمومها للإنس: كما سبق من الآيات ومكاتبة النبي ﷺ.

وأما عمومها للجن: فلقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له رقم (٣٣٥، ٤٣٨) ومسلم بلفظ: «**وبعثت إلى كل أحمر وأسود**» رقم (٥٢١).

[٤٥] وأنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ.

﴿قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣١] يعنون: محمداً عليه الصلاة والسلام.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ١، ٢]، فدل على عموم رسالته للجن، فالنبي ﷺ بعث لأهل الأرض كلهم، إنسهم وجنهم، فمن آمن به دخل الجنة، ومن لم يؤمن به دخل النار، من الإنس والجن. وقوله: (وبالنور والضياء) هما بمعنى واحد وقد بعث النبي ﷺ بهما. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

[٤٥] بعد أن تؤمن بالله عز وجل، وتؤمن برسوله ﷺ، تؤمن أن القرآن كلام الله؛ لأن هذا هو الذي جاء به الرسول ﷺ، وأنزل الله عليه القرآن، وهذا القرآن ليس من كلام محمد ﷺ ولا من كلام جبريل، إنما هو كلام الله عز وجل، تكلم الله به، وتلقاه جبريل من الله، وتلقاه النبي عليه الصلاة والسلام من جبريل عليه السلام، وتلقته الأمة من النبي ﷺ.

فهو كلام الله، منه بدا سبحانه، لم يأخذه جبريل من اللوح المحفوظ كما يقوله أهل الضلال، ولم يكن من كلام جبريل ولا محمد، إنما هو من كلام رب العالمين. وأما جبريل ومحمد عليهما

[٤٦] مِنْه بَدَا بلاَ كَيْفِيَّةٍ قَوْلاً، وأَنْزَله على رَسُولِهِ وَحْياً.

الصلاة والسلام فهما مبلغان عن الله عز وجل، فالكلام إنما يقال ويضاف لمن قاله مبتدأ، لا من قاله مبلغاً ومؤدياً.

فمن قال: إن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ، أو: إن الله خلقه في شيء وأخذه جبريل من ذلك الشيء، فهو كافر بالله عز وجل كفراً مخرجاً من الملة، كما تقوله الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم، فهو كلام الله، حروفه ومعانيه، تكلم الله به كيف شاء، فنحن نصف الله بأنه يتكلم، والكلام من صفاته الفعلية، والكيفية التي تكلم بها نقول: الله أعلم بها، هذه كسائر صفاته، نؤمن بها ولا نعلم كيفيتها، فالمعنى معروف، وأما الكيفية فهي مجهولة لنا.

[٤٦] أي: أن القرآن نزل من الله، تكلم الله به وأنزله، لم ينزل من غيره ولم يبدأ من غيره، ليس كما يقولون: إنه بدأ من جبريل، أو من اللوح، أو من الهواء، إنما بدايته من الله، وسمعه جبريل وبلغه إلى النبي ﷺ وحياً، والنبي عليه الصلاة والسلام بلغه للناس، ولو كان هذا القرآن من كلام البشر لاستطاع أحد من الناس أن يأتي بسورة من مثله، فلما عجزوا عن ذلك دل على أنه من كلام الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود: ١٣]، فعجزهم الله بذلك، مع أنهم عرب فصحاء،

[٤٧] وَصدَّقهُ المؤمنون عَلى ذلك حَقًّا.

[٤٨] وأَيْقَنُوا أنه كلامُ اللهِ تعالى بالحقيقةِ.

والقرآن بلغة العرب، وبالحروف التي يتكلمون بها، وهم يحرصون على معاندة الرسول ﷺ، ولو كان باستطاعتهم أن يعارضوا هذا القرآن، لما ادخروا وسعاً في ذلك، فلما عجزوا عن ذلك دل على أنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

[٤٧] فالمؤمنون بالله ورسوله يصدقون بأن القرآن كلام الله عز وجل، وأن محمداً ﷺ إنما هو مبلغ عن الله.

وأما قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [التكوير: ١٩، ٢٠] فالمراد بإسناده إلى جبريل هو من باب التبليغ؛ لأنه لا يمكن أن يكون القرآن من كلام الله ومن كلام جبريل، الكلام لا يكون إلا من واحد، فلا يمكن وصفه بأنه كلام أكثر من واحد، ونسبته إلى الله حقيقية، وأما نسبته لجبريل فمن باب التبليغ. وفي الآية الأخرى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحاقة: ٤٠، ٤١] يعني: محمداً ﷺ، فالإضافة إليه إضافة تبليغ. وقد أضافه سبحانه تارة إلىنفسه وتارة إلى جبريل وتارة إلىمحمد، والكلام الواحد لا يمكن أن يتكلم به أكثر من واحد. فتكون إضافته إلى الله إضافة ابتداء وهو كلامه وإضافته إلى جبريل ومحمد إضافة تبليغ.

[٤٨] ليس بالمجاز كما يقوله الجهمية والمعتزلة، هم يقولون:

[٤٩] ليس بمخلوقٍ ككلامِ البَرِيَّةِ.

كلام الله، ولكن نسبته إلى الله مجاز؛ لأن الله خالقه، فإضافته إلى الله إضافة مخلوق إلى خالقه.

فنقول: كذبتم؛ لأن الإضافة إلى الله على نوعين: إضافة معانٍ، وإضافة أعيان:

النوع الأول: إضافة المعاني إلى الله مثل الكلام، فإضافة المعاني إلى الله إضافة صفة إلى موصوف، فالكلام والسمع والبصر والقدرة والإرادة إضافة صفة إلى موصوف؛ لأن هذه معانٍ لا تقوم بنفسها وإنما تقوم بالموصوف بها.

النوع الثاني: إضافة أعيان، مثل: بيت الله، ناقة الله، عبدالله. هذه إضافة مخلوق إلى خالقه، وفائدة الإضافة هنا التشريف والتكريم.

[٤٩] أي كلام الله ليس بمخلوق. رداً على الجهمية والمعتزلة الذين يقولون: إن القرآن مخلوق؛ لأن الله عندهم لا يتكلم، على منهجهم في نفي الصفات كلها، فراراً ـ بزعمهم ـ من التشبيه؛ لأنهم لم يفرقوا بين صفات الخالق وصفات المخلوق ففروا من التشبيه الموهوم ووقعوا في التعطيل المذموم وهو شر منه، كالمستجير من الرمضاء بالنار.

ولو أنهم أثبتوا ما أثبته الله لنفسه، وعرفوا أن هناك فرقاً بين صفات الخالق وصفات المخلوق، لأصابوا عين الحق واستراحوا

[٥٠] فمن سمِعَهُ فَزَعَمَ أنَّه كلامُ البشرِ، فَقَدْ كَفَرَ.

[٥١] وَقَدْ ذمَّهُ اللهُ وعابَهُ وأوعَدهُ بسَقَر، حيث قال تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدّثر: ٢٦].

وأراحوا الناس، ولكنهم في ضلال.

[٥٠] فمن سمع كلام الله وزعم أنه كلام البشر فقد كفر؛ لأنه جحد كلام الله عز وجل، فإذا لم يكن لله كلام ينزله على عباده فبم تقوم الحجة عليهم؟ فقصدهم بقولهم هذا هدم الشرائع، فإذا كان ليس في الكون كلام لله لا في التوراة ولا في الإنجيل ولا القرآن، فمعنى ذلك أنه ما قامت على الناس الحجة من الله، وهذا من أعظم الكفر وأعظم الضلال.

[٥١] وقد ذم الله عز وجل من قال هذه المقالة، فجعل القرآن كلام البشر، كما قال الوليد بن المغيرة المخزومي، وهو من أكابر كفار مكة ومن عظمائهم وكانوا يسمونه: زهرة مكة؛ لشرفه فيهم، فلما سمع القرآن من الرسول ﷺ أعجبه وعلم أنه ليس من كلام البشر، ومدح القرآن فقال: ليس بالشعر وليس بالسحر، أنا أعرف ضروب الشعر، وأعرف أنواع السحر، وأعرف الكهانة، وأعرف وأعرف... فليس القرآن من هذه الأمور. فعند ذلك توجه إليه قومه الكفار بالتوبيخ والتعنيف؛ لأن معنى هذا أنه اعترف للرسول عليه الصلاة والسلام بالرسالة، فلما رأى ذلك انحرف ـ والعياذ بالله ـ بالكلام فقال: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المدثر: ٢٥] فأنزل الله

[٥٢] فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرٍ لمنْ قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ عَلِمْنَا وأَيْقَنَّا أنه قولُ خالقِ البَشرِ.

[٥٣] ولا يُشْبِهُ قول البَشَرِ.

[٥٤] وَمَنْ وَصَفَ اللهَ بِمعنًى مِنْ مَعاني البشَرِ، فقدْ كَفَرَ.

عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر: ١٨ ـ ٢٥] قال عز وجل: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ٢٦]، وهي النار.

[٥٢] فمن قال: إن القرآن ليس كلام الله وإنه كلام البشر، أو المَلَك، فهو مثل الوليد بن المغيرة، فما الفرق بين هذا وهذا إلا أنه ادّعى الإسلام والوليد لم يدّعِ الإسلام؟ فدعوى الإسلام لا تكفي، فإنه إن كفر بالقرآن لم ينفعه ادعاء الإسلام؛ لأن هذا ردة ـ والعياذ بالله ـ. فتبين بهذا أنه لابد من الاعتراف بأن القرآن كلام الله حقيقة.

[٥٣] لو كان الكلام من كلام الرسول ﷺ فلا لوم على الوليد ابن المغيرة إن قال إن القرآن من كلام محمد ﷺ، فكيف يتوعده الله بهذا الوعيد الشديد؟ فدل على أنه قال مقالة عظيمة وفظيعة ـ حيث نسب القرآن لغير الله، وكل من سار على هذا المذهب وهذا المنهج فإنه مثل الوليد بن المغيرة، يكون في النار خالداً فيها.

[٥٤] يعني: من شَبَّه الله بمعنىً من معاني البشر فقد كفر لأنه تنقص الله عز وجل.

[٥٥] فمن أَبْصَرَ هذا اعْتَبَرَ.
[٥٦] وعَنْ مِثْلِ قولِ الكفَّارِ انْزَجَرَ.
[٥٧] وعَلِمَ أنَّه بصفاته ليسَ كالبشرِ.
[٥٨] والرؤْيةُ حقٌّ لأَهلِ الجَنَّةِ، بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ ولا كَيْفِيَّةٍ.

---

[٥٥] لأن هناك فرقاً واضحاً بين صفات الخالق وصفات المخلوق، وإن اشتركت في الاسم والمعنى، ولكن تختلف في الحقيقة وتختلف في الواقع والخارج، فلا تشابه بين كلام الله وكلام البشر، ولا تشابه بين سمع الله وسمع البشر، ولا تشابه بين بصر الله وبصر البشر، ولا علم الله وعلم البشر، ولا مشيئة وإرادة الله ومشيئة وإرادة البشر. ففرق بين صفات الله وصفات المخلوق، فمن لم يفرق بينهما صار كافراً.

[٥٦] من تدبر الآيات القرآنية التي أنزلها الله في الوليد بن المغيرة، من تدبرها عرف بطلان أقوال هذه الفرق الضالة في كلام الله عز وجل.

[٥٧] صفاته من الكلام وغيره ليست كصفات البشر للفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوق.

[٥٨] الرؤية: أي: رؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى، فإن المؤمنين يرون ربهم سبحانه وتعالى في الآخرة، يرونه عياناً بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر، وكما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحاب، كما أخبر المصطفى ﷺ بذلك في الأحاديث

....

الصحيحة المتواترة عنه عليه الصلاة والسلام[1]، ولذلك قال المصنف: الرؤية حق، أي: ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع أهل السنة والجماعة من السلف والخلف، ولم يخالف فيها إلا المبتدعة وأصحاب المذاهب المنحرفة.

فالمؤمنون يرون ربهم سبحانه وتعالى كما قال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وهي وجوه المؤمنين ﴿نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ يعني من النضرة وهي: البهاء والحسن ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾. [المطففين: ٢٤] وأما ﴿نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ فمعناها: المعاينة بالأبصار، تقول: نظرت إلى كذا، أي: أبصرته، فالنظر له استعمالات في كتاب الله عز وجل، إذا عُدِّي بـ (إلى) فمعناه المعاينة بالأبصار، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ . . .﴾ [الغاشية: ١٧، ١٨]، أي: ألم ينظروا بأبصارهم إلى هذه المخلوقات العجيبة الدالة على قدرة الله عز

---

(١) فعن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة ـ يعني البدر ـ فقال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته. . .**».
أخرجه البخاري رقم (٥٥٤) ومسلم رقم (٦٣٣).

....

وجل. وفي هذه الآية: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] معداة بـ (إلى).

وإذا عُدِّي النظر بنفسه وبدون واسطة فمعناه التوقف والانتظار: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد: ١٣]، ﴿ ٱنظُرُونَا ﴾ أي: انتظرونا من أجل أن نستضيء بنوركم؛ لأن المنافقين ينطفئ نورهم والعياذ بالله، فيبقون في ظلمة، فيطلبون من المؤمنين أن ينتظروهم حتى يقتبسوا من نورهم. وقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] أي: ما ينتظرون إلا مجيء الرب يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده.

وإذا عُدِّي النظر بفي فمعناه التفكر والاعتبار، كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، أي: يتفكروا في مخلوقات الله العلوية والسفلية، ويستدلون بها على قدرة الله الخالق سبحانه وتعالى واستحقاقه للعبادة.

الحاصل: أن النظر هنا عُدِّي بـ (إلى) ومعناه: الرؤية والمعاينة.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] فسر النبي ﷺ (الحسنى) بأنها الجنة، وفسر (الزيادة) بأنها

....

النظر إلى وجه الله الكريم، وهذا في صحيح مسلم[١].

وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ [ق: ٣٥] المزيد: هو النظر إلى وجه الله الكريم.

وقال تعالى عن الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥] فإذا كان الكفار محجوبين عن الله، أي: لا يرونه؛ لأنهم كفروا به في الدنيا فهم محجوبون عن النظر إليه يوم القيامة، وهذا أعظم حرمان وأعظم عذاب، والعياذ بالله، فدلت الآية على أن المؤمنين ليسوا محجوبين عن الله يوم القيامة، وأنهم يرونه بالنظر إليه في الآخرة؛ لأنهم آمنوا به في الدنيا ولم يروه، وإنما استدلوا عليه سبحانه بآياته ورسالاته، فالله أكرمهم بالنظر إليه يوم القيامة.

والنظر إلى وجه الله عز وجل أعظم نعيم في الجنة.

هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهذه بعض أدلتهم من القرآن.

وأما أدلتهم من السنة فكثيرة جداً بلغت حد التواتر، كما قال العلامة ابن القيم في كتابه القيم «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»، وساق الأحاديث الواردة في الرؤية وقد بلغت حد التواتر.

---

(١) أخرجه مسلم رقم (١٨١) والترمذي رقم (٢٥٥٧).

....

منها: قوله عليه الصلاة والسلام: «**إنكم سترون ربكم يوم القيامة، كما ترون القمر ليلة البدر، وكما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب، لا تُضامُون في رؤيته ـ أو: لا تَضامُّون في رؤيته ـ**»[1] يعني: لا تزدحمون على رؤية الله عز وجل؛ لأن كل واحد يرى الرب وهو في مكانه من غير زحام كما أن الناس يرون الشمس والقمر من غير زحام؛ لأن العادة إذا كان الشيء في الأرض وخفي يزدحمون على رؤيته، ولكن إذا كان الشيء مرتفعاً كالشمس والقمر فإنهم لا يزدحمون على رؤيته، كُلٌّ يراه وهو في مكانه، إذا كان هذا في المخلوق الشمس والقمر، فكيف في الخالق سبحانه وتعالى؟

ولم ينكر الرؤية إلا أهل البدع كالجهمية والمعتزلة الذين ينفون الرؤية، يقولون: يلزم من إثبات الرؤية أن يكون الله في جهة، والله عندهم ليس في جهة، وهو عندهم لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوق ولا تحت، ولا يمنة ولا يسرة، ليس في جهة، وهذا معناه أنه معدوم، تعالى الله عما يقولون، فنفوا الرؤية من أجل هذا الرأي الباطل.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٥٤، ٨٠٦، ٧٤٣٤) ومسلم رقم (١٨٢) بلفظ: «**تضارون**».

....

وأما الأشاعرة: لما لم يمكنهم إنكار الأدلة من الكتاب والسنة أثبوا الرؤية وقالوا: يُرى ولكن ليس في جهة، وهذا من التناقض العجيب! ليس هناك شيء يُرى وهو ليس في جهة، ولذلك رد عليهم المعتزلة؛ لأن هذا من المستحيل. وأهل السنة يقولون: يُرى سبحانه وتعالى وهو في جهة العلو من فوقهم، فالجهة إن أريد بها الجهة المخلوقة فالله ليس في جهة؛ لأنه ليس بحال في خلقه سبحانه وتعالى.

وإن أريد بها العلو فوق المخلوقات فهذا ثابت لله عز وجل، فالله في العلو فوق السماوات، فالجهة لم يرد إثباتها أو نفيها في كتاب الله، ولكن يقال فيها على التفصيل السابق.

ومعنى: «بغير إحاطة ولا كيفية» أنهم لا يحيطون بالله عز وجل، ويرونه سبحانه بغير إحاطة، والله عظيم لا يمكن الإحاطة به، قال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]، وقال جل وعلا: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] يعني: لا تحيط به، وليس معناه: لا تراه؛ لأن الله سبحانه وتعالى لم يقل: لا تراه الأبصار، إنما قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فالإدراك شيء والرؤية شيء آخر، فهي تراه سبحانه بدون إحاطة، وفي هذا رد على من استدل بهذه الآية على نفي الرؤية وقال: الرؤية لا تمكن؛ لأن الله

....

قال: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾. فنقول لهم: أنتم لا تعرفون معنى ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾.

﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾، معناها: لا تحيط به، وليس معناه: لا تراه، ولم يقل سبحانه: لا تراه الأبصار.

واستدلوا أيضاً فقالوا: موسى عليه السلام قال: ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾ [الأعراف: ١٤٣] هذا دليل على نفي الرؤية.

نقول لهم: هذا في الدنيا، لأن موسى سأل ذلك في الدنيا، ولا أحد يرى الله في الدنيا لا الأنبياء ولا غيرهم، وأما في الآخرة فيرى المؤمنون ربهم، وحال الدنيا ليست كحال الآخرة، فالناس في الدنيا ضعاف في أجسامهم وفي مداركهم، لا تستطيع أن ترى الله عز وجل، وأما في الآخرة فإن الله يعطيهم قوة يستطيعون بها أن يروا ربهم ـ جل وعلا ـ إكراماً لهم.

ولهذا لما سأل موسى ربه في هذه الآية: ﴿ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ [الأعراف: ١٤٣]الجبل اندك وصار تراباً، والجبل أصم صلب، فكيف بالمخلوق المكون من لحم ودم وعظام؟ فهو لا يستطيع رؤية الله في الدنيا.

وسؤال موسى رؤية الله دليل على جواز الرؤية وإمكانها؛ لأن

[٥٩] كما نَطَقَ به كِتَابُ رَبِّنا: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾.
[٦٠] وتَفْسِيرُهُ عَلى ما أَرادَهُ اللهُ تَعالَى وَعَلِمَه.

موسى لا يسأل ربه شيئاً لا يجوز، إنما سأله شيئاً يجوز، ولكن لا يكون هذا في الدنيا، فالله سبحانه قال: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ ولم يقل: إني لا أُرى.

فالله يُرى في الآخرة[1]، وأَوْلَى الناس بهذه الرؤية الأنبياء.

وقوله: «ولا كيفية» أي: لا يقال: كيف يرون الله؟ لأن هذا كسائر صفات الله عز وجل لا نعرف كيفيتها، فنحن نؤمن بها ونعرف معناها ونثبتها، ولكن الكيفية مجهولة ولا نعرفها، فالله أعلم بها سبحانه.

[٥٩] هذا صريح أنه نظر إلى الله بالأبصار حيث عُدِّي بإلى، فمعناه الرؤية بالأبصار، قالت المعتزلة: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا ﴾ (إلى) جمع بمعنى: نِعَم. أي: إلى نعم ربها ناظرة. وهذا تخريف يضحك منه العقلاء، لأن الحرف لا يحوَّل إلى جمع.

[٦٠] أي تفسير ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٣]، أي: على ما أراده

---

(١) فعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن».
أخرجه البخاري رقم (٤٨٧٨، ٤٨٨٠) ومسلم رقم (١٨٠).

[٦١] وكلُّ ما جاءَ في ذَلِكَ مِنَ الحديثِ الصَّحيحِ عَنِ الرسولِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فهو كما قال.

[٦٢] وَمَعناهُ على ما أرادَ.

[٦٣] لاَ نَدْخلُ في ذلك مُتأَوِّلينَ بآرَائِنا، ولا مُتوَهِّمِينَ بأَهْوَائنَا.

الله جل وعلا، وهو المعاينة بالأبصار، لا على ما أراده المبتدعة.

[٦١] كل ما جاء عن الرسول عليه الصلاة والسلام في إثبات الرؤية فهو حق على حقيقته، مثل ما جاء في القرآن سواء، يجب الإيمان به؛ لأن كلام الرسول ﷺ وحي من الله ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾ [النجم: ٣، ٤]، ويسمى بالوحي الثاني، ولقد أخبر النبي ﷺ في أحاديث كثيرة متواترة أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، فيجب الإيمان بذلك من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تمثيل ولا تكييف.

[٦٢] أي ما أراد الرسول ﷺ، لا على ما أراده المبتدعة والمحرفة.

[٦٣] كما يفعله الجهمية والمعتزلة ومن تتلمذ عليهم وأخذ برأيهم من التأويل الباطل.

بل الواجب علينا أن نتبع الكتاب والسنة، ولا نتدخل بعقولنا وأفكارنا ونحكمها على ماجاء في الكتاب والسنة، الواجب أن

[٦٤] فإِنَّهُ مَا سَلِمَ في دينه إلاَّ مَنْ سَلَّمَ للهِ عزَّ وَجَلَّ ولرسُولِه صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم.

الكتاب والسنة يحكمان على العقول والأفكار[1].

[٦٤] ومعنى (سلَّم) أي: قَبِلَ ما جاء عن الله، وعن رسوله ﷺ وآمن به على ما جاء، من غير أن يتدخل بتحريفه وتأويله، هذا معنى التسليم.

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «آمنت بالله وبما جاء في كتاب الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ» أي: لا على الهوى والتحريف وأقوال الناس[2].

من سَلَّم وانقاد وردَّ ما اشتبه عليه، ولم يعرف معناه أو لم يعرف كيفيته، رده إلى عالمه، وهو الله، سبحانه وتعالى، فالذي

---

(١) فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**إن أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخَصِمُ**».
أخرجه البخاري رقم (٢٤٥٧) ومسلم رقم (٢٦٦٨).

(٢) قال أبو عبدالله محمد بن عمر الرازي:

نهاية إقدام العقول عقال ... وغاية سعي العالمين ضلالُ
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٨/ ٩٦).

[٦٥] وردَّ عِلْمَ ما اشْتبَهَ عَلَيْهِ إلى عَالِمِهِ.
[٦٦] ولا تَثْبُتُ قَدَمُ الإسلام إلاَّ على ظَهْرِ التَّسْليمِ والاسْتِسْلَامِ.
[٦٧] فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُه، ولم يَقنع بالتَّسليم فَهْمُهُ،

يشكل عليه شيء يرجع إلى أهل العلم وفوق كل ذي علم عليم، فإن لم يكن عند العلماء علم بهذا فإنه يجب تفويضه إلى الله جل وعلا.
[٦٥] ولذلك كان النبي ﷺ إذا سأل أصحابه عن بعض الأشياء التي لا يعرفونها قالوا: الله ورسوله أعلم. فلا يدخلون في المتاهات ويتخرصون.

فإن وجدت عالماً موثوقاً يبين لك فالحمد لله، وإلا فابقَ على تسليمك واعتقادك أنه حق وأن له معنى، ولكن لم يتبين لك.
[٦٦] لا يثبت الإسلام الصحيح إلا بالتسليم لله عز وجل، قال سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

والاستسلام هو: الانقياد والطاعة لما جاء عن الله ورسوله ﷺ.
[٦٧] من لم يؤمن بما حجب عنه علمه، مثل علم الكيفية، فالواجب علينا الإيمان بها وردها، أي: رد علمها إلى الله عز وجل ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

حَجَبَه مَرامُهُ عَنْ خَالصِ التَّوحِيدِ، وصَافي المعرفةِ، وصَحيح الإيمانِ.
[٦٨] فيتَذبْذَبُ بينَ الكُفرِ والإيمانِ، والتَّصْدِيقِ والتَّكْذيبِ، والإِقْرَارِ والإِنكارِ.

فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٦].

وقال عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران: ٧]، حجب الله علمه عن الخلق فلا تتعب نفسك، ثم قال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران: ٧]. يسلِّمون ويستسلمون، ولا يمنعهم عدم معرفة معناه من الإيمان به والتسليم له. أو أن المعنى أنهم يردون المتشابه من كتاب الله إلى المحكم منه ليفسروه ويتضح معناه ويقولون: (كل من عند ربنا).

[٦٨] من لم يُسَلِّم لله ولا إلى الرسول، فإنه يحجب عن معرفة الله ومعرفة الحق، فيكون في متاهات وضلالات[١].

وهذه حال المنافقين الذين يتذبذبون، تارة مع المسلمين وتارة مع المنافقين، وتارة يصدقون وتارة يكذبون ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم

---

(١) فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثاً. أخرجه مسلم رقم (٢٦٧٠).

قال ابن الأثير في النهاية (٥/ ٧٤): «هم المتعمقون المغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم. مأخوذ من النِّطَع، وهو الغار الأعلى على الفم، ثم استعمل في كل تعمق قولاً وفعلاً» اهـ.

[٦٩] مُوَسْوِساً تَائِهاً، شَاكًّا، لا مُؤْمِناً مُصَدِّقاً، ولا جَاحداً مُكَذِّباً.

[٧٠] وَلا يَصحُّ الإيمانُ بالرُّؤْيَةِ لأَهْلِ دارِالسَّلامِ لِمن اعْتَبَرَهَا مِنْهُم بِوَهْم أَوْ تأَوَّلَها بِفَهْمٍ.

﴿مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ [البقرة: ٢٠]. أما أهل الإيمان فما عرفوا قالوا به، وما لم يعرفوا وكلوا علمه إلى الله جل وعلا، ولا يكلفون أنفسهم شيئاً لا يعرفونه، أو يقولون على الله ما لا يعلمون ـ فالقول على الله بغير علم هو عديل الشرك، بل هو أعظم من الشرك، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]. فجعل القول على الله بغير علم فوق الشرك بالله، مما يدل على خطورة القول على الله بغير علم.

[٦٩] هذه حالة أهل التردد والنفاق، دائماً شاكِّين، دائماً مترددين ومتذبذبين؛ لأنه ما ثبتت قدم أحدهم في الإسلام ولم يسلم لله ولا إلى رسول الله ﷺ.

كما ذكر الله عن المنافقين أنهم ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣]. ، ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة: ١٤، ١٥].

[٧٠] دار السلام هي الجنة، فلا يصح الإيمان بالرؤية أي رؤية الله فيها لمن يتوهم ويتأول فيها وينفي حقيقتها، ولم يسلم لله ولا إلى

[٧١] إذْ كانَ تأويلُ الرؤْيةِ وتأويلُ كلِّ مَعْنَىً يُضَافُ إلى الرُّبُوبيّةِ بتَرْكِ التَّأْويلِ ولُزوم التَّسْلِيمِ.

[٧٢] وعليه دينُ المسْلِمين.

[٧٣] ومن لم يَتَوقَّ النَّفْيَ والتشْبِيهَ، زلَّ ولمْ يُصِبِ التنْزِيهَ.

رسوله ﷺ، ويتدخل فيها بفكره وفهمه.

[٧١] كل هذا تأكيد لما سبق في أنه يجب التسليم لما جاء عن الله وعن رسول الله ﷺ، ومن ذلك الرؤية، لا نتدخل فيها كما تدخل أهل البدع، بل نثبتها كما جاءت ونؤمن بها، ونثبت أن المؤمنين يرون ربهم في عرصات يوم القيامة قبل دخول الجنة، وبعد دخولهم الجنة يرونه أيضاً، إكراماً لهم حيث آمنوا به في الدنيا ولم يروه.

[٧٢] وهذا الأمر عليه دين المسلمين، وهو الإيمان والتسليم لما جاء عن الله ورسوله، وعدم التدخل في ذلك بالأفهام والأوهام والتأويلات الباطلة، والتحريفات الضالة، هذا دين الإسلام، بخلاف غير المسلمين، فإنهم يتدخلون فيما جاء عن الله وعن رسوله عليه الصلاة والسلام، ويحرفون الكلم عن مواضعه.

[٧٣] لابد كما سبق من الوسط بين التعطيل وبين التشبيه، فلا يبالغ ويغلو في تنزيه الله حتى يعطل الله من صفاته كما فعل المعطلة، ولا يُثْبِت إثباتاً فيه غلو حتى يشبه الله بخلقه، بل يَعْتَدِل فيُثْبِتُ لله ما

[٧٤] فَإِنَّ رَبَّنا جَلَّ وعَلا موصوفٌ بصفاتِ الوحْدَانِيَّةِ .
[٧٥] مَنْعوت بِنعُوتِ الفَرَدَانِيَّةِ . ليسَ في معناهُ أحَدٌ من البَرِيَّةِ .
[٧٦] وتَعالَى عَنِ الحدُودِ والغَاياتِ، والأَرْكانِ والأَعْضَاءِ والأَدَواتِ.

ثبته لنفسه وأثبته له رسوله، من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تعطيل ولا تكييف، هذا هو الصراط المستقيم المعتدل .

فالله سبحانه وتعالى لا شبيه له، ولا مثيل ولا عديل له، سبحانه وتعالى .

[٧٤] صفات الوحدانية بأن الله واحد لا شريك له، لا في ربوبيته ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته، فهو واحد في كل هذه الحقائق .

[٧٥] منعوت، أي : موصوف بصفات الكمال، ونعوت الجلال، التي لا يشبهه فيها أحد من خلقه، بل أسماؤه وصفاته خاصة به ولائقة به، وصفات المخلوقين وأسماء المخلوقين خاصة بهم ولائقة بهم، وبهذا يتضح لك الحق والصواب، وتبرأ من طريقة المعطلة ومن طريقة المشبهة .

[٧٦] هذا فيه إجمال : إن كان يريد الحدود المخلوقة فالله منزه عن الحدود والحلول في المخلوقات، وإن كان يريد بالحدود : الحدود غير المخلوقة، وهي جهة العلو، فهذا ثابت لله جل وعلا وتعالى، فالله لا ينزه عن العلو، لأنه حق، فليس هذا من باب الحدود ولا من باب الجهات المخلوقة .

....

والغايات فيها إجمال أيضاً، فهي تحتمل حقاً وتحتمل باطلاً، فإن كان المراد بالغاية: الحكمة من خلق المخلوقات، وأنه خلقها لحكمة، فهذا حق، ولكن يقال: حكمة، لا يقال: غاية، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وإن أريد بالغاية: الحاجة إلى المخلوقات، فنعم، هذا نفي صحيح، فالله عز وجل لم يخلق الخلق لحاجته وفقره إليهم، فإنه غني عن العالمين.

(والأركان، والأعضاء، والأدوات) فيها إجمال أيضاً، إن أُريد بالأركان والأعضاء والأدوات: الصفات الذاتية مثل الوجه، واليدين، فهذا حق، ونفيه باطل. وإنْ أُريد نفي الأعضاء التي تشابه أعضاء المخلوقين وأدوات المخلوقين فالله سبحانه منزه عن ذلك، فالأبعاض والأعضاء فالحاصل أن هذا فيه تفصيل:

أولاً: إذا أُريد بذلك نفي الصفات الذاتية عن الله تعالى من الوجه واليدين، وما ثبت له سبحانه وتعالى من صفاته الذاتية، فهذا باطل.

ثانياً: أما إن أُريد بذلك أن الله منزه عن مشابهة أبعاض

[٧٧] لا تَحويهِ الجِهَاتُ السِّتُّ كسَائِرِ المُبْتَدَعَاتِ.

[٧٨] والمِعْرَاجُ حقٌّ، وقَدْ أُسْرِيَ بالنَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم.

المخلوقين وأعضاء المخلوقين وأدوات المخلوقين، فنعم، الله منزه عن ذلك؛ لأنه لا يشبهه أحد من خلقه، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته.

الحاصل: أن هذه الألفاظ التي ساقها المصنف فيها إجمال ولكن يحمل كلامه على الحق؛ لأنه ـ رحمه الله تعالى ـ من أهل السنة والجماعة، ولأنه من أئمة المحدثين، فلا يمكن أن يقصد المعاني السيئة، ولكنه يقصد المعاني الصحيحة، وليته فصّل ذلك وبيّنه ولم يجمل هذا الإجمال.

[٧٧] نقول: هذا فيه إجمال، إن أُريد الجهات المخلوقة، فالله منزّه عن ذلك، لا يحويه شيء من مخلوقاته، وإن أُريد جهة العلو وأنه فوق المخلوقات كلها، فهذا حق ونفيه باطل، ولعل قصد المؤلف بالجهات الست، أي: الجهات المخلوقة؛ لا جهة العلو لأنه مثبت للعلو ـ رحمه الله ـ، ومثبت للاستواء.

[٧٨] معنى الإسراء هو السير ليلاً، فقد أُسري بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة واحدة.

أسرى به جبريل بأمر من الله تعالى قال تعالى ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

وهذا من معجزاته عليه الصلاة والسلام؛ لأن هذه المسافة

....

كانت تقطع في شهر أو أكثر، وقطعها النبي ﷺ في ليلة واحدة.

وأما المعراج: فهو آلة **الصعود وعرج، يعني صعد** ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]. يعني: تصعد، فالعروج معناه: الصعود، والمعراج آلة الصعود التي يصعد بها.

وكلاهما ثابت للنبي ﷺ[1].

فالإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأما المعراج فمن الأرض إلى السماء، وكل هذا حصل في ليلة واحدة، أُسري به إلى بيت المقدس وصلى فيه بالأنبياء، ثم عرج به إلى السماء وجاوز السبع الطباق، وأراه الله من آياته ما أراه من آياته الكبرى، ثم نزل إلى الأرض، ثم جاء به جبريل إلى المكان الذي أُسري به منه في ليلة واحدة.

فالإسراء مذكور في سورة الإسراء، والمعراج مذكور في سورة النجم ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ١ ـ ٥] يعني: جبريل ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ [النجم: ٦، ٧]

---

(١) حديث الإسراء والمعراج أخرجه البخاري رقم (٣٢٠٧، ٧٥١٧) ومسلم رقم (١٦٢).

[٧٩] وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ في اليقَظَةِ إلى السَّماءِ.

[٨٠] ثُمَّ إلى حيث شاءَ الله مِنَ العُلا. وأكْرَمَهُ الله بِمَا شَاءَ.

[٨١] وأوْحَى إليْهِ مَا أَوْحَى ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾.

هذا العروج، ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ من ربه سبحانه وتعالى أو أن جبريل دنا من الرسول ﷺ: ﴿فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ٨ ـ ١٠].

فالإسراء والمعراج حق، ومن أنكرهما واستبعدهما فهو كافر بالله عز وجل، ومن تأولهما فهو ضال، ولم ينكره إلا المشركون. فمن يقول: أُسري بروحه دون جسده، أو كان ذلك مناماً لا يقظة، فهذا ضلال؛ لأن الله قال: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ والعبد اسم للروح والبدن، لا يقال للروح إنها عبد، وكان الإسراء في حال اليقظة ولم يكن مناماً؛ لأن المنام ليس فيه عبرة، كل الناس يرون الرؤيا ويرون عجائب، وليست خاصة بالنبي ﷺ.

[٧٩] عرج بشخصه، رد على الذين يقولون: عرج بروحه، بل عرج بشخصه ـ والشخص اسم للروح والجسم، والله يقول: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾.

[٨٠] هذا المعراج إلى السماء.

[٨١] أوحى الله إليه بذلك المكان ما أوحى، وكلمه الله سبحانه ولم ير الله؛ لأن الله لا يرى في الدنيا.

هذا المعراج المذكور في سورة النجم.

[٨٢] فَصَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ في الآخِرَةِ والأُولَى.

[٨٣] والحوْضُ الذِي أكرَمَهُ الله تعالَى بِهِ ـ غِيَاثًا لأُمته ـ حَقٌّ.

---

[٨٢] هذا من حقوقه عليه الصلاة والسلام: أن يصلى عليه ويسلم عند ذكره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ولما أصبح النبي ﷺ في مكة وأخبر المشركين بهذه الحادثة اشتد كفرهم وتكذيبهم بهذه المناسبة؛ من أجل أن يشوهوا الرسول ﷺ. ويقولون: نحن نمشي إلى فلسطين مدة شهر فأكثر، وهو يقول: في ليلة واحدة! فارتد بعض ضعاف الإيمان بسبب هذه الحادثة، وأما أهل الإيمان الصحيح فثبتوا وصدقوا، ولهذا لما قالوا لأبي بكر رضي الله عنه: أما ترى صاحبك كيف يقول؟ قال: وماذا يقول؟ قالوا: إنه يقول: إنه ذهب إلى بيت المقدس وجاء في ليلة واحدة، قال: فإن كان قاله فهو كما قال. لأنه لا ينطق عن الهوى. وقال: أنا أصدقه بخبر السماء ـ أي الوحي ـ أفلا أصدقه في هذا!؟ هذا هو الإيمان الثابت الراسخ الذي لا يتزعزع.

[٨٣] من جملة ما يعتقده أهل السنة والجماعة ما صح فيه الخبر عن رسول الله ﷺ من أمور يوم القيامة، وما يحدث في يوم القيامة من أمور، فمن ذلك:

....

الحوض: فإن النبي ﷺ أخبرنا أن له حوضاً [١] في يوم القيامة في المحشر يرده أتباعه الذين آمنوا به واتبعوه، فيشربون منه، فإذا شربوا منه شربة واحدة لم يظمؤوا بعدها أبداً، وذلك لأن يوم القيامة يوم شديد وعصيب وفيه حر شديد.

فيحصل الظمأ الشديد، فجعل الله هذا الحوض غياثاً لأمة محمد ﷺ يغيثهم به، ومعلوم أن الغيث الذي ينزله الله من السماء تحيا به الأرض وتحيا به النفوس، فكذلك الحوض فإنه غياثٌ يغيث الله به العباد عند شدة حاجتهم إلى الماء.

والحوض هو مجمع الماء، وقد وصفه عليه الصلاة والسلام بأنه حوض عظيم طوله شهر وعرضه شهر، وآنيته عدد نجوم السماء، وأن من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً، ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل [٢].

---

(١) فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء**».
أخرجه البخاري رقم (٦٥٨٠) ومسلم رقم (٢٣٠٣).

(٢) فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً**».

....

وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه يرده أقوامٌ ثم يذادون ويمنعون من الشرب منه، فيقول الرسول ﷺ: «يا رب، أمتي، أمتي» فيقول الله عز وجل: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» فيقول عليه الصلاة والسلام: «سُحقاً وبُعداً لمن بدّل وغيّر»[1]، وويمنع من وروده أهل البدع المضلة المخالفون لرسول الله ﷺ الذين كفروا وارتدوا على أعقابهم، تاركين السنة، وذاهبين بأهوائهم وآرائهم المذاهب المنحرفة، هؤلاء يمنعون من حوض النبي ﷺ؛ لأنهم بدلوا وغيروا من هدي النبي ﷺ، ولا يرده إلا من كان متبعاً لسنة رسول الله ﷺ قولاً وعملاً واعتقاداً، وبعض العلماء يرى أن الكوثر المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١] هو الحوض، وبعض العلماء يرى أن معنى الكوثر: الخير الكثير، ولا شك أن الحوض يدخل في هذا الخير الكثير؛ لأنه خير لهذه الأمة[2]، فهذا

= أخرجه البخاري رقم (٦٥٧٩) ومسلم رقم (٢٢٩٢).

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٥٨٢، ٦٥٨٤، ٧٠٥١)، ومسلم رقم (٢٢٩١، ٢٣٠٤).

(٢) فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه.

=

[٨٤] والشفَاعَةُ التي ادَّخَرَها لَهُم حَقٌّ، كما رُوِيَ في الأَخْبارِ.

هو حوض النبي ﷺ، فيجب الإيمان به واعتقاده، وأن يتمسك الإنسان بالسنة، حتى يَرِدَ هذا الحوض، ولا يُرَدَّ عنه يوم القيامة.

[٨٤] الشفاعة أيضاً من مسائل العقيدة المهمة[1]؛ لأنه قد ضل في إثباتها أناس، وغلا في إثباتها أناس، وتوسط فيها أناس.

فالشفاعة يوم القيامة الناس فيها على ثلاثة أقسام:

قوم غلوا في إثباتها حتى طلبوها من الأموات ومن القبور ومن الأصنام والأشجار والأحجار ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

= أخرجه البخاري رقم (٤٩٦٦، ٦٥٧٨).

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت عليَّ آنفاً سورة» فقرأ: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة...».

أخرجه مسلم رقم (٤٠٠).

(١) حديث الشفاعة أخرجه البخاري رقم (٣٣٤٠، ٤٧١٢، ٧٥١٠) ومسلم رقم (١٩٣، ١٩٤). وفيه: «ائتوا النبي ﷺ فيأتوني فأسجد تحت العرش فيقال: يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعطه».

....

وطائفة غلت في نفي الشفاعة كالمعتزلة والخوارج، فإنهم نفوا الشفاعة في أهل الكبائر، وخالفوا ما تواترت به الأدلة من الكتاب والسنة في إثبات الشفاعة.

وأهل السنة والجماعة توسطوا فأثبتوا الشفاعة على الوجه الذي ذكره الله ورسوله، وآمنوا بها من غير إفراط ولا تفريط.

والشفاعة في اللغة مأخوذة من الشفع، وهو ضد الوتر، فالوتر هو الفرد الواحد. والشفع هو أكثر من واحد، اثنين أو أربعة أو ستة، وهو ما يسمى بالعدد الزوجي.

وشرعاً: الوساطة في قضاء الحاجات، وساطة بين مَنْ عنده الحاجة وصاحب الحاجة، وهي على قسمين: شفاعة عند الله، وشفاعة عند الخلق.

فالشفاعة عند الخلق على قسمين:

شفاعة حسنة، وهي في الأُمور الحسنة النافعة المباحة، تتوسط عند مَنْ عنده حاجات الناس من أجل أن يقضيها لهم، قال سبحانه: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان**

....

رسوله ما شاء»[١] هذه شفاعة حسنة وفيها أجر؛ لأن فيها نفعاً للمسلمين في قضاء حاجاتهم وحصولهم على مطلوبهم الذي فيه نفع لهم، وليس فيها تعدٍّ على أحد أو ظلمٌ لأحد.

والقسم الثاني: شفاعة سيئة، وهي التوسط في أُمور محرمة، كالشفاعة في إسقاط الحدود إذا وجبت، وهذا يدخل فيمن لعنه النبي ﷺ في قوله: «**لعن الله من آوى محدثاً**»[٢]. والشفاعة أيضاً في أخذ حقوق الآخرين وإعطائها لغير مستحقها، قال تعالى: ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

أما الشفاعة عند الله فليست كالشفاعة عند المخلوق، فالشفاعة عند الخالق: أن يكرم الله جل وعلا بعض عباده في أن يدعو لأحد المسلمين المستحقين للعذاب بسبب كبيرة ارتكبها، فيشفع عنده الشافع في أن يعفو عنه ولا يعذبه؛ لأنه مؤمن موحد،

---

(١) أخرجه البخاري رقم (١٤٣٢) ومسلم رقم (٢٦٢٧).

(٢) فعن علي رضي الله عنه قال: ما عندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي ﷺ: «**المدينة حرم ما بين عائر إلى كذا، من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل. . .**».
أخرجه البخاري رقم (١٨٧٠) ومسلم رقم (١٣٧٠).

....

فيشفع الشافع عند الله جل وعلا بأن يعفو عنه، أو فيمن دخل النار في معصية فيشفع الشافع عند الله في أن يخرج ويرفع عنه العذاب، وهي ما تسمى بالشفاعة في أهل الكبائر.

لكن الشفاعة عند الله يشترط لها شرطان:

الشرط الأول: أن تكون بإذن الله، فلا أحد يشفع عند الله إلا بإذن، فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع، أما من قبل أن يأذن فلا أحد يتقدم إلى الله عز وجل: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وليس كالمخلوق الذي يتقدم الناس للشفاعة عنده وإن لم يأذن، فالله جل وعلا لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه.

الشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد وأهل الإيمان، ممن يرضى الله عنهم قولهم وعملهم، ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، أي: رضي الله قوله وعمله، وجاء الشرطان في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم: ٢٦]. أن يأذن الله هذا الشرط الأول، ويرضى هذا الشرط الثاني.

أما الكافر فإنه لا تنفعه الشفاعة ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر: ٤٨]، ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ

....

يُطَاعُ ﴿١٨﴾ [غافر: ١٨] فالشفاعة في القرآن شفاعتان؛ شفاعة منفية وهي التي انتفت شروطها، وشفاعة مثبتة وهي التي تحققت شروطها.

فالكافر لا تنفعه الشفاعة؛ لو شفع فيه أهل السماوات وأهل الأرض ما قبل الله فيه شفاعتهم؛ لأنه مشرك كافر بالله عز وجل، لا يرضى الله قوله ولا عمله، إلا ما جاء في شفاعة النبي ﷺ في عمه أبي طالب، فهي شفاعة خاصة، وأيضاً ليست شفاعة من أجل خروجه من النار، إنما هي شفاعة من أجل تخفيف العذاب عن هذا الرجل؛ لما حصل منه من مؤازرة النبي ﷺ وحمايته له ـ عليه الصلاة والسلام ـ والمدافعة عنه، فالنبي ﷺ يشفع في تخفيف العذاب عنه فقط.

هذه هي الشفاعة الثابتة بشروطها، وهي أنواع:

منها: أنواع خاصة بالنبي ﷺ، وأنواع مشتركة بينه وبين غيره من الأنبياء، والملائكة والصالحين والأفراط الذين ماتوا قبل البلوغ، كل هؤلاء يشفعون عند الله سبحانه وتعالى.

وأما **الشفاعة الخاصة بالنبي** ﷺ فهي أنواع:

أولها: شفاعته عليه الصلاة والسلام في أهل الموقف إذا طال

....

الموقف يوم القيامة، واشتد الكرب، واشتد الزحام، ودنت الشمس من الرؤوس، وحصل الكرب العظيم، أهل المحشر يريدون من يشفع لهم لفصل القضاء بينهم وصرفهم من هذا الموقف: إما إلى جنة وإما إلى نار؛ فيذهبون إلى آدم عليه السلام فيعتذر لهيبة المقام وجلالته، ثم يذهبون إلى نوح عليه السلام أول الرسل فيعتذر، ثم يذهبون إلى موسى كليم الله فيعتذر، ثم يذهبون إلى عيسى عليه السلام فيعتذر أيضاً، ثم يذهبون إلى محمد ﷺ فيقول: «**أنا لها، أنا لها**» ثم يأتي فيخر ساجداً بين يدي الله عز وجل، ويحمده ويثني عليه ويدعوه حتى يقال له: «**ارفع رأسك، وسل تُعطه، واشفع تشفع**»[1] بعد الدعاء والاستئذان، لا يشفع مباشرة، بل يسجد ويدعو ويثني على الله ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته، ثم يؤذن له بالشفاعة، ثم يشفع للفصل بين الخلائق فيقبل الله شفاعته، ويأتي سبحانه وتعالى لفصل القضاء بين عباده، قال سبحانه: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ ﴾ [الفجر: ٢١، ٢٢] وقال سبحانه: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [البقرة: ٢١٠].

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٣٤٠، ٤٧١٢، ٧٥١٠) ومسلم رقم (١٩٣، ١٩٤).

....

هذه شفاعته عليه الصلاة والسلام في الفصل بين الخلائق، وهي مقام عظيم شَرَّفَ الله به النبي ﷺ، وهي المقام المحمود الذي قال الله سبحانه فيه: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩ ﴾ [الإسراء: ٧٩]؛ لأنه يحمده عليه الأولون والآخرون، ويظهر فضله عليه الصلاة والسلام في هذا الموقف العظيم.

الشفاعة الثانية: الخاصة بالنبي ﷺ: شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة[١]، فأول من يستفتح باب الجنة هو محمد ﷺ، وهو أول من يدخلها[٢]، وأول من يدخلها من الأمم أمته عليه الصلاة والسلام.

---

(١) فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا أول شفيع في الجنة**» أخرجه مسلم رقم (١٩٦).

(٢) فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحدٍ قبلك**». أخرجه مسلم رقم (١٩٧).

....

الشفاعة الثالثة: الخاصة بالنبي ﷺ: شفاعته لأهل الجنة بأن يرفع الله منازلهم ودرجاتهم، فيشفع في أناس في أن يرفع الله درجاتهم في الجنة، فيرفعهم الله بشفاعته عليه الصلاة والسلام.

الشفاعة الرابعة: ـ وهي مشتركة ـ الشفاعة في أهل الكبائر من المؤمنين فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها، وهذه هي محط الخلاف بين الفرق؛ فالجهمية والخوارج وأضرابهم أنكروها وقالوا: من دخل النار لا يخرج منها، وأهل السنة والجماعة أثبتوها كما جاءت واعتقدوها، ويجب على المسلم أن يعتقدها ويؤمن بها، وأن يسأل الله أن يُشَفِّعَ فيه نبيَّه عليه الصلاة والسلام؛ لأنه بحاجة إليها.

الشفاعة الخامسة: وهي خاصة بالنبي ﷺ، وهي شفاعته في عمه أبي طالب، أبو طالب مات على الشرك وعلى دين عبدالمطلب المشرك، قال: هو على ملة عبدالمطلب، ومات على ذلك، فصار من أهل النار الخالدين فيها. ولكن الله عز وجل يشفع رسوله عليه الصلاة والسلام في تخفيف العذاب عنه، فيكون في ضحضاح من نار، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، مع أنه أهون أهل النار

[٨٥] والميثاقُ الذي أخَذَهُ اللهُ تعالَى مِنْ آدمَ وذُرِيَّتِهِ حَقٌّ.

عذاباً[١].

والشفاعة في أهل الكبائر مشتركة، فالملائكة يشفعون، والأنبياء يشفعون، والأولياء والصالحون يشفعون[٢]، والأفراط يشفعون لآبائهم.

[٨٥] الميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً حق، كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ أخبرنا أن الله استخرج ذرية آدم من ظهره كأمثال الذر، وأشهدهم على أنفسهم بالوحدانية، وأخذ عليهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً[٣]،

(١) فعن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: «ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «**هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**».
أخرجه البخاري رقم (٣٨٨٣) ومسلم رقم (٢٠٩).

(٢) فعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً قال: «**فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط، قد عادوا حمماً فيلقيهم في نهرٍ في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة...**» أخرجه مسلم رقم(١٨٣).

(٣) فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان ـ يعني عرفة ـ فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه، ثم كلمهم قبلاً، قال: ﴿ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾ إلى قوله: ﴿المبطلون﴾.**

=

....

فنحن نؤمن بذلك، وهذا العهد والميثاق لا يكفي، بل لابد معه من إرسال الرسل، ولذلك أرسل الله الرسل، ولو كان هذا يكفي وحده لما أرسل الله الرسل، ولكن أرسل الرسل من أجل أن تذكر به وتدعو الناس إلى ما تضمنه.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فذهب بعض المفسرين إلى أن هذا هو العهد الذي أخذه الله على ذرية آدم والميثاق، وليس كذلك، بل هذا شيء آخر، والله يقول: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل: من ظهر آدم، وتكملة الآية: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾، وقال بعض العلماء: معنى ذلك: الفطرة التي فطرهم الله عليها، والآيات الكونية التي نصبها الله لهم؛ ليعرفوا منها ربهم.

فالله سبحانه فطرهم على التوحيد وعلى الإسلام[1] ﴿فَأَقِمْ

= أخرجه أحمد ١/ ٢٧٢ والحاكم ٢/ ٥٤٤ وصححه ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٥: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وصحح إسناده الشيخ شاكر في تحقيق المسند رقم (٢٤٥٥).

(١) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تُنتجُ البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**» ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فطرة الله التي فطر =

....

وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾ [الروم: ٣٠] وهي دين الإسلام ودين التوحيد، فالإسلام معناه التوحيد الذي جاءت به الرسل، ومعناه: عبادة الله وحده لا شريك له، هذا هو الدين القيم.

ومع هذا نصب الأدلة على ربوبيته فيما يشاهدونه في أنفسهم من خلقهم العجيب، وما فيهم من الآيات العجيبة التي تدل على الخالق سبحانه وتعالى، وكذلك ما نصبه أمامهم من السماوات والأرض والمخلوقات التي تدل على الخالق، إن هذه المخلوقات لابد لها من خالق، لم توجد صدفة أو توجد بدون خالق ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

كل ما أمامك يدل على وحدانية الله، ويشهد لله بالانفراد في خلق هذه المخلوقات ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟

= الناس عليها﴾ الآية.
أخرجه البخاري رقم (١٣٥٨).

[٨٦] وقَدْ عَلِمَ اللهُ تعالَى فِيما لم يزلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ، وعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النارَ جُمْلَةً واحِدَةً، فَلا يزْدادُ في ذلك العَدَدُ، ولا يَنقُصُ مِنْهُ.

﴿ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الحج: ٧٣] فالخالق الله سبحانه، ولا أحد يخلق معه، فكيف يُعبد غيره ممن لا يخلق ولا يرزق ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً؟! فمعنى الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ . . .﴾ [الأعراف: ١٧٢] شهادة الفطرة وشهادة الكائنات على وحدانية الله سبحانه وتعالى، وليس لأحد أن يعتذر يوم القيامة ويقول: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فالاحتجاج بالتقليد لا يصلح أمام البراهين القاطعة والأدلة الساطعة.

[٨٦] هذا الكلام ومابعده من كلام الشيخ ـ رحمه الله ـ كله في موضوع القضاء والقدر.

والإيمان بالقضاء والقدر هو أحد أركان الإيمان الستة، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[١]، وفي القرآن قوله جل وعلا: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩] وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢].

فليس هناك شيء بدون تقدير، أو أن هناك أشياء تقع صدفة،

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٠) ومسلم رقم (١٠).

....

أو أن الأمر أُنف ؛ إن كل شيء يحدث فإنه مقدر ومكتوب .

والإيمان بالقضاء والقدر يتضمن أربع درجات ، نلخصها فيما يلي :

المرتبة الأولى : الإيمان بعلم الله الشامل المحيط بكل شيء ، وأن الله علم الأشياء أزلاً ، علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، لا يخفى على علمه شيء سبحانه وتعالى .

المرتبة الثانية : أن الله جل وعلا كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق ، بعد أن علمها سبحانه .

وهي الكتابة العامة الشاملة لكل شيء ، وفي الحديث : «**إن أول ما خلق الله القلم ، قال : اكتب ، قال : ما أكتب؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**»[١] فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة .

المرتبة الثالثة : مرتبة المشيئة ، لايكون في هذا الكون شيء إلا بإرادة الله ومشيئته مما هو في اللوح المحفوظ ، وفي علمه

---

(١) أخرجه أبو يعلى رقم (٢٣٢٩) مرفوعاً والبيهقي في سننه الكبرى (٩/ ٣) موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما . وأخرجه أبو داود رقم (٤٧٠٠) والترمذي رقم (٢١٦٠).

....

سبحانه وتعالى، لا يحدث شيء بدون إرادته، ولا يكون في ملكه ما لا يريد سبحانه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ [الحج: ١٤]، ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾ [آل عمران: ٤٠]، فما يحدث في هذا الكون من حياة وموت، وغنىً وفقر، وإيمان وكفر، كل ذلك شاءه الله وأراده، شاء الخير وشاء الشر، وشاء الإيمان وشاء الكفر، فدخل في مشيئته كل شيء، ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن.

المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق والإيجاد، فما شاءه وأراده فإنه يوجده ويخلقه ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢] ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ، ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ [الحديد: ٢٢]،.

وأدلة العلم أدلة كثيرة جداً.

ومن جملة الذي وصف الله به نفسه، العلم، فإنه سبحانه وتعالى يعلم عدد من يدخل الجنة ومن يدخل النار، وذلك في علمه الأزلي.

وأن ما قدره الله تعالى، لا يزاد فيه ولا ينقص، ومن ذلك: أنه يعلم أهل الجنة وأهل النار، ويعلم ما هم عاملون، نؤمن بذلك

....

ونتجه إلى العمل، ولا نتناقش في القضاء والقدر: كيف؟ ولماذا؟ وكيف يُحَاسِبُ على شيء قد قدره؟ إلى آخر الهذيانات وإضاعة الأوقات، والاعتراض على الله عز وجل.

الواجب عليك فعل الطاعات واجتناب المعاصي، فليس شأن العبد التفتيش في سر الله عز وجل ومخاصمة الرب جل وعلا، إنما شأنه العمل، ولذلك لما أخبر النبي ﷺ أصحابه أن ما منهم من أحد إلا مكتوب مقعده من الجنة أو مقعده من النار، قالوا: يا رسول الله، ألا نتكل على كتابنا ونترك العمل؟ قال: «لا، اعملوا **فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلق له**»[1]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ ﴾، [الليل: ٤ ـ ٧] السبب من العبد نفسه، إما أن يسعد وإما أن يشقى ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ [الليل: ٨ ـ ١٠]، فالمطلوب منا العمل الصالح وترك العمل السيء.

أما الاحتجاج بالقضاء والقدر فليس بعذر، فإن الله عز وجل قد بين لنا الخير والشر فليس هناك عذر، فالناس يقعون في مشاكل بسبب دخولهم في أشياء ليست من اختصاصهم، فيقول: إن كان الله

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٦٠٥) ومسلم رقم (٢٦٤٧).

[٨٧] وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُم فِيمَا عَلِمَ مِنْهُم أَنْ يفعلُوه.
[٨٨] وكُلٌّ مُيَسرٌ لما خُلِقَ لَه.

قد كتب لي أن أدخل الجنة دخلتها، وإن كان قد كتب لي أن أدخل النار دخلتها، ولا يعمل شيئاً.

فيقال له: أنت لا تقول بهذا في نفسك، هل تقعد في البيت وتترك طلب الرزق وتقول: إن كان الله قد كتب لي رزقاً فسييسره لي؟ أو تخرج وتسعى وتطلب الرزق؟ البهائم والطيور لا تقعد في أوكارها، بل تخرج وتطلب الرزق، وجاء في الحديث: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً**»[1] فالله فطرها على طلب الرزق، وعلى فعل الأسباب، وهي بهائم، وأنت رجل عاقل!

وأيضاً: لوأن أحداً سرق منك شيئاً، هل تقول: هذا قضاء وقدر، أم تشتكيه؟ بل تشتكيه وتطلب وتخاصم، ولا تحتج بالقضاء والقدر!

[٨٧] أي: علم أفعالهم في الأزل.

[٨٨] قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٠، ٥٢ وعبد بن حميد رقم (١٠) الترمذي رقم (٢٣٤٤)، وابن ماجه رقم (٤١٦٩) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصحح إسناده الشيخ شاكر في تحقيق المسند رقم (٢٠٥، ٣٧٠، ٣٧٣).

[٨٩] والأَعْمَالُ بالخَواتِيمِ.

لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥ـ١٠].

[٨٩] (والأعمال بالخواتيم): الإنسان لا يغتر بعمله وإن كان أصلح الصالحين، بل يخاف من سوء العاقبة، ولا يحكم على أحد بأنه من أهل النار بموجب أفعاله؛ لأنه لا يدري بماذا يختم له، ويوضح ذلك حديث النبي ﷺ من حديث ابن مسعود: «**إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»[1].

فالإنسان يخاف من سوء الخاتمة، ولا يحكم على أحد بسوء الخاتمة؛ لأنه لا يدري بما يختم له. فالتوبة تَجُبُّ ما قبلها: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ...﴾ [الأنفال: ٣٨].

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٨٠٢٣) ومسلم رقم (٣٤٦٢).

[٩٠] والسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بقضَاءِ اللهِ، والشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بقضَاءِ اللهِ.

[٩١] وأصلُ القَدَرِ سِرُّ الله تعالى في خَلْقِه.

[٩٢] لَمْ يَطَّلِعْ عَلى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نَبيٌّ مُرْسَلٌ.

فالأعمال بالخواتيم، ولكن من لطف الله عز وجل بعباده أنَّ مَنْ عاش على الخير فإنه يختم له بالخير، ومن عاش على الشر فإنه يختم له بالشر، فالإنسان يعمل الأسباب ويحسن الظن بالله عز وجل.

وبعض الناس يقول: أتوب قبل الموت، فنقول له: وهل تدري متى تموت؟ يمكن أن تموت في لحظة لا يمكن معها التوبة، ولا تدري هل التوبة مقبولة أم لا؛ لأن التوبة لها شروط.

[٩٠] لا يشقى بقضاء الله عز وجل، إنما يشقى بعمله الذي قدره الله له. مَنْ قدر الله أنه يشقى أو يسعد فسييسره له.

[٩١] أي: لن تصل إلى سره، مهما حاولت التفتيش في القضاء والقدر. فلا تكلف نفسك، ولكن آمن بالقضاء والقدر، واعمل الأعمال الصالحة واجتنب الأعمال السيئة، وأما أن تبحث عن أسرار القدر فهذا ليس من اختصاصك، ولا هو من شأنك، وما كلفت به.

[٩٢] هذا من شأن الله عز وجل، ومن الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، ولا يعلمه غيره، لا الملائكة ولا الأنبياء ولا غيرهم، وأفضل الرسل

[٩٣] والتَعَمُّقُ والنَّظَرُ في ذلكَ ذَرِيعَةُ الخِذْلاَنِ، وَسُلَّمُ الحِرْمَانِ، ودَرَجَةُ الطُّغْيَانِ.

[٩٤] فالحذَرَ كُلَّ الحذَر مِنْ ذَلِكَ نَظَراً وفِكْراً وَوَسْوَسَةً.

[٩٥] فإن الله تعالى طَوَى عِلْمَ القَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ.

[٩٦] وَنَهَاهُم عَنْ مرامِهِ.

يقول: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

[٩٣] هذا كلام عظيم، أي التعمق في القضاء والقدر ومسائله، وإشغال الوقت والنفس والقلب، مما يورث الشكوك ويخذل عن العمل، فهذا من اللعب والخذلان.

إذا خذل الله العبد شغله في هذه الأمور، وإذا أكرم الله العبد شغله في طاعته، واغتنام وقته.

فنحن لنا حدود لا نتعداها، فالله ما كلفنا بالبحث في القضاء والقدر، ولكن كلفنا باعتقاد ذلك وبالعمل الصالح وترك العمل السيء.

[٩٤] أي احذر من هذه الأمور، والنظر في هذه الأمور، والتفكير فيها، والوسوسة وهي: التردد والشك، اترك هذه الأمور، وسد هذا الباب أصلاً.

[٩٥] هذا تأكيد لما سبق «القدر سر الله تعالى» ومعنى طوى: أخفى، فطوى الله هذه المعلومات عن خلقه؛ لأنه ليس لهم فيها مصلحة.

[٩٦] عن مرام القدر أن يبحثوا فيه، والنبي ﷺ غضب لما رأى

[٩٧] كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.
[٩٨] فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَابِ.

الصحابة يتساءلون في هذا فقال: «أبهذا أُمرتم؟ أم لهذا خُلقتم؟»[1].

[٩٧] أنت لا تسأل الله ولا تناقشه عن أفعاله وعن قضائه وقدره، تأدب مع الله؛ لأنك عبد، فلا تتدخل في شؤونه جل وعلا، فالله لا يسأل عما يفعل؛ لأن الله لا يفعل شيئاً إلا لحكمة، والحكمة قد تظهر وقد تخفى علينا، فنؤمن بأن الله لا يفعل شيئاً عبثاً؛ إنما يفعله لحكمة، سواءً ظهرت لنا أو لم تظهر.

فالإنسان مسؤول عن عمله، ليس مسؤولاً عن أعمال الله عز وجل، فاعتنِ بما أنت مسؤول عنه يوم القيامة، وهو عملك، فعلى العبد التسليم لله.

[٩٨] أي قال: لم فعل الله كذا؟ لم قَدَّرَ الله كذا وكذا؟ فمن قال

---

(١) فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال: فكأنما تفقأ في وجهه حبُّ الرمان من الغضب، قال: فقال: «ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟! بهذا هلك من كان قبلكم» قال: فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله لم أشهده بما غبطت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده.
أخرجه أحمد ٢/ ١٧٨، ١٨١، ١٨٥، ١٩٥ وابن ماجه رقم (٨٥) وصححه الشيخ شاكر في تحقيق المسند رقم (٦٦٦٨).

[٩٩] وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَاب كانَ مِنَ الكافِرين .
[١٠٠] فَهَذَا جُمْلَةُ ما يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ هُو مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلياءِ اللهِ تعالى .
[١٠١] وهي دَرَجَةُ الرَّاسِخينَ في العِلْمِ .

هذا، فقد رد حكم الكتاب؛ لأن الله يقول: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

[٩٩] فمن رد حكم الكتاب والسنة، واعترض على ذلك، وذهب إلى العقل والتفكير صار من الكافرين[١]؛ لأن الإيمان بالكتاب والسنة هما ركنان من أركان الإيمان.

[١٠٠] أي يحتاجه في أمور القضاء والقدر، فأنت تؤمن بالقدر ومراتبه الأربع؛ تؤمن بتفاصيلها التي جاءت في الكتاب والسنة، ولا تدخل في المناقشات والاعتراضات، بل تعمل العمل الصالح والأسباب المناسبة.

[١٠١] الراسخون، يعني: الثابتين في العلم، الذين عندهم علم راسخ، وليس عندهم شكوك ولا جهل، فهم يؤمنون بالقضاء والقدر، ويعملون الأعمال الصالحة، ويتركون الأعمال السيئة، ولا يتدخلون مع الله في سر من أسراره، ولا يناقشونه ويعترضون

---

(١) فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم». أخرجه البخاري رقم (٢٤٥٧) ومسلم رقم (٢٦٦٨).

[١٠٢] لأنَّ العِلْمَ علمَان: عِلْمٌ في الخَلْقِ مَوْجُودٌ، وَعِلْمٌ في الخَلْقِ مَفْقُودٌ.
[١٠٣] فإنكارُ العِلْمِ الموْجُودِ كُفْرٌ، وادّعَاءُ العِلمِ المفقودِ كُفْرٌ.

عليه، هذا شأن الراسخين في العلم، وأما الجهّال فيدخلون في ضلالات وأمور ابتدعوها.

[١٠٢] العلم علمان: علم استأثر به الله، فلا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى، وهو علم الغيب.

وعلم في الخلق موجود، علَّمهم الله إياه، وهو ما لهم فيه مصلحة وذلك بما أنزل الله من الكتاب، وما أرسل به الرسول ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة: ١٢٩] الكتاب: القرآن، والحكمة: السنة، وقيل: الفقه في دين الله فالله علمنا والرسول علمنا ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [البقرة: ١٥١].

[١٠٣] إنكار العلم الشرعي وما فيه من الأمر والنهي والإخبار عن الماضي والمستقبل، إنكاره كفر.

وادعاء علم الغيب كفر ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥]، وأكمل الخلق عليه الصلاة والسلام يقول: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ ﴾ [الأعراف: ١٨٨] فالنبي عليه الصلاة والسلام لا يعلم الغيب إلا ما علمه الله ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

[١٠٤] ولا يَثْبُتُ الإيمانُ إلا بِقَبُولِ العِلمِ الموجودِ، وترْكِ طَلَبِ العِلْمِ المفْقُودِ.

[١٠٥] ونُؤْمِنُ باللَّوحِ والقَلَمِ وبِجَميعِ مَا فيه قَدْ رُقِم.

---

[١٠٤] لا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود، وهو علم الكتاب والسنة، وترك علم الغيب لله ﴿ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾.

[١٠٥] هذا تابع لما سبق من الكلام عن القضاء والقدر، وقد سبق أن من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر: الإيمان بما كتب في اللوح المحفوظ، وأن الله لما علم كل شيء كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وذلك أن الله خلق الخلق، وأول ما خلق القلم، فقال له: «اكتب»، قال: ما أكتب؟ قال: «اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»، فجرى القلم بأمر الله بكتابة ما هو كائن إلى يوم القيامة، كما جاء في الحديث[١].

ولا يعلم كيفية اللوح والقلم إلا الله، وهما مخلوقان من مخلوقات الله عز وجل، نؤمن بذلك، ولذلك قال المؤلف: (نؤمن باللوح والقلم وبما فيه قد رقم)؛ يعني اللوح المحفوظ، والكتابة فيه.

وهذه هي المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر،

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٤٧٠٠) والترمذي (رقم ٢١٦٠) وأبو يعلى رقم (٢٣٢٩) مرفوعاً وأخرجه موقوفاً البيهقي في سننه (٩/٣)، وهو في حكم المرفوع.

[١٠٦] فَلو اجتمعَ الخَلْقُ كلُّهم على شَيْءٍ كتبَهُ الله تَعالى فِيه أَنَّهُ كَائِنٌ، لِيجْعَلوهُ غَيْرَ كَائِن ـ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ.
ولو اجْتَمَعُوا كُلُّهم عَلى شَيْءٍ لَمْ يكْتُبه الله تعالى فيه، ليجعلُوهُ كَائِناً ـ لم يَقدِرُوا عَلَيْه.

وهي: الإيمان بالكتابة في اللوح المحفوظ.

[١٠٦] الكتابة التي كتبها الله تعالى في اللوح المحفوظ لا يقدر أحد على تغييرها، فلو اجتمع الخلق على أن يغيروا شيئاً كتبه الله لما استطاعوا، ولو اجتمعوا على أن يوجدوا شيئاً لم يكتبه الله في اللوح المحفوظ لم يوجدوه، كما جاء ذلك في حديث ابن عباس لما قال له النبي ﷺ: **«واعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»**(١).

فلا تغيير ولا تبديل لما كتبه الله جلا وعلا في اللوح المحفوظ.

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢٥٢١) وأحمد ١/٢٩٣، والحاكم ٣/٥٤١، وقال الترمذي؛ هذا حديث حسن صحيح. وقال الحاكم: هذا حديث عالٍ.

[١٠٧] جفَّ القَلَمُ بما هُوَ كَائنٌ إلى يَوْمِ القِيامَة، ومَا أَخْطأَ العَبْدُ لمْ يَكُنْ ليُصِيبَهُ، وما أَصَابَهُ لمْ يَكُن ليُخْطِئهُ.

---

[١٠٧] هذا معنى الإيمان بالقضاء والقدر، أن تعلم أنه لن يصيبك إلا ما كتبه الله عليك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

فإذا أصابتك مصيبة مما تكره، فإنك تعلم أن هذا مكتوب في اللوح المحفوظ، ولابد أن يقع، فتتسلى بذلك عن الجزع والسخط، وتؤمن بالله عز وجل.

وما أخطأك لم يكن ليصيبك، لو حرصت على طلب شيء وبذلت كل وسعك وجهدك فلن تحصل عليه، فإذا فعلت السبب وبذلت كل شيء ولم تحصل عليه، فإنك تسلم وتؤمن بالقضاء والقدر، ولا تنزعج ويكون عندك هواجس وهموم، فالنبي ﷺ يقول: **«احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، فإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنِّي فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان»**[(١)]، إذا علمت هذا هان عليك الأمر، ولا يحصل منك جزع، ولا تحسر، الأمور بيده سبحانه، نعم أنت تفعل الأسباب وتحرص على ماينفعك، ولكن النتائج من لدن الله عز وجل، وما تدري ما الخيرة؟

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٦٦٤).

[١٠٨] وعَلَى العَبْدِ أن يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائنٍ مِنْ خَلْقِه.

فلا يعطيك الله عز وجل ذلك الشيء؛ لأنك لو حصلت عليه يكون عليك منه ضرر، فالله يعلم، وأنت لا تعلم، عليك أن ترضى بقضاء الله وقدره.

وفي القرآن الكريم يقول الله لنبيه ﷺ: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة: ٥١].

ويقول رداً على الكفار لما قالوا في شأن الذين قتلوا في يوم أحد: ﴿ لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٥٦]، قال عز وجل: ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

فما كُتب على الإنسان لابد من نفاذه فيه، ولو تحرز وتحصن وعمل من الاحتياطات ما عمل، لم يمنعه ذلك من قضاء الله وقدره، قال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨].

[١٠٨] هذه هي المرتبة الأولى من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر:

[١٠٩] فَقَدَّرَ ذلكَ تقْدِيراً مُحْكَماً مُبْرَماً.
[١١٠] ليسَ فيه نَاقِضٌ، وَلاَ مُعَقِّبٌ، وَلاَ مُزِيلٌ، ولا مُغيرٌ، ولا نَاقِصٌ ولا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ في سَمَاوَاتهِ وأَرْضِه.

على العبد أن يؤمن ويعتقد أن الله علم ما كان وما لم يكن بعلمه الأزلي، الذي هو موصوف به أبداً وأزلاً، علم الأشياء كلها بعلمه المحيط قبل وقوعها، فلابد من اعتقاد ذلك.

[١٠٩] عَلِمَهُ سبحانه وتعالى وقَدَّرَهُ ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢].

فالأمور ليست فوضى أو ليست لها ضوابط، كلها مرتبة ومنضبطة بقضاء الله وقدره وكتابته، والله منزه عن الفوضى والعبث.

[١١٠] لا أحد يتصرف، فيغير ما قضاه الله وقَدَّره، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد: ٤١]. فلا أحد ينقص شيئاً من قضاء الله، ولا يزيد شيئاً أبداً، هذا شيء قضي منه وانتهى منه.

إذا اعتقد المسلم ذلك أراحه من كثير من الشكوك والأوهام، ولكن ليس معنى ذلك أنه يتكل على القضاء والقدر والكتاب، ويترك العمل[١]، هو مأمور بالعمل وطلب الرزق وفعل الأسباب، هذا من

---

(١) فعن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ، فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنَكَّس، فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: «ما منكم =

[١١١] وذلكَ مِنْ عُقَدِ الإِيمَانِ، وأُصُولِ المعْرِفَةِ.
[١١٢] والاعْتَرافِ بتوْحيدِ الله تعالى ورُبُوبِيَّتِهِ، كما قالَ تعالى في

ناحية العمل، وأما من ناحية النتائج فهي بيد الله عز وجل.
[١١١] هذه العقيدة، عقيدة القضاء والقدر، من عقيدة الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فالذي لا يكون مؤمناً بالقضاء والقدر لا يكون مؤمناً بالله جل وعلا، بل كان متنقصاً لله عز وجل، فالإيمان به من العقيدة وليس من الأشياء الثانوية أو الفرعية، فالإيمان بالقضاء والقدر من صميم العقيدة، وهو ركن من أركان الإيمان، كما قال عليه الصلاة والسلام: **«الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**(١).
[١١٢] الإيمان بالقضاء والقدر يدخل في توحيد الربوبية؛ لأنه من أفعال الله جل وعلا، فمن جحد القضاء والقدر لم يكن مؤمناً بتوحيد الربوبية.

= **من أحد، ما من نفس منفوسة، إلاّ كتب مكانها في الجنة والنار، وإلا قد كتب شقية أو سعيدة»** فقال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، وأما من كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟ قال: **«أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة، وأما أهل الشقاوة، فييسرون لعمل الشقاوة»** ثم قرأ: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ أخرجه البخاري رقم (١٣٦٢) ومسلم رقم (٢٦٤٧).
(١) أخرجه البخاري رقم (٥٠) رقم (١٠).

كتابه: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾.

[١١٣] فَويْلٌ لمنْ صَارَ لِلهِ تَعالى في القَدَرِ خَصِيماً.

[١١٤] وأحْضَرَ للنَّظَرِ فيهِ قَلْباً سَقِيماً.

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٢] ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٨]، ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر: ٤٩]، هذه الآيات الثلاث مع غيرها من الآيات تدل على الإيمان بالقضاء والقدر ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [التغابن: ١١]، ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾ [الحديد: ٢٢]. يعني اللوح المحفوظ.

[١١٣] الذي يدخل في أمور القضاء ويشكك فيه خصيم لله، ولا يصح الإيمان إلا بالإيمان بالقضاء والقدر بمراتبه الأربع، حسب ما جاء في الكتاب والسنة، ولا تتدخل في السؤالات والإشكالات والشكوك والأوهام، فإن هذا معناه مخاصمة الله عزوجل، فالذين تدخلوا في القضاء والقدر لم يتوصلوا إلى شيء، بل وقعوا في حيرة واضطراب وإفساد للعقيدة.

[١١٤] فأمور القضاء والقدر وشؤون الله عز وجل لا يدركها النظر والتفكير والعقل، فلا تكلف عقلك شيئاً لا يستطيعه، فالعقل محدود، لا يمكنه أن يدرك كل شيء، فلا تدخله في متاهات وأمور لا يطيقها.

[١١٥] لَقَدِ الْتَمَسَ بوهْمِهِ في فَحْصِ الغَيْبِ سِرًّا كَتِيماً.
[١١٦] وَعادَ بما قالَ فيهِ أَفَّاكاً أَثِيماً.
[١١٧] والعرشُ والكرسِيُّ حَقٌّ.

---

[١١٥] لأن القضاء والقدر سر الله جل وعلا في خلقه، فلا تبحث عنه، ولا تُكلف بذلك، إنما كُلفت بالعمل والطاعة والامتثال.

[١١٦] أي يكون كل كلامه وكل بحثه إفكاً، يعني: كذباً وإثماً ـ والعياذ بالله ـ لأنه فعل ما لم يؤمر به، وتدخل فيما ليس من شأنه.

[١١٧] الله سبحانه وتعالى خلق السماوات، وخلق الأرض، وخلق الكرسي، وخلق العرش، كلها مخلوقات لله عز وجل، السماوات فوق الأرض، وفوق السماوات البحر، وفوق البحر الكرسي، وفوق الكرسي العرش، فهو أعلى المخلوقات، وذلك كما جاء في الحديث: «**إن السماوات السبع بالنسبة للكرسي كسبع دراهم ألقيت في ترس**»، يعني: السماوات السبع وعظمها وما فيها ـ مقارنة بالكرسي ـ كسبعة دراهم ألقيت في مثل الصحن الذي يتترس به المقاتل، فما نسبة سبعة دراهم في ترس مستدير؟ نسبتها قليلة، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والعرش أعظم من الكرسي، فالكرسي بالنسبة إلى العرش كحلقة

....

ملقاة في أرض فلاة، كما جاء في الحديث، فلو ألقيت حلقة في أرض واسعة فما نسبتها إلى هذه الفلاة؟ لا شيء.

هذه مخلوقات عظيمة وواسعة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

فالعرش أعلى المخلوقات، والله سبحانه عالٍ فوق عرشه فوق مخلوقاته.

والكرسي تحت العرش، وجاء في الأثر أنه موضع القدمين، فالكرسي مخلوق، وليس المقصود به العلم، كما نسب ذلك لابن عباس رضي الله عنه، أنه قال في قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ أي: علمه، أي: وسع علمه السماوات والأرض. المعنى صحيح، ولكن ليس هذا المقصود من الآية، فالكرسي مخلوق، والعلم صفة من صفات الله عز وجل ليست من مخلوقاته، فيجب الإيمان بالعرش وبالكرسي، هذا حق على حقيقته، وليس العرش كما يقوله الأشاعرة ـ ومن نحا نحوهم ـ إن العرش هو الملك، فيقولون في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، أي: استولى على الملك، وهذا ضلال، فالعرش مخلوق: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، فالعرش تحته الكرسي، والكرسي تحته السماوات، والأرض تحت السموات. في الحديث: «فإذا سألتم

[١١٨] وهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ العرشِ ومَا دُونَه.

الله الجنة فاسألوه الفردوس الأعلى، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن»(١) فالفردوس هو أعلى الجنان وفوقه عرش الرحمن.

فعرشه مخلوق وله حَمَلَة، وهم طائفة من الملائكة: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ⑰﴾ [الحاقة: ١٧] قبل يوم القيامة يحمله أربعة، فإذا جاء يوم القيامة تضاعفوا وصاروا ثمانية، فكل واحد من الملائكة لا يُتصور خلقه وعظمته وقوته.

وهل يقال: إذا قيل إن العرش هو الملك. إن المُلك تحمله الملائكة؟

[١١٨] لا تتصور أن معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] أنه محتاج إلى العرش كاستواء المخلوق على المخلوق، بل الله عز وجل مستوٍ على العرش، وهو غني عن العرش وما دون العرش.

جميع المخلوقات محتاجة إلى الله ﴿۞إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ﴾ [فاطر: ٤١] فهو الذي يمسك العرش، ويمسك السماوات، ويمسك الأرض

---

(١) أخرجه البخاري رقم(٢٧٩٠، ٧٤٢٣).

[١١٩] مُحِيطٌ بِكُلِّ شيْءٍ وفَوْقَهُ.

[١٢٠] وقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الإحَاطَةِ خَلْقَهُ.

[١٢١] ونَقُولُ: إِنَّ اللهَ اتخَذَ إِبْرَاهيمَ خَلِيلاً، وكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً، إِيمَاناً وتَصْدِيقاً وتَسْلِيماً.

والمخلوقات، بقدرته وعزته، فهي المحتاجة إليه، وهو غني عنها سبحانه وتعالى.

ولا يلزم من كون الشيء فوق الشيء أن يكون الأعلى محتاجاً إلى ما تحته، فالسماوات فوق الأرض وليست محتاجة إلى الأرض.

[١١٩] محيط علمه بكل شيء، وهو فوق المخلوقات، فعلمه محيط بكل شيء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥ ﴾ [آل عمران: ٥] وإحاطته بالأشياء: علمه بها، وإلا فالله عزوجل في جهة العلو.

[١٢٠] فالله سبحانه وتعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً، قال الله عزوجل: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فالله محيط بكل شيء علماً ﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢ ﴾ [الطلاق: ١٢].

[١٢١] من عقيدة المسلمين أن الرسل أفضل الخلق وأن الرسل يتفاضلون فهم يعتقدون أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥ ﴾ [النساء: ١٢٥] والخلة هي أعلى درجات المحبة، فالله جل وعلا يحب عباده المؤمنين والمتقين

. . . .

والمحسنين، ويحب التوابين ويحب المتطهرين، ولكن الخلة لم يحصل عليها إلا اثنان من العالم: إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً**»[1].

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء: ١٦٤] ففضل بعض النبيين على بعض، وإن كانوا كلهم بالمرتبة العليا، لكن الله جل وعلا فضل بعضهم على بعض ﴿ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] فكل نبي يعطيه الله عز وجل تفضيلاً خاصاً به، فضل إبراهيم ومحمداً عليهما الصلاة والسلام بالخلة، وفضل موسى بأنه كلمه تكليماً بدون واسطة المَلَك، وسمع موسى كلامه، ناداه سبحانه وناجاه؛ والمناداة: الصوت المرتفع، والمناجاة: الصوت الخفي، كل هذا حصل لموسى عليه الصلاة والسلام، وهذه فضيلة لم يحصل عليها غيره، وقال: ﴿ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾ للتأكيد، حتى لا يقول أحد: إن هذا مجاز، فلما أكده بالمصدر، دل على أنه تكليم حقيقي من الله عز وجل، وهذا فيه إثبات الكلام لله عز وجل، وفيه إثبات الفضيلة

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٥٣٢) والبخاري بنحوه رقم (٤٦٦، ٤٦٧)، وقد تقدم تخريجه.

[١٢٢] ونؤمِنُ بالملائكةِ والنَّبيين.

لموسى عليه الصلاة والسلام على غيره من النبيين في هذه الخصلة، ولا يلزم إذا كان عند نبي من الأنبياء ميزة خاصة أن يكون أفضل من غيره على الإطلاق، بل هو أفضل من غيره من الأنبياء في هذه الخصلة.

[١٢٢] هذا من أركان الإيمان، التي أولها: الإيمان بالله، وثانياً: الإيمان بالملائكة، وهم عالم من عالم الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، خلقهم الله تعالى من النور؛ لعبادته وتنفيذ أوامره في مخلوقاته، أوكل إليهم أعمالاً يقومون بها وينفذونها في مخلوقاته، منهم الموكل بالوحي، ومنهم الموكل بالقطر والنبات، ومنهم الموكل بقبض الأرواح، ومنهم الموكل بالنفخ في الصور، ومنهم الموكل بحفظ أعمال بني آدم، ومنهم الموكل بالجبال، ومنهم الموكل بالأجنّة في بطون الحوامل، كما في حديث ابن مسعود (ثم يرسل إليه الملك فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد)[1].

فهم موكلون بأعمال يقومون بها كما أمر الله تعالى بها: ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٧]، ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٠].

فهم يعبدون الله عبادة متواصلة ومع ذلك يقومون بما أوكل إليهم

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٢٠٨) ومسلم رقم (٢٦٤٣).

. . . .

من تنفيذ الأوامر في المخلوقات ولهم مهام عظيمة، وخلقتهم لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى[1]، تختلف عن خلقة بني آدم ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ﴾ [فاطر: ١] ولبعضهم أكثر من ذلك ﴿ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ [فاطر: ١] فجبريل عليه السلام له ستمائة جناح، كل جناح منها سد الأفق، فلا يعلم خلقتها ولا كيفيتها إلا الله. أما البشر فلا يستطيعون رؤية المَلَك على صورته، وإنما يأتي المَلَك في صورة إنسان كما كان جبريل يأتي إلى النبي ﷺ في صورة إنسان، ويجلس إليه ويكلمه، ولم يره النبي ﷺ على صورته الملكية إلا مرتين، مرة وهو في بطحاء مكة رآه في الأفق، ومرة عند سدرة المنتهى في ليلة الإسراء والمعراج، وما عدا هاتين المرتين فإن جبريل يأتي النبي ﷺ في صورة إنسان، وكثيراً ما يأتي في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه.

وقوله: (والنبيين) النبيين جمع نبي وهو من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والرسول: من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه ويجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين ومن آمن ببعضهم وكفر

---

(١) فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنِّي أرى ما لا ترون، وأسمع ما لاتسمعون، إن السماء أطَّت وحقّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله . . .».
أخرجه أحمد ٥/ ١٧٣، والترمذي (رقم ٢٣١٧) وابن ماجه (رقم ٤١٩٠) والحاكم في المستدرك ٢/ ٥١٠ ـ ٥١١. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

[١٢٣] والكُتُبِ المنزَّلَةِ عَلى المرْسَلينَ ونَشْهَدُ أَنَّهُم كانوا على الحَقِّ المبين.

بعضهم فهو كافر بالجميع. ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾.

[١٢٣] من أصول الإيمان وأركانه: الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على الرسل لهداية الخلق؛ فالله تعالى أنزل الكتب على الرسل من كلامه ووحيه وتشريعه، أنزلها على الرسل ليبلغوها إلى أممهم، فيها الأوامر وفيها النواهي، وفيها شرع الله جل وعلا.

منها ما سماه الله في القرآن ومنها ما لم يسمه، ونحن نؤمن بجميع الكتب، ما سماه لنا وما لم يسمه، كالتوراة التي أنزلها على موسى، والإنجيل الذي أنزله على عيسى، والقرآن الذي أنزله على محمد ﷺ، والزبور الذي أنزله على داود ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء: ١٦٣] وصحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فنؤمن بها كلها وأنها في مصلحة الخلق وهداية الخلق وإقامة الحجة، فمن آمن ببعض الكتب وكفر ببعضها فهو كافر بالجميع؛ لأنها كلها من كلام الله فلا يجوز الإيمان ببعضها والكفر بالبعض الآخر، قال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [البقرة: ٨٥].

وكذلك الكتاب الواحد يجب الإيمان به كله والعمل به كله، فلا نأخذ ما يوافق شهواتنا وندع ما يخالفها.

فمن جحد كتاباً من كتب الله، أو بعضاً من الكتاب، أو كلمة من الكتاب، أو حرفاً من الكتاب، فهو كافر بالله عز وجل.

[١٢٤] ونُسمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مسلِمينَ مؤمِنِينَ.

---

[١٢٤] هذا من العقيدة، أنه من نطق بالشهادتين واستقام عليهما فإنه مسلم، ولو صدر منه بعض المعاصي، ولو كانت من الكبائر، وما دامت المعاصي دون الشرك، ولكن يكون مسلماً ناقص الإسلام وناقص الإيمان وفاسقاً، ولكنه لا يُحكم بكفره إنْ كانت معاصيه دون الشرك، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، لا يُكَفِّرون بالمعاصي التي هي دون الشرك، ولكن ينقص بها الإيمان، وصاحبها يفسق بها الفسق الأصغر الذي لا يخرج من الملة. خلافاً للخوارج الذين يُكَفِّرون بالكبائر ويخرجون بها من الملة، ويخلدون صاحبها في النار. وخلافاً للمعتزلة الذين يُخْرِجون صاحب الكبيرة من الإسلام، ولكن لا يدخلونه في الكفر، ويقولون: هو في منزلة بين المنزلتين، ولكن لو ماتوا على الكبيرة فالمعتزلة مثل الخوارج في الحكم عليهم، وخلاف عقيدة المرجئة الذين يقولون: إنه لا يضر مع الإيمان معصية، من صدق بالله عز وجل فإنه يكون مؤمناً، وإن فعل ما فعل، ولو ترك جميع أركان الإسلام عندهم لا يكون كافراً، المهم التصديق والاعتقاد، أما الأعمال فلا تزيد في الإيمان ولا تنقصه وليست منه، فهو مؤمن تام الإيمان ما دام مصدقاً.

[١٢٥] مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، ولهُ بِكُلِّ ما قَالَهُ وأَخْبَرَ مُصَدِّقِين.

هذا مذهب المرجئة، وهو مذهب ضال.

فهم مع الخوارج على طرفي نقيض؛ قوم تشددوا، وهم الخوارج، وقوم ذابوا وماعوا وقالوا: إن هذه المعاصي لا تضر، وهم المرجئة، وأما أهل السنة والجماعة فتوسطوا، ومذهبهم مأخوذ من الكتاب والسنة، وهو العدل، وفيه الجمع بين الأدلة. أما الخوارج والمعتزلة فأخذوا نصوص الوعيد وتركوا نصوص الوعد، وأما المرجئة فأخذوا بنصوص الوعد وتركوا نصوص الوعيد، لكن أهل السنة والجماعة أخذوا بنصوص الوعد وبنصوص الوعيد، وجمعوا بينها، وهذا الحق ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] فيردون هذا إلى هذا، ولا يأخذون بطرف ويتركون الطرف الآخر كما هو مذهب أهل الزيغ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧] يأخذون بالمتشابه ويتركون المحكم الذي يفسر المتشابه.

وقول المصنف: (مسلمين مؤمنين) ليس على إطلاقه؛ لأنهم قد يكونون ناقصين في الإسلام والإيمان، ومُتوعَّدين من الله عز وجل.

[١٢٥] أما لو جحدوا شيئاً مما جاء به النبي ﷺ ولم يعترفوا، صاروا

....

كفاراً، ولو آمنوا ببعض ما جاء به، فإنْ جحدوا بعضه فهم كافرون بجميع ما جاء به، فالواجب الإيمان به كله، سواء وافق أهواءنا أو خالفها؛ لأنه حق.

أما من كذب ببعض الأحاديث الصحيحة فهو كافر، فلو رد حديثاً في البخاري، والحديث صحيح، وقال: أنا لا أومن بهذا الحديث ولا أصدقه؛ لأنه يخالف العلم الحديث، فسبحان الله! كلام النبي ﷺ يُتهم، وكلام البشر لا يتهم؟ أيضاً العلم الحديث قد لا يخالف الأحاديث الصحيحة، والحمد لله، فمثلاً ورد في حديث الذباب الذي ينكره هؤلاء أن في أحد جناحيه داءً وفي الآخر دواءً، والطب يقر بهذا أن السم يعالج بضده، وبما يناقضه، والذباب فيه النقيضان، فإنه إذا وقع في الماء فإنه يرفع الجناح الذي فيه الدواء، ويغمس الجناح الذي فيه السم، فالنبي ﷺ أمر بغمسه بجناحه الذي فيه الدواء[1]، فيغالب السم، فهذا يقره الطب ولا يرده، ولكنه لما خالف أذواق هؤلاء الجهال صاروا يتكلمون بهذا الكلام، وهذا كفر والعياذ بالله، ولهم مقالات شنيعة نحو السنة، يردونها ويشككون

---

(١) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن في إحدى جناحيه داءً والأخرى شفاء**» أخرجه البخاري (رقم ٣٣٢٠، ٥٧٨٢).

[١٢٦] ولا نَخُوضُ في اللهِ، ولا نُمارِي في دينِ اللهِ.

فيها، ويقولون إن النبي ﷺ قال: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**»[1]، يقولون هذا وهم يدعون أنهم دعاة للإسلام، وهذا موقفهم من سنة النبي ﷺ، فهؤلاء الجهال يقولون: هذه من أمور الدنيا، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**»، فمعناه: أنهم يُجَهِّلون النبي ﷺ.

وقوله: (معترفين) (مصدقين) لا يكفي الاعتراف والتصديق إلا على مذهب المرجئة، بل لابد مع ذلك من العمل بما جاء به، ولابد من الإخلاص في ذلك.

[١٢٦] لا نخوض في الله، بل نؤمن به وبصفاته وأسمائه، ولانؤولها ونصرفها عن ظاهرها، ونأتي بمعانٍ ما أرادها الله ولا أرادها النبي ﷺ، اتباعاً لأهوائنا وعقولنا القاصرة، وهذا كفر بالله عز وجل.

وكذلك في دين الله لا نماري ـ أي نجادل ـ ونقول: هذا نؤمن به وهذا نتوقف في الإيمان به، فما دام ثبت في الكتاب والسنة فليس فيه مجال للخوض، بل نؤمن به ونُسَلِّم، وإن كان في عقولنا ما لا يدرك هذا الشيء، فعقولنا قاصرة، ولو كانت كاملة لما احتاجت إلى النبي ﷺ، ولما احتاجت البشرية إلى الرسل، فدل على أن العقول

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٣٦٣).

[١٢٧] ولا نُجَادِلُ في القرآنِ، ونَشْهدُ أَنَّهُ كلامُ ربِّ العالمينَ.

قاصرة، وأنه لابد من إرسال الرسل؛ لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

[١٢٧] قوله: (لانجادل في القرآن) يشمل عدم القول بأنه ليس من عند الله، كما يقوله الكفار، ويقولون: هو من عند محمد ﷺ.

وكذلك الجدال في تفسير معاني القرآن، فلا نفسر القرآن من عند أنفسنا، فالقرآن لايفسر إلا بما جاء في كتاب الله أو ماجاء في سنة رسول الله ﷺ، أو ما قاله الصحابة أو ما قاله التابعون، أو ما اقتضته اللغة العربية التي نزل بها.

فلا نقول فيه بعقولنا القاصرة، إنما يفسره الله سبحانه الذي نزله، أو النبي عليه الصلاة والسلام الذي وُكِّل إليه بيانه، أو الصحابة الذين تتلمذوا على المصطفى عليه الصلاة والسلام، أو التابعون الذين رووا عن تلاميذ النبي ﷺ، أو باللغة التي نزل بها؛ لأنه نزل بلسان عربي مبين. أما تفسيره بمايقوله الطبيب الفلاني أو المفكر الفلاني أو الفلكي الفلاني، فالنظريات تختلف، فاليوم نظرية وغداً نظرية تبطلها؛ لأنها من عمل البشر، فلا يُفَسَّر كلام الله بهذه الأشياء التي تتبدل وتتغير كما يفعله الجهال اليوم ويقولون: هذا من الإعجاز العلمي.

وقوله: (ونشهد أنه كلام رب العالمين) نشهد أن القرآن كلام الله تكلم الله به حقيقة، وسمعه جبريل من الله، وبلغه إلى النبي ﷺ،

[١٢٨] نَزَلَ به الروحُ الأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سيِّدَ المرسلين مُحَمَّداً صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم.

وبلغه محمد عليه الصلاة والسلام إلى أمته، وبلغته أمته كل جيل إلى الجيل الذي بعده، نحن نكتبه ونقرؤه ونحفظه، وهو بذلك كلام الله ما هو بكلامنا، ولا كلام النبي ﷺ، ولا كلام جبريل عليه السلام.

[١٢٨] الروح الأمين هو جبريل، وسمي بهذا لأنه مؤتمن لا يغير ولا يبدل؛ مؤتمن على ما حمله الله، لا يتهم بالخيانة كما تقوله اليهود يقولون: جبريل عدونا. أو كما يقوله غلاة الشيعة: إن الرسالة لعلي ولكن جبريل خان وبلغها إلى محمد ﷺ. فهذا تكذيب لله؛ لأن الله سماه أميناً.

فأنزل الله في اليهود: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة: ٩٧]، ثم قال: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٨].

من عادى جبريل، أو مَلَكاً من الملائكة، فإن الله عدوه وكذا من عادى رسولاً من الرسل، فهو كافر، ومن عادى ولياً من أولياء الله فإنّه مبارز الله بالمحاربة، كما صح في الحديث[1]، فجبريل علّمه

---

(١) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ مما افترضته عليه**، =

[١٢٩] وهو كَلَامُ اللهِ تَعَالى لا يُساوِيه شيءٌ مِنْ كلامِ المخْلُوقِين.

للنبي ﷺ، قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ٥] وضمير المفعول في (علمه) راجع إلى النبي ﷺ، وشديد القوى: جبريل عليه الصلاة والسلام، فَعَلَّم النبيَّ ﷺ بأمر الله.

[١٢٩] هو كلام الله، تكلم به سبحانه حقيقة، وسمعه جبريل من الله حقيقة، وبلغه إلى النبي ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۝ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝٧٤ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۝٧٥﴾ [الإسراء: ٧٣ ـ ٧٥] فالرسول يبلغ القرآن، لا ينقص ولا يزيد ولا يبدل ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦].

وهو كلام الله، سبحانه وتعالى كما نزل، فالله حفظه من الزيادة والنقص: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]

= وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه...».
أخرجه البخاري رقم (٦٥٠٢).

[١٣٠] ولا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ المُسْلِمينَ.

---

[١٣٠] لا نقول: القرآن مخلوق، كما تقول الجهمية، فهذا كفر وجحود لكلام الله، ووصف لله بالنقص وأنه لا يتكلم، والذي لا يتكلم يكون ناقصاً ولا يكون إلهاً.

ولهذا لما قال قوم السامري: هذا إلهكم وإله موسى، يعنون العجل أو التمثال، قال الله جل وعلا: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [طه: ٨٩] فقال: ﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي: لا يتكلم، فدل على بطلان عبادتهم له.

وفي الآية الأخرى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨] والكلام صفة كمال، وعدم الكلام صفة نقص، فالله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص، ومتصف بصفات الكمال.

(ولا نخالف جماعة المسلمين) فجماعة المسلمين يؤمنون بأنه منزل حقيقة غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، هذه عقيدة المسلمين في القرآن.

وكذلك لا نخالف جماعة المسلمين في كل ما اجتمعوا عليه من أمور الدين. قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾.

(من الله بدأ) وليس كما يقول بعض الضلال: إنّ جبريل أخذه من اللوح المحفوظ، بل سمعه من الله مباشرة، (وإليه يعود) أي:

[١٣١] ولا نُكَفِّرُ أَحَداً مِن أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ.

في آخر الزمان، يرفع القرآن إلى الله عز وجل، وهذا من علامات الساعة، فيُنزع القرآن من المصاحف وصدور الرجال، فلا يبقى في الأرض.

[١٣١] (ولا نكفِّر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله) هذا كما سبق أن الذنب إذا لم يكن كفراً أو شركاً مخرجاً من الملة، فإننا لا نُكَفِّر به المسلم، بل نعتقد أنه مؤمن ناقص الإيمان، معرض للوعيد وتحت المشيئة. هذه عقيدة المسلم، ما لم يستحله، فإذا استحل ما حرم الله فإنه يكفر، كما لو استحل الربا أو الخمر أو الميتة أو لحم الخنزير أو الزنا، إذا استحل ما حرم الله كفر بالله، وكذلك العكس: لو حرم ما أحل الله كفر: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [التوبة: ٣١] وجاء تفسير الآية بأنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم[١].

أما لو فعل الذنب وهو لم يستحله بل يعترف أنه حرام فهذا لا يكفر ولو كان الذنب كبيرة دون الشرك والكفر لكنه يكون مؤمناً ناقص الإيمان أو فاسقاً بكبيرته مؤمن بإيمانه.

---

(١) فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت النبيَّ ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «**يا عديُّ اطرح عنك هذا الوثن**». وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، إذا حرّموا عليهم شيئاً حرموه» أخرجه الترمذي رقم (٣٠٩٥).

[١٣٢] وَلا نَقُولُ: لا يَضُرُّ مَعَ الإِيمَانِ ذَنْبٌ لمنْ عَمِلَه.

[١٣٣] ونَرْجُو للمُحْسِنينَ مِنَ المُؤْمِنين أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُم ويُدْخِلَهُم الجَنَّةَ بِرَحْمتِهِ، ولا نَأْمَنُ عَلَيْهِم، ولا نشْهدُ لهم بالجَنَّةِ.

وقوله: (لا نكفر بذنب) ليس على إطلاقه، فتارك الصلاة متعمداً يكفر[1]، كما دل على ذلك الكتاب والسنة.

[١٣٢] كما تقوله المرجئة، يقولون: ما دام مصدقاً بقلبه فهو مؤمن كامل الإيمان، أما الأعمال فأمرها هيِّن، فالذي لا يصلي ولا يصوم ولا يحج ولا يزكي ولا يعمل شيئاً من أعمال الطاعة، يقولون: هو مؤمن بمجرد ما في قلبه! وهذا من أعظم الضلال.

فالرد عليهم أن الذنوب تضر على كل حال، منها ما يزيل الإيمان بالكلية، ومنها ما لا يزيله بالكلية بل ينقصه وصاحبها معرض للوعيد المرتب عليها.

[١٣٣] هذا بحث للشهادة لمعين أنه من أهل الجنة، أو أنه من أهل النار، نحن لا نشهد لأحد بجنة أو نار إلاَّ بدليل، إلا من شهد له المصطفى عليه الصلاة والسلام أنه من أهل الجنة، شهدنا له بذلك، ومن شهد له النبي ﷺ بالنار شهدنا له بذلك، هذا بالنسبة إلى

---

(١) فعن بريدة بن الحصيب الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**».
أخرجه أحمد ٥/٣٤٦، ٣٥٥ والترمذي (رقم ٢٦٢١) والنسائي ١/٢٣١ وابن ماجه رقم (١٠٧٩).

[١٣٤] ونَستَغْفرُ لمُسِيئِهِم، ونَخَافُ عَلَيْهِم، وَلا نُقَنِّطُهُم.
[١٣٥] والأَمْنُ والإِياسُ يَنْقُلاَنِ عَنْ مِلَّةِ الإِسْلاَمِ.

المعينين، أما بالنسبة إلى العموم فنعتقد أن الكافرين في النار، وأن المؤمنين في الجنة.

أما على وجه الخصوص فلا نحكم لأحد إلا بالدليل، لكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء. هذه عقيدة المسلمين.

[١٣٤] نستغفر للمسيء؛ لأنه أخونا، وندعو له بالتوبة والتوفيق؛ وإن كان مذنباً، وهذا حق الإيمان علينا ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

ولا نُقَنِّطُ المذنب من رحمة الله كما تقوله الخوارج والمعتزلة، لا نقنطه من رحمة الله، بل هو معرض للوعيد وتحت المشيئة، وإن تاب تاب الله عليه عز وجل: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف: ٨٧] ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الحجر: ٥٦] ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

والوعيدية الذين هم الخوارج ومن سار في ركابهم، هم الذين يُقَنِّطُون الناس من رحمة الله، ويخرجونهم من الملة بذنوبهم، وإن كانت دون الشرك.

[١٣٥] من أصول العقيدة الإسلامية: الخوف والرجاء، وهما من أعظم أصول العقيدة، والخوف والرجاء لابد من الجمع بينهما، لا

....

يكفي الاقتصار على واحد منهما فقط، كما قال تعالى في وصف أنبيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

رغباً: هذا هو الرجاء، ورهباً: هذا هو الخوف، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧] فهم يجمعون بين الخوف والرجاء.

وقال جل وعلا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]. ولابد معهما من المحبة لله، فلابد من هذه الأمور الثلاثة: المحبة لله، والخوف منه سبحانه وتعالى، والرجاء لفضله.

فمن اقتصر على المحبة فقط فهو صوفي، فالصوفية يعبدون الله عز وجل بالمحبة، ولا يخافون ولا يرجون، يقول قائلهم: أنا لا أعبده طمعاً في جنته، ولا خوفاً من ناره، وإنما أعبده للمحبة فقط. وهذا ضلال والعياذ بالله.

ومن عَبَدَ الله بالخوف فقط فهو من الخوارج؛ لأن الخوارج أخذوا جانب الخوف والوعيد فقط، فَكَفَّروا بالمعاصي.

ومَنْ عَبَدَ الله بالرجاء فقط فهو من المرجئة، الذين أخذوا

[١٣٦] وَسَبِيلُ الحقِّ بَيْنَهُمَا لأَهلِ القِبْلَةِ.

جانب الرجاء فقط، وتركوا جانب الخوف.

أما أهل التوحيد فيعبدون الله بجميع الثلاث: بالحب والخوف والرجاء، ثم إن الخوف لا يكون معه قنوط، فإن كان معه قنوط من رحمة الله صار كفراً ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧] قال الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر: ٥٦].

وكذلك الرجاء لا يكون رجاء مع الأمن من مكر الله وعدم الخوف، وهذا مذهب المرجئة، وهو مذهب ضال ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩] فالرجاء فقط كفر، والخوف دون الرجاء كفر، ولذلك قال المصنف: ينقلان عن ملة الإسلام.

لذا يقول بعض السلف: يجب على العبد أن يكون بين الخوف والرجاء؛ يعني: يسوي بينهما، كجناحي الطائر، وجناحا الطائر معتدلان، لو اختلّ واحد منهما سقط، فكذلك العبد بين الخوف والرجاء كجناحي الطائر.

[١٣٦] (الحق بينهما) أي: الخوف والرجاء (لأهل القبلة) أي: المسلمين، سُمُّوا أهل القبلة؛ لأنهم يصلون إلى الكعبة، أما من لا يصلي إلى الكعبة فليس من المسلمين لأن الله أمر بالتوجه إلى

[١٣٧] ولا يَخْرُجُ العبْدُ مِنَ الإيمَانِ إلا بجُحُودِ ما أَدْخَلَهُ فيه.

الكعبة، فالواجب اتباع أمره سبحانه حينما نسخ الاستقبال لبيت المقدس، فالمؤمن يدور مع الأوامر؛ لأنه عَبْدٌ لله ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

[١٣٧] هذا الكلام فيه مؤاخذة؛ لأن قصر الكفر على الجحود مذهب المرجئة، ونواقض الإسلام كثيرة، منها: الجحود، ومنها: الشرك بالله عز وجل، ومنها: الاستهزاء بالدِّين أو بشيء منه ولو لم يجحد، وهي نواقض كثيرة ذكرها العلماء والفقهاء في أبواب الردة، ومنها: تحليل الحرام وتحريم الحلال.

وذكر شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب منها عشرة، وهي أهمها، وإلا فالنواقض كثيرة. فَقَصْرُ نواقض الإسلام على الجحود فقط غلط. وبعض الكتّاب المتعالمين اليوم يحاولون إظهار هذا المذهب من أجل أن يصير الناس في سعة من الدين، ما دام أنه لم يجحد فهو عندهم مسلم، إذا سجد للصنم وقال: أنا ما جحدت، وأنا معترف بالتوحيد، إنما هو ذنب من الذنوب. أو ذبح لغير الله أو سب الله أو سب الرسول أو سب الدين، يقولون: هذا مسلم لأنه؛ لم يجحد، وهذا غلط كبير، وهذا يضيع الدين تماماً، فلا يبقى دين، فالواجب الحذر من هذا الخطر العظيم.

[١٣٨] والإيمانُ: هو الإقْرارُ باللِّسَانِ، والتصديقُ بالجَنَانِ.

---

[١٣٨] هذا تعريف المرجئة، قصروا الإيمان على الإقرار باللسان والتصديق بالجنان.

فالقول الحقّ: أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، فالأعمال داخلة في حقيقة الإيمان، وليست بشيء زائد عن الإيمان، فمن اقتصر على القول باللسان والتصديق بالقلب دون العمل، فليس من أهل الإيمان الصحيح.

فالإيمان ـ كما قال العلماء ـ : قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾، [الأنفال: ٢] وقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤] وقال: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١] هذه الآيات تدل على زيادة الإيمان والنقص، كما في قوله عليه الصلاة والسلام: **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**[١] فدل على أن الإيمان ينقص.

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٤٩).

....

وفي رواية: «**وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»[١] دل على أن الإيمان ينقص، حتى يكون على وزن حبة خردل.

وكما في الحديث الصحيح: «**أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان**»[٢].

فالإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، هذا تعريفه الصحيح المأخوذ من الكتاب والسنة.

فليس كما تقوله الحنفية: قول باللسان واعتقاد بالجنان فقط.

وليس كما تقوله الكرامية: قول باللسان فقط.

وليس كما تقوله الأشاعرة: اعتقاد القلب فقط.

وليس كما تقوله الجهمية: هو المعرفة بالقلب فقط.

فالمرجئة أربع طوائف، أبعدها الجهمية، وعلى قولهم يكون فرعون مؤمناً؛ لأنه عارف، وإبليس يكون مؤمناً؛ لأنه عارف بقلبه.

وعلى قول الأشاعرة: إنّه التصديق بالقلب، يكون أبو لهب وأبو طالب وأبو جهل وسائر المشركين يكونون مؤمنين؛ لأنهم

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٧٥١٠) ومسلم (رقم ١٩٢).

[١٣٩] وَجَمِيعُ ما صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مِنَ الشَّرْعِ والبَيانِ كُلِّه حَقٌّ.

موقنون بقلوبهم ومصدقون، يصدقون النبي ﷺ في قلوبهم، ولكن منعهم الكبر والحسد من اتباعه ﷺ.

واليهود يعترفون أنه رسول الله ﷺ في قلوبهم، ولكن الحسد والكبر: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۘ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقال في المشركين: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٣٣﴾ [الأنعام: ٣٣]، فمعنى ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ أي أنهم يصدقونك.

وأبو طالب يقول:

ولقد علمتُ أن دينَ محمدٍ ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامةُ أو حذار مسبةٍ ... لرأيتني سمحاً بذاك مبينا

[١٣٩] هذا كلام طيب، كل ما صح عن رسول الله ﷺ فهو حق، بخلاف من يقولون: إن ما ورد عن رسول الله ﷺ ينقسم إلى متواتر وآحاد، فلا يأخذون إلا بالمتواتر، ويقولون: أحاديث الآحاد لا تفيد العلم، ولا تفيد اليقين، ولا يستدل بها في العقيدة، وهذا باطل، فكل ما صح عن النبي ﷺ ـ متواتراً أو آحاداً، فإنه يفيد العلم،

. . . .

وتُبنى عليه العقيدة؛ لأنه صح عن الرسول ﷺ، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ . . . ﴾ [الحشر: ٧].

فإذا صح عن النبي ﷺ حديثٌ عُمِلَ به في كل شيء، بشرط أن يكون قد صح عن النبي ﷺ، فهناك طوائف الآن يشككون في السنة؛ منهم من يقول: لا يجوز العمل بالسنة مطلقاً، ويكفي العمل بالقرآن فقط[١]، وهناك من يقول: يؤخذ من السنة المتواتر فقط. وكلا الطائفتين ضال.

فالواجب على المسلم أن يعتقد أن كل ما صح عن النبي ﷺ

---

(١) فعن المقدام بن معدي كرب الكندي قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إنِّي أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شبعان على أريكته، يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه. . .**».

أخرجه أحمد ٤/ ١٣٠ وأبو داود (رقم ٣٨٠٤، ٤٦٠٤).

وأخرجه أحمد بلفظ قريب ٤/ ١٣٢ والترمذي (رقم ٢٦٦٤) وابن ماجه (رقم ٣١٩٣) والدارمي (رقم ٥٩٢).

[١٤٠] وَالإِيمانُ وَاحِدٌ. وأهله فيه سواء.

فهو حق، والرسول ﷺ عمل بخبر الواحد في وقائع كثيرة؛ رؤية الهلال؛ جاءه ابن عمر وأخبره بأنه رأى الهلال فأمر الناس بالصيام، وجاءه أعرابي وأخبره أنه رأى الهلال فقال له: «**أتشهد أن لا إله إلا الله؟ أتشهد أن محمداً رسول الله؟**» قال: نعم، فأمر النبي ﷺ الناس بالصيام(١)، وهو خبر واحد.

كان الرسول ﷺ يرسل رسله آحاداً، وما كان يرسل جماعات، والمرسل إليهم يعملون بما بلغهم المندوب عن الرسول ﷺ.

[١٤٠] هذا غلط؛ لأن الإيمان ليس واحداً، وليس أهله سواء، بل الإيمان يتفاضل، ويزيد وينقص، إلا عند المرجئة.

والتصديق بالقلب ليس الناس فيه سواءً، فليس إيمان أبي بكر الصديق كإيمان الفاسق من المسلمين؛ لأن الفاسق من المسلمين إيمانه ضعيف جداً، وإيمان أبي بكر الصدِّيق يعدل إيمان الأمة

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٦٩١) وأبو داود (رقم ٢٣٤٠) وابن ماجه (رقم ١٦٥٢) وابن خزيمة (رقم ١٩٢٣) وابن حبان (رقم ٨٧٠) والحاكم (١/ ٤٢٤).

....

كلها[1]، فليس الناس في أصله سواءً. هذا من ناحية أصله.

كذلك من ناحية العمل، الناس يتفاضلون في العمل، منهم كما قال الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ [فاطر: ٣٢] هذا العاصي الذي معصيته دون الشرك، فإنه ظالم لنفسه؛ لأنه معرض نفس للخطر ﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ وهو الذي يعمل الواجبات ويتجنب المحرمات.

﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [فاطر: ٣٢] وهذا هو الذي يعمل الواجبات والمستحبات، ويترك المحرمات والمكروهات وبعض المباحات من باب الاحتياط. فالأمة ليست سواء، فصارت

---

(١) فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ، فنخيِّر أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه. أخرجه البخاري (رقم ٣٦٥٥) وبلفظ آخر فيه: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم (رقم ٣٦٩٨).

وعن محمد ابن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول عثمان. قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين. أخرجه البخاري (رقم ٣٦٧١).

[١٤١] والتَّفاضُلُ بَيْنَهُم بالخَشْيَةِ والتُّقَى، ومُخَالَفةِ الهَوى، ومُلازَمَةِ الأُولى.

[١٤٢] والمؤمِنُونَ كُلُّهُم أَوْلياءُ الرَّحْمنِ، وأَكْرَمُهُم عِنْدَ اللهِ أَطْوَعُهُم وَأَتْبعُهُم لِلقُرْآنِ.

ثلاث طوائف، فمنها الظالم لنفسه، ومنها المقتصد، ومنها السابق بالخيرات، فدل على أن الإيمان متفاضل.

[١٤١] هذا لا يكفي لأن معناه إخراج الأعمال عن مسمى الإيمان، وأنه إذا صدق بقلبه ونطق بلسانه فهو مؤمن كامل الإيمان، والناس لا يتفاضلون في ذلك. وهذا خطأ كبير؛ لأن التفاضل يحصل بما ذكره وبالأعمال الصالحة.

[١٤٢] هذا حق، فالمؤمنون كلهم أولياء الله، يعني: أحبابه، فالله يحب المؤمنين ويحب المتقين ويحب المحسنين ويحب التوابين ويحب المتطهرين، كما أنه يبغض الكافرين ويبغض الفاسقين، فالله يحب ويبغض على الأعمال.

فكل مؤمن يكون ولياً لله، وتتفاضل الولاية، بعضهم أفضل من بعض، قال جل وعلا: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣] فمن الناس من ولايته مع الله تامة، ومنهم من ولايته مع الله ناقصة، ومنهم من هو عدو لله بعيد عن الله سبحانه وتعالى.

فكل من فيه إيمان وتقوى فهو ولي لله، ولكن الولاية تتفاضل

[١٤٣] والإِيمانُ: هوُ الإِيمانُ باللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ،

بحسب الأعمال، فمنهم من ولايته كاملة، ومنهم من هو ولي من وجه، وهو المؤمن الفاسق، ولي لله بطاعته، عدو لله بمعصيته ومخالفته.

ومنهم من هو عدو خالص كالكافر والمشرك.

هذا هو الحق، أما من يرى أنه ليس لله ولي إلا من بُنِيَ على قبره مشهد أو ضريح، والذي ليس عليه ضريح هذا فليس بولي؟ كما عند القبوريين! فهذا باطل.

[١٤٣] تعريف الإيمان هو كما سبق: قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان[(١)]، وأما ما ذكره المصنف هنا فهي أركانه كما بينها النبي ﷺ لما سأله جبريل «**قال: أخبرني عن الإيمان، قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[(٢)].

---

(١) فقد أخرج البخاري في كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، وقول الله تعالى: ﴿وزدناهم هدى﴾ ﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾ وقال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ فإذا ترك شيئاً من الكمال فهو ناقص.

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٥٠) ومسلم رقم (١٠).

واليومِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ: خَيْرِه وشَرِّهِ، وحُلْوِهِ ومُرِّهِ، مِنَ الله تَعَالَى.

[١٤٤] ونَحْنُ مُؤْمِنُون بِذَلِكَ كُلِّهِ

[١٤٥] لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، ونُصَدِّقُهُم كُلَّهُمْ عَلى مَا جَاءوا بِه.

وله خصال كثيرة، كما في قوله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة ـ أو بضع وستون شعبة ـ أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[1] لكن هذه الستة هي الأركان والدعائم التي يقوم عليها.

وتقدم الكلام عن الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالرسل، والإيمان بالكتب، تقدم كل هذا، ولكنه متفرق في أول هذه العقيدة.

[١٤٤] يجب الإيمان بهذا كله، فإن جحد شيئاً من هذه الأركان فإنه ليس بمؤمن؛ لأنه نقص ركناً من أركان الإيمان.

[١٤٥] هذا سبق، أنه يجب الإيمان بجميع الرسل من أولهم إلى آخرهم، من سمَّى الله منهم في القرآن ولم يسمِّ؛ فنؤمن بجميع الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده، فمن آمن ببعضهم وكفر ببعضٍ فهو كافر بالجميع؛ لو جحد نبياً واحداً فإنّه يكون كافراً بجميع الأنبياء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ

---

(١) أخرجه البخاري (رقم٩) ومسلم (رقم٣٥) واللفظ له.

[١٤٦] وَأَهْلُ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلّم فِي النَّارِ لا يُخَلَّدُون، إِذَا مَاتُوا وهُمْ مُوحِّدُونَ.

ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

فاليهود كفار؛ لأنهم كفروا بنبيين كريمين، كفروا بعيسى عليه الصلاة والسلام، وكفروا بمحمد ﷺ، والنصارى كفار؛ لأنهم جحدوا رسالة النبي محمد ﷺ، فالذين يقولون اليوم: اليهود والنصارى مسلمون ومؤمنون، وأنهم أهل أديان، ويجب التقارب بين الأديان والحوار بين الأديان، هذا خلط وضلال والعياذ بالله، خلط بين الحق والباطل، والإيمان والكفر لأنه بعد بعثة محمد ﷺ ليس هناك دين صحيح إلا الإسلام ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

فالإسلام نسخ كل ما قبله، وأَمرَ الإنس والجن واليهود والنصارى والأُميين وجميع العرب والعجم، أُمروا باتباع المصطفى ﷺ، فلا إيمان إلا باتباع هذا الرسول ﷺ.

[١٤٦] الكبائر هي الذنوب التي دون الشرك وفوق الصغائر، وضابط الكبيرة هو: كل ذنب رُتِّب عليه حد، أو ختم بغضب أو لعنة أو نار، أو تَبَرَّئَ الرسول ﷺ من فاعله، فإن هذا كبيرة، كقوله: «من

....

غشنا فليس منا»[١] ، **«من حمل علينا السلاح فليس منا»**[٢] .

كل هذه الاعتبارات تدل على أن الذنب كبيرة، ولكنها دون الشرك، فصاحبها لا يخرج من الإيمان، وإنما يكون مؤمناً ناقص الإيمان، أو يسمى فاسقاً، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، لا يكفرون بالكبائر التي دون الشرك، ولكن لا يمنحون صاحبها اسم الإيمان المطلق، ولكن يمنحونه إيماناً مقيداً؛ فيقال: مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته.

فلا يقال: هو مؤمن كامل الإيمان، كما تقوله المرجئة، ولا يقال: هو خارج من الإسلام، كما تقوله الخوارج والمعتزلة.

إذاً: فالناس في صاحب الكبيرة التي هي دون الشرك ثلاث طوائف:

الخوارج والمعتزلة أخرجوه من الإسلام، لكن الخوارج أدخلوه في الكفر، والمعتزلة لم يدخلوه، وقالوا: هو في منزلة بين المنزلتين، ولكنهم أخرجوه من الإسلام.

المرجئة قالوا: هو مؤمن كامل الإيمان، طالما أنه يعتقد في قلبه الإيمان عند جمهورهم وينطق بلسانه عند بعضهم، فإنّه مؤمن

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ١٠١).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٦٨٧٤) ومسلم (رقم ٩٨، ١٠٠، ١٠١).

[١٤٧] وإِنْ لم يَكُونُوا تَائِبينَ، بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفينَ «مُؤْمِنينَ» وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وحُكْمِهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لهُمْ وَعفَا عَنْهُم بِفَضْلِه، كما ذكرَ عزَّ

كامل الإيمان، ولا تنقص هذه المعاصي من إيمانه، وإن كانت كبائر، وهذا ضلال أيضاً.

أما القول الحق فهو مذهب أهل السنة والجماعة: أن صاحب الكبيرة دون الشرك مؤمن، وليس بكافر، لكنه ناقص الإيمان. فهذا يجب معرفته، ويجب أن ترسخه في عقلك، فأهل الشر زاد شرهم في هذا الوقت، وصاروا يظهرون مذهب الإرجاء ليروجوه على الناس، وليستروا على أنفسهم ما هم فيه من الضلال.

فهذا معرفته من أوجب الواجبات على طالب العلم اليوم.

[١٤٧] نعم، هذا هو المذهب الحق: أن أصحاب الكبائر التي دون الشرك ليسوا كفاراً، وأنهم إذا لقوا الله ولم يتوبوا من هذه الكبائر فإنهم تحت المشيئة، إن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم، ثم يخرجهم من النار ويدخلهم الجنة بتوحيدهم وإيمانهم، لا يخلدون في النار، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، لكن قوله: (عارفين مؤمنين) فيه إجمال، فلو قال: (موحدين) كما قال أولاً لكان أحسن.

وإن شاء الله أمضى فيهم الوعيد، ولكنهم لا يخلدون في النار، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهذا هو المذهب الحق، بخلاف الخوارج الذين يقولون: إنهم في النار على أي حال، وإنهم خالدون

وجَلَّ في كتابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُم فِي النَّارِ بِعَدْلِه.

[١٤٨] ثُمَّ يُخْرِجُهُم مِنْهَا بِرَحْمَتِه وَشفَاعَةِ الشَّافِعينَ مِن أَهْلِ طَاعَتِه.

فيها، فمن دخل النار عندهم لا يخرج منها. وخلاف المرجئة القائلين: إنهم لا يمرون على النار أبداً، فهذا غلط، بل لا نضمن لهم النجاة، فهم تحت المشيئة.

إن شاء عفا عنهم بفضله، وإن شاء عذبهم بعدله، وما ظلمهم الله سبحانه وتعالى، بل عذبهم بأعمالهم التي أوجبت لهم ذلك، فالله لا يعذب من لم يعصه، ولا يساوي بين العاصي وبين المؤمن المستقيم، ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦] ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ۝٢٨﴾ [ص: ٢٨].

هذا استنكار من الله عز وجل، ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٢١﴾ [الجاثية: ٢١].

[١٤٨] كما صحت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ: أن عصاة الموحدين يخرجون من النار[١]، إما بفضل الله تعالى، وإما بشفاعة

---

(١) كما في حديث الشفاعة عن أنس رضي الله عنه وفيه، قال النبي ﷺ: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من =

[١٤٩] ثُمَّ يَبْعثُهُم إلى جَنَّتِهِ.

[١٥٠] وَذلِكَ بِأَن الله تعالى تَولَّى أَهْلَ مَعْرِفتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُم فِي

الشافعين بإذن الله تعالى، والشفاعة حق، ولكن لا تكون إلا بإذن الله، وأن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد، لا من الكافرين ولا من المشركين ولا من المنافقين.

[١٤٩] بعد إخراجهم من النار، ورد أنهم يخرجون من النار كالفحم محترقين، ثم يلقون في نهر يسمى: نهر الحياة، فتنبت أجسامهم ولحومهم، ثم بعد ذلك إذا هُذبوا ونُقوا أُذن لهم في دخول الجنة، فيدخلون في الجنة(١).

[١٥٠] قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الجاثية: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ۝٢٨﴾ [ص: ٢٨] إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على

= قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزيد برة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة» أخرجه البخاري (رقم ٧٤١٠) ومسلم (رقم ١٩٣).

(١) فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، وأهل النارِ النارَ يقول الله: من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمماً، فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ـ أو قال: حمية السيل» وقال النبي ﷺ: «ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية».
أخرجه البخاري (رقم ٥٠٦٠) ومسلم (رقم ١٨٤، ١٨٥).

الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِه، الذينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ، ولمْ يَنَالُوا مِنْ وِلاَيَتِهِ.
[١٥١] اللَّهُمَّ يا وَلِيَّ الإِسْلامِ وَأَهْلِهِ، ثَبِّتْنَا عَلى الإِسْلامِ حَتَّى نَلْقَاكَ به.

أن الله لا يسوي بين أهل طاعته وأهل معصيته، ولا بين أهل الإيمان وأهل الكفر، بل يجازي كلاً بعمله. (ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته) بل ميز بينهم سبحانه في الدنيا وفي الآخرة، ميز بين أهل الطاعة والمعصية، وبين أهل الكفر والإيمان، في الدنيا وفي الآخرة، ميز بينهم في الدنيا في صفاتهم وعلاماتهم وأفعالهم، فليست أفعال أولياء الله وأهل الطاعة مثل أفعال أعدائه ولا أقوالهم ولا تصرفاتهم، انظر إلى الناس الآن، وانظر إلى تصرفاتهم، انظر إلى تصرفات المتقين والمؤمنين، وانظر إلى تصرفات الفسقة والعاصين، وانظر إلى تصرفات الكفار والملحدين، هذا في الدنيا.

وفي الآخرة كذلك يميز الله بينهم، فهؤلاء يكرمهم بجنته، وهؤلاء يعذبهم بناره وعقوبته؛ لأنه سبحانه حكيم يضع الأمور في مواضعها، فلا يضع الرحمة إلا فيمن يستحقها، ولا يضع سبحانه وتعالى العذاب إلا فيمن يستحقه. لكن قوله: (أهل معرفته) فيه قصور وإيهام أن الإيمان هو مجرد المعرفة كما يقوله غلاة المرجئة فلو قال: (أهل طاعته) لكان أحسن وأوضح.

[١٥١] هذا من أجمل كلام المصنف يرحمه الله!

....

أنه لما ذكر هذه المسائل العظيمة الخطيرة سأل الله التثبيت، ألاّ يضله الله مع أصحاب هذه الضلالات وأصحاب هذه المقالات الضالة، فهذا من الفقه والحكمة؛ أن الإنسان لا يغتر بعلمه، ويقول: أنا أعرف التوحيد وأعرف العقيدة، وليس عليّ خطر، هذا غرور بل عليه أن يخاف من سوء الخاتمة والضلال، يخاف أن ينخدع بأهل الضلال، كم من معتدل انحرف، خصوصاً إذا اشتدت الفتن، يصبح الرجل مسلماً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، ويبيع دينه بعرض من الدنيا، كما صح الحديث بذلك(١). الفتن إذا جاءت يسأل الإنسانُ اللهَ الثبات(٢)، ولا يقول: أنا لست

---

(١) فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا**» أخرجه مسلم (رقم ١١٨).

(٢) فعن جابر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك**» فقلنا: يا رسول الله تخاف علينا وقد آمنا بما جئت به؟ فقال: «**نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء**».
أخرجه الترمذي (رقم ٢١٤٥) وابن ماجه (رقم٣٨٣٤) والحاكم ١/ ٥٢٥ـ ٥٢٦، ٤/ ٣٢١ وصححه ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: هذا حديث حسن.
وقد أخرج مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء**».
ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**» أخرجه مسلم (رقم ٢٦٥٤).

[١٥٢] وَنَرى الصَّلاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ، وَعَلى مَنْ مَاتَ مِنْهُم.

على خطر، أنا عارف وأنا أصلي، نعم، أنت عارف وتصلي والحمد لله، لكن عليك خطر وعليك أن تخاف، أنت أفضل أم إبراهيم عليه الصلاة والسلام؟ قال: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] إبراهيم خاف على نفسه من عبادة الأصنام، مع أنه هو الذي كَسَّرها وحَطَّمها بيده، ولقي في ذلك العذاب والإهانة في سبيل الله عز وجل، ومع هذا يقول: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ولم يقل: أنا الآن نجوت، بل طلب من الله أن يجنبه وبنيه أن يعبدوا الأصنام، فالإنسان يخاف دائماً من ربه عز وجل، وكم من مهتد ضل، وكم من مستقيم انحرف، وكم من مؤمن كفر وارتد، وكم من ضال هداه الله، وكم من كافر أسلم، فالأمر بيد الله سبحانه وتعالى.

[١٥٢] هذا فيه مسألتان:

الأولى: أن الصلاة عمل وإحسان، فإذا فعلها الناس خصوصاً ولاة الأمور، فإنهم عملوا معروفاً وإحساناً، وفي ترك الصلاة خلفهم فيه محظور عظيم، من شق العصا، وتفريق الكلمة، وسفك الدماء، وهذا خطر عظيم، فيجب أن يُتلافى، قال عليه الصلاة والسلام: «**صلوا خلف من قال: لا إله إلا الله، وعلى من قال: لا إله**

....

إلا الله»[١]، هذا من حيث العموم، فكيف بولاة الأمور الذين في منابذتهم ومخالفتهم شق لعصا الطاعة، وتفريق الكلمة، وآثار سيئة على المسلمين؟

هذا مذهب أهل السنة والجماعة، يصلون الجمع والجماعات، ويجاهدون في سبيل الله مع كل أمير، براً كان أو فاجراً، ما لم يخرج عن الإسلام.

هذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة، من عهد الصحابة إلى عهد الأئمة، وهو الذي عليه إجماع المسلمين من أهل السنة والجماعة.

المسألة الثانية: الصلاة على جنازة المسلم وإن كان فاسقاً، ما لم يخرج من الإسلام، فهو مسلم له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين، أما إذا خرج عن الإسلام فلا يصلى عليه؛ لأنه ليس بمسلم، وليس كل إنسان يَحْكُمُ على الناس بالردة، إنما يَحْكُمُ بذلك أهل العلم والبصيرة بالرجوع إلى قواعد أهل السنة والجماعة، أما كل أحد فلا يحكم بذلك، وإن كانت نيته طيبة ومقصده حسناً، إنما الحكم لأهل البصيرة والراسخين في العلم.

---

(١) أخرجه الدارقطني (٢/ ٤٣ رقم ١٧٤٣).

[١٥٣] وَلاَ نُنَزِّلُ أَحَداً مِنْهُم جَنَّةً ولا ناراً.

---

[١٥٣] نحن لا نشهد لأحد، مهما بلغ من الصلاح والتقى، لا نشهد له بالجنة؛ لأننا لا نعلم الغيب، ولا نحكم لأحد من المسلمين بالنار مهما عمل من المعاصي، لا نحكم عليه بالنار؛ لأننا لا ندري بما ختم له وما مات عليه[١]، وهذا في المعيَّن.

فنحن ما لنا إلا الظاهر فقط، وكذلك لا يحكم لأحد بالنار، إلا من شهد له بذلك الرسول ﷺ، سواء بجنة أو نار، مثل العشرة المبشرين بالجنة، وهم الخلفاء الراشدون الأربعة، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبدالرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وطلحة بن عبيدالله، رضي الله عنهم[٢]. وكذلك شهد رسول الله ﷺ لثابت بن

---

(١) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «... **إنما الأعمال بخواتيمها**» أخرجه البخاري (رقم ٦٤٩٣).

(٢) فعن سعيد بن زيد حدَّث في نفرٍ: أن رسول الله ﷺ قال: «**عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان، وعلي، والزبير، وطلحة، وعبدالرحمن، وأبو عبيدة، وسعد بن أبي وقاص**» قال: فعدَّ هؤلاء التسعة، وسكت عن العاشر، فقال القوم: ننشدك الله يا أبا الأعور من العاشر؟ قال: نشدتموني بالله، أبو الأعور في الجنة.

أخرجه الترمذي (رقم ٣٧٥٧) وقال أبو عيسى: أبو الأعور هو سعيد بن زيد بن =

....

قيس بن شماس الأنصاري، شهد له بالجنة، وكذلك رجل من الأنصار قال: «**يدخل عليكم رجل من أهل الجنة**» فدخل رجل تنطف لحيته من وضوئه، وبيده اليسرى نعلاه، ثم جلس في الحلقة، وفي اليوم الثاني والثالث قال عليه الصلاة والسلام نفس المقالة، ودخل نفس الرجل، وهذا من باب التأكيد، وإلا فشهادة واحدة تكفي، وقد تابعه عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ حتى يعلم عمله الذي بسببه بشر بالجنة، فلم يجد عنده كثير عبادة، وجده محافظاً على الفرائض، ويقوم من الليل، وكان إذا استيقظ من الليل ذكر الله وسبح وهلل، فلما أراد عبدالله أن يغادر قال للرجل: إنِّي سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول كذا وكذا، فأردت أن أسبر عملك، فقال الرجل: ما هو إلا ما رأيت. فلما ولّى دعاه وقال: إلا أنني لا أجد في قلبي غلاً على مسلم، قال: هذا، وهذا الذي لانطيقه[(١)].

الحاصل: أن النبي ﷺ إذا شهد لأحد بالجنة، فإننا نشهد له بالجنة، ونقطع له بالجنة، وأما غيره فلا نقطع له، ولكن نرجو له

= عمرو بن نوفيل. وسمعت محمداً ـ يعني البخاري ـ يقول: هو أصح من الحديث الأول.

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣/١٦٦ وعبدالرزاق في مصنفه (رقم ٢٠٥٥٩) والبغوي في شرح السنة (رقم ٣٥٣٥) والنسائي في عمل اليوم والليلة (رقم ٨٦٣) والبيهقي في شعب الإيمان (رقم ٦٦٠٥).

[١٥٤] ولاَ نَشْهَدُ عَلَيْهِم بِكُفْرٍ وَلا بشْرِكٍ وَلا بِنفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُم شَيءٌ مِنْ ذَلك.

الخير. وكذلك الكافر المعين لا نحكم عليه بالنار؛ لأنه قد يتوب ويموت على التوبة، يختم له بخير، لكننا نخاف عليه، هذا من حيث التعيين.

أما من حيث العموم: فنقطع أن المسلمين في الجنة، ونقطع أن الكفار من أهل النار.

[١٥٤] الأصل في المسلم: العدالة، وهذه قاعدة عظيمة فلا نسيء الظن فيه ولا نتجسس عليه، ولا نتتبعه، لكن إن ظهر لنا شيء حكمنا به عليه، وإن لم يظهر شيء فلا نسيء الظن بالمسلمين، فنعامله بما يظهر منه، ونحن لسنا مكلفين بالبحث عن الناس والتحري عنهم والحكم عليهم، لم يكلفنا الله بذلك(١).

---

(١) فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع، فقال: «**يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يُفْضِ الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله**».
ونظر ابن عمر يوماً إلى البيت أو إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك.
أخرجه الترمذي (رقم ٢٠٣٧) وقال: هذا حديث حسن غريب.

[١٥٥] وَنَذَرُ سَرَائِرَهُم إلى الله تعالى.
[١٥٦] وَلا نَرى السَّيْفَ عَلى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه

---

[١٥٥] نحسن الظن بهم، وسرائرهم إلى الله تعالى، ولم نكلف أن نبحث عن الناس وعن أحوالهم، والواجب ستر المسلم وإحسان الظن به، والتآخي بين المسلمين(١) ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

[١٥٦] لا يجوز قتل المسلم، واستباحة دمه؛ لأن الله عصمه بالإسلام، قال عليه الصلاة والسلام: **«أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»**(٢) فمن أظهر الإسلام ونطق بالشهادتين، ولم يظهر منه ناقض من نواقض الإسلام، فإن دمه حرام، فلا يجوز الاعتداء عليه وسفك دمه، قال عليه الصلاة والسلام: **«إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة**

---

(١) فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»**.
أخرجه البخاري (رقم ٢٤٤٢) ومسلم (رقم ٢٥٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٢٥، ٣٩٢، ٢٩٤٦) ومسلم (رقم ٢١، ٢٢).

وسلم إلاَّ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ.

يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»[١] قال هذا في خطبته بمنى يوم النحر.

هل هناك أشد من هذا؟ فحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمة الكعبة؛ لأن النبي ﷺ لما نظر إلى الكعبة قال: «**ما أشد حرمتك! وحرمة المسلم أعظم عند الله من حرمتك**» أو كما قال عليه الصلاة والسلام[٢].

وجاء عنه عليه الصلاة والسلام: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[٣].

الأول: الثيب الزاني، هو المحصن الذي سبق أن وطأ زوجته في نكاح صحيح وهما عاقلان بالغان حران، فإذا زنى رُجم حتى الموت.

الثاني: المسلم إذا تعدّى على المسلم فقتله ظلماً وعدواناً، وطالب أولياء المقتول بالقصاص فيُقتل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٧) ومسلم (رقم ١٦٧٩).

(٢) وقد ثبت ذلك عن ابن عمر، فهو موقوف عليه، كما عند الترمذي (رقم ٢٠٣٧)، وقال عنه: هذا حديث حسن غريب.

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٦٨٧٨) ومسلم (رقم ١٦٧٦).

[١٥٧] وَلاَ نَرى الخُرُوجَ عَلى أَئِمتِنَا وَوُلاَةِ أُمُورِنَا .

﴿ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨] أي: فرض عليكم، وقال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥].

والثالث: هو المرتد، فيقتل حد الردة، وما عدا الثلاثة فدم المسلم مُحَرَّمٌ حُرْمَةً عظيمةً.

كذلك البغي، إن بغى على المسلمين ولو كان مسلماً فالبغاة يقاتلون؛ لأنهم يريدون أن يُفَرِّقوا كلمة المسلمين، ويخرجوا على إمامهم، فيجب قتالهم ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩] وتُستحل دماؤهم من أجل كفهم عن البغي، ولصيانة جماعة المسلمين وكلمتهم وحفظ الأمن.

وكذلك تستباح دماء قطاع الطريق ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [المائدة: ٣٣] فجزاؤهم على حسب جرائمهم.

فهؤلاء أحل الله قتلهم؛ لدفع شرهم وعدوانهم.

[١٥٧] هذه مسألة عظيمة، فمن أصول أهل السنة والجماعة: أنهم لا يرون الخروج على ولاة أمر المسلمين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾ [النساء: ٥٩] وقال عليه الصلاة والسلام:

. . . .

«من يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصِ الأمير فقد عصاني»[١] فلا يجوز الخروج عليهم؛ ولوكانوا فساقاً لأنهم انعقدت بيعتهم، وثبتت ولايتهم، وفي الخروج عليهم ولو كانوا فساقاً مفاسد عظيمة، من شق العصا، واختلاف الكلمة، واختلال الأمن، وتسلط الكفار على المسلمين.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (ما خرج قوم على إمامهم إلا كانت حالتهم بعد الخروج أسوأ من حالتهم قبل الخروج) أو كما ذكر.

وهذا حتى عند الكفار، إذا قاموا على ولي أمرهم وخرجوا عليه، فإنه يختل أمنهم ويصبحون في قتل وقتيل، ولا يقر لهم قرار، كما هو مشاهد من الثورات التي حدثت في التاريخ، فكيف بالخروج على إمام المسلمين؟ فلا يجوز الخروج على الأئمة وإن كانوا فساقاً، ما لم يخرجوا عن الدين، قال عليه الصلاة والسلام: **«اسمعوا وأطيعوا إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»**[٢] فالفسق والمعاصي لا توجب الخروج عليهم، خلافاً للخوارج والمعتزلة الذين يرون الخروج عليهم إن كان عندهم معاصٍ وحصل

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٩٥٧) ومسلم (رقم ١٨٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٧٠٥٦) ومسلم (رقم ١٧٠٩).

. . . .

منهم فسق، فيقولون: هذا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقصدون به الخروج على ولاة أمور المسلمين.

فأصول المعتزلة خمسة:

الأول: التوحيد، ومعناه: نفي الصفات، ويرون من يثبت الصفات فهو مشرك.

الثاني: العدل، ومعناه: نفي القدر، فيقولون: إن إثبات القدر جور وظلم، ويجب العدل على الله.

الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويريدون به الخروج على أئمة المسلمين إن كان عندهم معاصٍ دون الكفر. وهذا هو المنكر بنفسه، وليس من المعروف في شيء.

الرابع: المنزلة بين المنزلتين، وهو الحكم على أصحاب الكبائر بالخروج من الإسلام، وعدم الدخول في الكفر، وأما الخوارج فيحكمون عليه بالكفر.

الخامس: إنفاذ الوعيد، ومعناه: أن من مات على معصية وهي كبيرة من الكبائر دون الشرك، فهو خالد مخلد في النار، فهم يوافقون الخوارج في مصيره في الآخرة، ويخالفون الخوارج في أنه في منزلة بين المنزلتين، وألَّف فيها القاضي عبدالجبار ـ من أئمتهم ـ كتاباً سماه: شرح الأُصول الخمسة.

[١٥٨] وَإِنْ جَارُوا.

[١٥٩] وَلاَ نَدْعُو عَلَيْهِم.

---

[١٥٨] الجور معناه: الظلم، وإن تعدوا وظلموا الناس بأخذ أموالهم، وضرب ظهورهم، أو يقتلون المسلم، فلا يرون الخروج عليهم؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**اسمع وأطع وإن أخذ مالك وجلد ظهرك**»[1] فالصبر عليهم أولى من الخروج؛ لما في الخروج من المفاسد العظيمة، فهذا من باب ارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما، وهي قاعدة عند أهل السنة والجماعة، والنبي ﷺ أمر بالصبر على جور الولاة وإن ظلموا وجاروا وإن فسقوا.

[١٥٩] لا يجوز الدعاء عليهم؛ لأن هذا خروج معنوي، مثل الخروج عليهم بالسلاح، وكونه دعا عليهم؛ لأنه لا يرى ولايتهم، فالواجب الدعاء لهم بالهدى والصلاح، لا الدعاء عليهم، فهذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة، فإذا رأيت أحداً يدعو على ولاة الأمور، فاعلم أنه ضال في عقيدته، وليس على منهج السلف، وبعض الناس قد يتخذ هذا من باب الغيرة والغضب لله عز وجل، لكنها غيرة وغضب في غير محلهما؛ لأنهم إذا زالوا حصلت المفاسد.

قال الإمام الفضيل بن عياض رحمه الله ـ ويروى ذلك عن

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ١٨٤٧) من حديث حذيفة بن اليمان.

....

الإمام أحمد يقول : (لو أني أعلم أن لي دعوة مستجابة لصرفتها للسلطان).

والإمام أحمد صبر في المحنة، ولم يثبت عنه أنه دعا عليهم أو تكلم فيهم، بل صبر وكانت العاقبة له، هذا مذهب أهل السنة والجماعة.

فالذين يدعون على ولاة أمور المسلمين ليسوا على مذهب أهل السنة والجماعة، وكذلك الذين لا يدعون لهم، وهذا علامة أن عندهم انحرافاً عن عقيدة أهل السنة والجماعة.

وبعضهم ينكر على الذين يدعون في خطبة الجمعة لولاة الأمور، ويقولون: هذه مداهنة، هذا نفاق، هذا تزلف. سبحان الله! هذا مذهب أهل السنة والجماعة، بل من السنة الدعاء لولاة الأمور؛ لأنهم إذا صلحوا صلح الناس، فأنت تدعو لهم بالصلاح والهداية والخير، وإن كان عندهم شر، فهم ما داموا على الإسلام فعندهم خير، فما داموا يُحَكِّمون الشرع، ويقيمون الحدود، ويصونون الأمن، ويمنعون العدوان عن المسلمين، ويكفون الكفار عنهم، فهذا خير عظيم، فيدعى لهم من أجل ذلك. وما عندهم من المعاصي والفسق، فهذا إثمه عليهم، ولكن عندهم خير أعظم، ويُدعى لهم بالاستقامة والصلاح فهذا مذهب أهل السنة والجماعة،

[١٦٠] وَلاَ نَنْزِعُ يَداً مِنْ طَاعَتِهِم.

أما مذهب أهل الضلال وأهل الجهل، فيرون هذا من المداهنة والتزلف، ولا يدعون لهم، بل يدعون عليهم.

والغيرة ليست في الدعاء عليهم، فإن كنت تريد الخير؛ فادعُ لهم بالصلاح والخير، فالله قادر على هدايتهم وردهم إلى الحق، فأنت هل يئست من هدايتهم؟ هذا قنوط من رحمة الله، وأيضاً الدعاء لهم من النصيحة، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة**» قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1]. فهذا أصل عظيم يجب التنبه له، وبخاصة في هذه الأزمنة.

[١٦٠] (ولا ننزع يداً من طاعتهم) هذا تأكيد لما سبق، حتى ولو حصل منهم ظلم وجور ومعاصٍ وكبائر دون الشرك، فإننا لا ننزع يداً من طاعتهم، ولا نخرج عليهم ولا نعصيهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩] بل نجاهد معهم، ونشهد الجمع والجماعات والأعياد معهم؛ من أجل اجتماع كلمة المسلمين.

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٥٥) وأخرجه البخاري تعليقاً في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «الدّين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

[١٦١] وَنَرى طَاعَتَهُم منْ طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَريضةً، مَا لَمْ يأمُروا بمعْصِيَةٍ.

[١٦٢] وَندْعو لَهُم بِالصَّلاحِ والمعَافَاةِ.

[١٦٣] ونَتَّبعُ السُّنَّةَ والجَمَاعَةَ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ والخِلاَفَ والفُرْقَةَ.

---

[١٦١] قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩] فالله أمر بطاعة ولاة الأمر من المسلمين، أما الكافر فلا طاعة له على المسلمين ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾ [النساء: ١٤١] لأنه قال: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ يعني المسلمين. فتجب طاعتهم إلا إذا أَمَرُوا بمعصية، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله، فلا تطعه في تلك المعصية، لكن ليس المعنى أن تخرج عليه وتنزع الطاعة مطلقاً، بل لا تطعه في تلك المعصية، وأطعه فيما عداها، مما ليس بمعصية وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنما الطاعة في المعروف**»[1].

[١٦٢] ندعو الله أن يرجعهم إلى الحق، ويصحح ما عندهم من الخطأ، ندعو لهم بالصلاح؛ لأن صلاحهم صلاح للمسلمين، وهدايتهم هداية للمسلمين، ونفعهم يتعدّى لغيرهم، فأنت إن دعوت لهم دعوت للمسلمين.

[١٦٣] هذا أصل عظيم من أصول أهل السنة والجماعة، وهو اتباع سنة النبي ﷺ، قال عليه الصلاة والسلام: «**فإنه من يعش منكم**

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٤٣٤٠، ٧١٤٥) ومسلم (رقم ١٨٤٠).

....

فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»[(١)] فلما أمر بالسنة، نهى عن البدعة.

والبدعة: ما أُحدث في الدين مما ليس منه؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[(٢)]، وكل عبادة وكل عمل يتقرب به العبد لله، وليس عليه دليل من الكتاب ولا السنة، فهو بدعة، وإنْ كان قصد فاعله التقرب إلى الله فهو إنما يبعده عن الله، ولا يثاب عليه؛ بل يعاقب، فالسنة ما كان عليه دليل من الكتاب أو السنة.

والبدع كثيرة جداً، فالناس يُحْدِثُون بدعاً كثيرة، فالبدع لا تُقَرُّ ولا يُعمل بها مهما كانت وممن صدرت، ومن البدع ما يعمل من الاحتفالات بالمولد النبوي، فهو بدعة، ليس عليه دليل من الكتاب

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٤٦٠٧) والترمذي (رقم ٢٦٨١) وابن ماجه (رقم ٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ١٧١٨) وأخرجه البخاري بلفظ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد» (رقم ٢٦٩٧).

....

ولا السنة ولا هدي الخلفاء الراشدين، ولا من هدي القرون المفضلة التي شهد لها رسول الله ﷺ بالخيرية، إنما أُحدث بعد هذه القرون لمّا فشا الجهل، وأول من أحدث المولد: الشيعة الفاطميون، ثم أخذه الأغرار المنتسبون لأهل السنة عن حسن نية وقصد، ويزعمون أنه من محبة الرسول، وليس ذلك من محبته، إنما المحبة بالاتباع لا الابتداع:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه   هذا لعمري في القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

فعلامة المحبة الصادقة: الاتباع، أما الابتداع فهي علامة على الكراهة؛ لأن النبي ﷺ حذر من البدعة، وأنت تحييها وتحدثها، فمعنى ذلك أنك تكره السنة، وإذا كنت تكره السنة فأنت تكره الرسول فإن كنت تريد الخير فتب إلى الله وارجع، أما العناد والمكابرة فهذا اختيار سيء لنفسك.

وكذلك نلزم الجماعة ونترك الشذوذ؛ فلا نأتي بعمل ولا بقول شاذ ليس عليه عمل المسلمين وقولهم؛ لأن هذا يُفَرِّق الكلمة ويحدث العداوة، فما دام المسلمون يمشون على منهج الكتاب والسنة، فلا نترك ما هم عليه لقول شاذ، فالشذوذ والمخالفات لا تجوز، والحمد لله، المسلمون يبحثون عن الحق، وإجماعهم

[١٦٤] وَنُحِبُّ أَهْلَ العَدْلِ والأَمَانَةِ، وَنَبْغَضُ أَهْلَ الجَوْرِ والخِيَانَةِ.

«إن الله تعالى لا يجمع أمتي على ضلالة»[1]، حتى الحديث إن ورد عن طريق وسند صحيح، لكن فيه مخالفة لما هو أصح منه؛ فيسمى حديثاً شاذاً عند المحدثين.

فيجب التثبت في هذه الأمور، ولا ننبش في أقوال وأفعال مهجورة ونؤلف فيها ونشوش على الناس أمور دينهم، والشذوذ: مخالفة ما عليه جماعة المسلمين، والخلاف ضد الاتفاق، والفرقة ضد الاجتماع، والشذوذ ضد الائتلاف، أما أن نبحث عن الشاذ، فهذا تضليل للأئمة وتجهيل لهم، وهل أنت أوتيت علماً أكثر من علمهم، وخصصت بعلم لم يصلوا إليه؟ وما آل إليه بعض الناس من هذه الأمور في العصور المتأخرة التي يفشو فيها الجهل، وأغلب ما يصدر ذلك عن واحد متعالم وليس بعالم، ولم يدرس العقيدة الصحيحة والفقه، إنما تفقه على نفسه وصار يضيف إلى دين الله ما ليس منه، وهذه مصيبة، فالعلم ليس بفوضى، إنه يحتاج إلى ضوابط وفقه ودراية.

[١٦٤] المحبة عمل قلبي، والمحبة على قسمين:

أولاً: محبة طبيعية، كمحبة الإنسان لأهله وزوجته وأولاده، ومحبته لأصدقائه، ومحبته للأكل والشرب، فهذه المحبة لا تدخل

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٢١٧٢).

....

في أمر العبادة.

ثانياً: محبة دينية، وهذه على نوعين:

النوع الأول: محبة الله سبحانه وتعالى، وهي أعظم أنواع العبادة، يقول ابن القيم:

وعبادة الرحمن غاية حبه   مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر   ما دار حتى قامت القطبان

عبادة الرحمن غاية حبه، أي: منتهى حبه، وتدور عليها أمور العبادات كلها، فهي نوع عظيم من أنواع العبادة، لا يجوز أن يُحَبَّ أحد مع الله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] هذا شرك في المحبة، التي هي أعظم أنواع العبادة، ولذلك قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] فالمؤمنون لا يحبون إلا الله، ومحبتهم أشد من محبة أهل الأصنام لأصنامهم؛ لأن محبة الله لا تنقطع في الدنيا ولا في الآخرة، أما محبة غيره من المعبودين فتنقطع في الآخرة، وتحصل العداوة بين مَنْ عُبِدَ مِنْ دون الله وَمَنْ عَبَدَه ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٦]، ﴿ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

....

النوع الثاني: المحبة في الله ولأجل الله، وذلك بأن تحب ما يحبه الله من الأعمال والأشخاص، وتحب أهل الإيمان والتقوى، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥]، فأنت تحبهم؛ لأن الله يحبهم، وفي مقدمة هؤلاء: الملائكة، والأنبياء والرسل، والأولياء والصالحون، وجميع المؤمنين.

وهذه تسمى المحبة في الله، وهي أوثق عرى الإيمان، كما جاء في الحديث: «**أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله**»[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان**» ذكر منها: «**أن يحب المرء لا يحبه إلا لله**»[2].

فتحب أولياء الله لأن الله يحبهم، وتبغض أعداء الله لأن الله يبغضهم، فيكون الحب والبغض من أجل الله، وليس طمعاً في الدنيا، فلا يجد العبد حلاوة الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله، ويوالي ويعادي لله.

---

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١١/ ٢١٥ رقم ١١٥٣٧).
(٢) أخرجه البخاري (رقم ١٦) ومسلم (رقم ٤٣).

....

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً».

وهذه المحبة تبقى في الدنيا والآخرة، وأما محبة الدنيا فتنقطع، وتكون عداوة في الآخرة ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

وتبغض الشخص من أجل الله، وليس من أجل أنه أساء إليك؛ بل تبغضه؛ لأنه عدو لله، وهذه ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام: الحب والبغض في الله، ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله **«رجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه»**[(١)] فالحب في الله والبغض في الله أمره عظيم؛ لأنه فرقان بين الحق والباطل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، فالمؤمن يكون عنده فرقان، يفرق بين هذا وهذا.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٦٠) ومسلم (رقم ١٠٣١).

....

وقد ذكر العلماء أن الناس في المحبة على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: منهم من يحب محبة خالصة ليس معها بغضاء، وهم الملائكة والرسل عليهم الصلاة والسلام، وخُلَّص المؤمنين كالصحابة ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠] وكذلك السلف الصالح وأهل السنة والجماعة؛ لصفاء ما هم عليه من العقيدة وما هم عليه من الحق؛ لطاعتهم لله ورسوله.

القسم الثاني: من يبغض بغضاً خالصاً ليس معه محبة، وهم الكفار، أعداء الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] أي: أحباء تحبونهم وتوالونهم وتناصرونهم، وتدافعون عنهم، بل الواجب التبرؤ منهم؛ لأنهم أعداء الله ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [المجادلة: ٢٢] والمقصود بالروح هنا: قوة الإيمان.

[١٦٥] وَنقُولُ: اللهُ أَعْلَمُ، فيما اشْتُبِهَ عَلَيْنَا عِلْمُه.

القسم الثالث: من يجتمع فيه محبة وبغض، وهو المؤمن العاصي، يحب من وجه، ويبغض من وجه، تحبه لما فيه من الخير والطاعة، وتبغضه لما فيه من المعاصي والمخالفة، هكذا ينبغي على المسلم أن يميز.

والمحبة بابها باب عظيم ينبغي التنبه له ومعرفته؛ لأن عليه مداراً عظيماً في العقيدة وأمور الدِّين، فالإنسان لا يمشي إمعة، لا يدري من يحب ومن يبغض، بل يجعل المحبة والبغضاء ميزاناً يفرق بين أولياء الله وأولياء الشيطان، ولا يجعله ميزاناً دنيوياً وهوى، فمن وافقه على دنياه وهواه وأعطاه شيئاً من الدنيا أحبه، ولو كان من أكفر الناس وأفسقهم، وإن لم يعطه شيئاً أبغضه، ولو كان من أصلح الصالحين، فهذا لا يجوز.

[١٦٥] هذه مسألة عظيمة، وهي مسألة العلم فالإنسان لا يقول ما لا يعلم، إن علم شيئاً قال به، وإن جهل شيئاً فلا يقول به، ولا يقول في أمور الدِّين والعبادات ولا يدخل فيها بغير علم، بل يتوقف، ويقول: الله أعلم.

والإمام مالك إمام دار الهجرة، جاءه رجل فسأله عن أربعين مسألة، فأجاب عن أربع منها، وقال في الباقي: لا أدري، فقال الرجل: أنا جئتك من كذا وكذا على راحلتي وتقول: لا أدري؟ قال

....

له الإمام: اركب راحلتك، وارجع إلى البلد الذي جئت منه، وقل: سألت مالكاً فقال: لا أدري!!

والنبي ﷺ إذا سئل عن شيء لم ينزل عليه فيه وحي فإنه ينتظر حتى ينزل عليه وحي، كذلك الصحابة إذا سألهم رسول الله ﷺ عن شيء لايعلمونه قالوا: «الله ورسوله أعلم»، لا يتخرصون. فهذا الباب عظيم وخطير، والله عز وجل جعل القول عليه بغير علم مرتبة فوق الشرك به سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

يا أخي، يسعك أن تقول: لا أدري، ومن قال: لا أدري، فقد أجاب، ولا تتخرص وتخوض في أحكام الشرع بغير بصيرة، وقول: لا أدري، فيما لا تعلم، ليس نقصاً فيك، بل العكس، هو كمال؛ لأنه ورع وتقوى، والناس يحمدونك على هذا.

كثير من المنتسبين إلى العلم ـ وبخاصة في هذه الأزمنة المتأخرة التي قل فيها الفقهاء وكثر القراء ـ يفتون ويحكمون ويتخبطون في الأحكام الشرعية في وسائل الإعلام وغيرها بغير

[١٦٦] وَنَرى الْمسْحَ عَلى الخُفَّيْنِ، فِي السَّفَرِ والحَضَرِ، كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ.

بصيرة، ومن فضل الله أنهم انكشفوا أمام الناس بجهلهم، وفضحهم الله عز وجل، ولو أنهم ستروا أنفسهم وتوقفوا عما ليس لهم به علم وتورَّعوا؛ لكان ذلك أكمل وأجل لهم عند الله وعند الناس، فلنعتبر بهذا.

[١٦٦] لماذا جاء بهذه المسألة - وهي مسألة فقهية - في العقيدة؟

لأن هذه المسألة أنكرها المبتدعة، وأثبتها أهل السنة، والمسح على الخفين تواترت به الأحاديث عن النبي ﷺ.

وممن اشتهر عنهم إنكار المسح على الخفين: الرافضة، ويخالفون أهل السنة والجماعة في ذلك، ويخالفون الأحاديث الثابتة، فالمسح ثابت، يوم وليلة للمقيم، وثلاثة أيام بلياليهن للمسافر، وهذه رخصة وتسهيل من الله على عباده.

فالرافضة ينكرون المسح على الخفين، ويقولون بالمسح على الرجلين، وهذا من أكبر المغالطة، فلا أحد يقول بالمسح على الرجلين، وهكذا من ترك الحق ابتلاه الله بالباطل.

استدل الرافضة على المسح على الرجلين: بقوله تعالى: ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ ﴾ [المائدة: ٦] بقراءة الجر، حيث عطف الأرجل على الرؤوس في هذه القراءة، والرؤوس ممسوحة.

....

وعندهم الكعبان معقد الشراك، مجمع القدم مع العقب ويسمى عرش الرِّجْل.

وعند أهل السنة والجماعة أن المراد بالكعبين: العظمان الناتئان في أسفل الساق، مجمع الساق مع الرجل، فالمسح للرجلين باطل؛ لأن المشهور من قراءة الآية: الفتح، عطف على المغسولات، على ﴿وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] وأدخل الممسوح بين المغسولات من أجل الترتيب، ولو أخر لفهم أن مسح الرأس يكون بعد غسل الرجلين.

أما قراءة (وأرجلكم) بالجر فهي صحيحة، ولكن عنها أربعة أجوبة الجواب الأول أن وجه الجر هنا على المجاورة، وهذه لغة عند العرب، مثل أن تقول: هذا جحر ضب خربٍ، خربٍ ليست صفة لضب، إنما هي صفة لجحر، وجحر مرفوع.

ولكن من أجل المجاورة، ومن أجل سهولة النطق جُرَّت للمجاورة.

والثاني: أن المراد بالمسح: الغسل، فالغسل يسمى مسحاً، تقول: تمسحت بالماء، يعني اغتسلت به، فالمراد بمسح الرجلين غسلهما، بدليل قراءة النصب.

[١٦٧] وَالحَجُّ والجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولي الأَمْرِ مِنَ المُسْلِمينَ: بَرِّهم وفَاجِرِهم، إلى قِيامِ السَّاعةِ، لا يُبْطِلُهُما شَيْءٌ ولا يُنْقِضُهُما.

الجواب الثالث: أن المشهور من القراءتين: قراءة النصب. وهنا لا إشكال.

الجواب الرابع: أن غسل الرجلين هو صفة وضوء رسول الله ﷺ التي نقلها عنه أصحابه، لم يرد في حديث واحد ـ ولو ضعيف ـ أن رسول الله عليه الصلاة والسلام مسح رجليه، وكذلك ما ثبت ذلك عن أصحابه، بل لما رأى ﷺ رجلاً في رجله لمعة لم يصبها الماء، أمره بإعادة الوضوء، وقال عليه الصلاة والسلام: «**ويل للأعقاب من النار**»[1]؛ لأن صاحبها يغفل عنها، وقد لا يصيبها الماء، وذلك بسبب التساهل والغفلة، والأمر في هذا واضح.

[١٦٧] تقدمت مسألة الصلاة خلف الأئمة، سواء كانوا أبراراً أو فجّاراً، فنصلي خلفهم امتثالاً لأمر النبي ﷺ؛ لأنه أمرنا بطاعتهم، ونهانا عن مخالفتهم، والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ امتثلوا أمره، فكانوا يصلون خلف الأمراء، وإن كانوا يفعلون بعض الكبائر، مثل الحجاج وغيره.

وهذا الفعل من أجل جمع الكلمة، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، خلاف الخوارج والمعتزلة.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٠، ٩٦، ١٦٣) ومسلم (رقم ٢٤١).

....

وقوله: (نرى الحج والجهاد): يجب على المسلمين كل سنة أن يقيموا الحج، أما الأفراد: فإذا حج أحدهم مرة واحدة فإنه تكفيه، ومن زاد فتطوع.

والذي يقيم الحج؟ هو إمام المسلمين هو الذي يقود الحجيج، ويعلن يوم عرفة، ويقف بهم بعرفة، ويفيض إلى مزدلفة، وهكذا يتبعونه في المشاعر، وسواء الإمام أو من ينوب عنه، ولا يكون الأمر فوضى.

وأهل السنة والجماعة يحجون مع إمامهم، قال عليه الصلاة والسلام: «**الصوم يوم يصوم الناس، والأضحى يوم يضحي الناس**»[(١)].

هذه أمة الإسلام، يصومون جميعاً إذا اتفقت المطالع، ويحجون جميعاً، ويصلون العيد جميعاً، فالجماعة من سمة أهل السنة، والافتراق من سمة أهل البدع والضلال. والجهاد: المراد به: قتال الكفار والبغاة من المسلمين وقتال الخوارج، نقاتل مع إمام المسلمين؛ فنقاتل البغاة لبغيهم وليس لكفرهم ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٦٩٦) وأبو داود بلفظ قريب (رقم ٢٣٢٤) وابن ماجه (رقم ١٦٦٠) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

....

ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

وقتال الكفّار من أجل نشر التوحيد، وقمع الشرك.

وقتال الكفار على نوعين:

النوع الأول: قتال دفاع، وهذه الحالة تكون في حالة ضعف المسلمين، فإنّه إذا داهم العدو بلادهم وجب عليهم قتالهم، فيجب على جميع من يحمل السلاح قتالهم؛ من أجل دفع العدو عن أرضهم.

النوع الثاني: قتال طلب، وذلك إن كان المسلمون أقوياء، فإنّهم يغزون العدو في بلادهم، ويدعونهم إلى الله، فإن أجابوا وإلا قاتلوهم من أجل إعلاء كلمة الله ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

ذكر ابن القيم رحمه الله أن الجهاد مر بمراحل:

المرحلة الأولى: كان منهياً عنه فيها، وهذا يوم كان النبي ﷺ والمسلمون بمكة، فكانوا مأمورين بكف الأيدي وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ٧٧]، فالمنع لأن المسلمين لا يستطيعون وليس لهم دولة ولا قوة، وكان الله يأمر نبيه بالصبر والصفح والانتظار، إلى أن يأتي الفرج، ومن قاتل في هذه المرحلة فإنه يكون قد عصى الله ورسوله؛ لأنه يترتب على القتال في هذه المرحلة الإضرار

....

بالمسلمين وبالدعوة، وتسلط الكفار على المسلمين.

المرحلة الثانية: لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وقامت دولة الإسلام، أُذن له بالقتال ولم يؤمر ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠] فأُذن لهم بدون أمر، فكانت هذه تهيئة لهم، فالأمور الشاقة يشرعها الله شيئاً فشيئاً؛ من أجل التسهيل على النفوس.

المرحلة الثالثة: أُمر بقتال من قاتل، والكف عمن لم يقاتل ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة: ١٩٠] وهذا يسمى قتال الدفع.

المرحلة الرابعة: لما قوي المسلمون، وكانت لهم شوكة، وللإسلام دولة، أُمروا بالقتال مطلقاً ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ﴾ [التوبة: ٥]، ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ﴾ [الأنفال: ٣٩].

فأمر الله بالقتال مطلقاً، فلما صاروا متهيئين ولهم قوة وعندهم استعداد، فشرع رسول الله ﷺ في الغزو، غزوة بدر وأحد

....

والخندق وهكذا، حتى جاء الفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ثم توفي رسول الله ﷺ، ثم حصلت الردة فقاتلهم أبو بكر، فلما فرغ منهم شرع في الجهاد للكفار، فجيّش الجيوش لقتال فارس والروم، وتوفي، ثم جاء عمر رضي الله عنه فواصل الفتوح حتى أسقط دولة كسرى وقيصر، ونشر الدين وصارت سيطرتهم على جميع الأرض مشارقها ومغاربها، هذا هو القتال في الإسلام.

ومن ينظم القتال ويقوده؟ هو الإمام، فنحن نتبع الإمام، فإن أُمرنا بالغزو نغزُو، ولا نغزو بغير إذن الإمام؛ فهذا لا يجوز؛ لأنه من صلاحيات الإمام ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [التوبة: ٣٨].

فالقتال من صلاحيات الإمام، فإذا استنفر الإمام الناس للقتال وجب على كل من أطاق حمل السلاح، ولا يشترط في الإمام الذي يقيم الحج والجهاد أن يكون غير عاصٍ، فقد يكون عنده بعض المعاصي والمخالفات، لكن ما دام أنه لم يخرج من الإسلام فيجب الجهاد والحج معه، وصلاحه وقوته للمسلمين وفساده على نفسه، أما الجهاد والحج ففي صالح المسلمين، كذلك الصلاة، فإن أصاب كنا معه، وإن أخطأ فنتجنب إساءته، لكن لا نخرج ونشق عصا الطاعة، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وعليه تقوم مصالح المسلمين.

[١٦٨] وَنؤمِنُ بالكِرَامِ الكَاتِبينَ، فَإِنَّ الله قَدْ جَعَلَهُم عَلَيْنَا حَافِظِين.

أما أهل البدع والضلال فيرون الخروج على ولاة الأمور، وهذا مذهب الخوارج، ونحن نبرأ إلى الله من هذا المذهب.

[١٦٨] الإيمان بالملائكة عليهم السلام هو أحد أركان الإيمان.

وهذه الأُصول موجودة في القرآن ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ . . . ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] فنؤمن بالملائكة وأنهم خَلْقٌ من خَلْقِ الله، وأنهم من عالم الغيب، لا نراهم، خلقهم الله من نور(١)، ووكل إليهم أموراً، يقومون بتنفيذها والقيام بها، كل له عمل موكل به، ومع ذلك فهم يعبدون الله عز وجل لا يفترون ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧] وهم أقسام، ومن أقسامهم:

الحفظة: وهم الذين وكل الله إليهم حفظ بني آدم، وحفظ أعمالهم، فكل عبد من بني آدم معه أربعة يحفظونه بالليل والنهار، اثنان حفظة، واحد عن اليمين وواحد عن اليسار، الذي عن اليمين

---

(١) فعن عائشة رضي اللهعنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»** أخرجه مسلم (رقم ٢٩٩٦)

[١٦٩] وَنُؤْمِنُ بمَلَكِ الموْتِ، الموكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ العَالَمينَ.

يكتب الحسنات، والذي عن اليسار يكتب السيئات ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٨]، وملكان آخران؛ واحد أمامه وواحد خلفه، يحفظونه من الاعتداء عليه، ما دام الله قد كتب له البقاء ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١] فالملائكة يدفعون عنه الأخطار، فإذا تم الأجل تخلوا عنه، فأصابه ما كتب الله له، فنحن نؤمن بهذا، وإذا آمنا بذلك فإننا نستحيي من الملائكة الكرام، فلا نعمل أعمالاً سيئة، ولا نتكلم بألفاظ باطلة؛ لأنها تسجل علينا.

[١٦٩] قال سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ [الأنعام: ٦١] يعني من الملائكة، فالرسل قد يكونون من الملائكة، وقد يكونون من البشر ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ ﴾ [الحج: ٧٥]، ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنعام: ٦١]، ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وقال في آية أخرى: ﴿ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [السجدة: ١١].

ففي بعض الآيات أسند الموت إلى الملائكة، وفي بعض الآيات أسند الموت إلى مَلَك واحد، فدل هذا على أن الملائكة لهم رئيس هو ملك الموت.

[١٧٠] وَبِعَذابِ القبْرِ لمنْ كَانَ لَهُ أَهْلاً، وسُؤالِ مُنْكَرٍ وَنكِيرٍ في قَبْرِه عَنْ ربِّهِ وَدِينِهِ وَنَبيِّهِ، عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الأَخْبَارُ عنْ رَسُولِ الله صلى الله

ومسألة الموت لا أحد ينازع فيها، أما ملك الموت وأعوانه فينكرهم بعض بني آدم، ولكن الإيمان بالملائكة أصل من أصول الإسلام والإيمان الثابتة بالكتاب والسنة، فمن أنكر وجود الملائكة عموماً أو ملكاً من الملائكة فهو كافر؛ لأنه جحد ركناً من أركان الإيمان.

[١٧٠] ذكر شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية أن الإيمان باليوم الآخر يدخل فيه كل ما بعد الموت من عذاب القبر ونعيمه ومن البعث ومن العرض والحساب والميزان وتطاير الصحف والجنة والنار، ومن أنكر شيئاً منها فإنه لا يكون مؤمناً باليوم الآخر.

واليوم الآخر وما فيه من أمور الغيب التي لا ندخل فيها بعقولنا وأفكارنا، إنما نعتمد على ما جاء في الكتاب والسنة، ولا نتدخل في هذه الأمور، ولا نقول فيها إلا بالدليل.

والقبر برزخ بين الدنيا والآخرة والبرزخ معناه: الفاصل بين شيئين ﴿ وَمِن وَرَآيِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

القبر محطة انتظار، وينتقل الناس بعده إلى البعث والحساب، وذكر ابن القيم رحمه الله أن الدور ثلاث:

الأولى: دار الدنيا، وهي محل العمل والكسب من خير أو شرف.

عليه وعلى آله وسلَّم، وَعنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم.

الثانية: دار البرزخ، وهي دار مؤقتة، ولهذا يخطئ من يقول: مثواه الأخير.

الثالثة: دار القرار، وهي الجنة أو النار: ﴿وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۝٣٩﴾ [غافر: ٣٩].

فإذا وضع الميت في قبره ودفن وانصرف الناس عنه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، كما في الحديث، فإنه تُعاد روحه في جسده، وهذه حياة برزخية لا يعلمها إلا الله، والله على كل شيء قدير، وبعد أن تُعاد روحه في جسده ويُحيى حياة أخرى فيأتيه ملكان فيسألانه ثلاثة أسئلة:

من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟(١)

فإن أجاب بجواب صحيح فاز وربح، وصارت حفرته روضة من رياض الجنة، ثم يوم القيامة يصير من أهل الجنة. وإن أخفق في الجواب، ولم يجب، فإن قبره يصير حفرة من حفر النار، ويُضَيَّقُ عليه قبره حتى تختلف عليه أضلاعه، والأول يُوَسَّعُ له في قبره مد بصره، ويفتح له باب من الجنة يأتيه من روحها وريحانها، وهذا يُضَيَّقُ عليه في قبره حتى تختلف عليه أضلاعه، ثم يفتح له باب من

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٢٨٧، ٢٩٥ وأبو داود (رقم ٤٧٥٣) والحاكم ١/ ٣٧ ـ ٤٠. وصححه.

[١٧١] وَالقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ.

النار فيأتيه من حرها وسمومها، والعياذ بالله.

فالإجابة الصحيحة والتي يُثَبِّتُ اللهُ قائلَها: أن يقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونَبِيِّ محمد ﷺ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وهذا بسبب الإيمان بالله ورسوله، وليس بسبب التعلم أو الثقافة، فمن ليس عنده إيمان فإنه يتلكأ في الإجابة، وهو المنافق الذي يُظْهِر الإيمان في الدنيا ويُبْطن الكفر، فإنّه لا يستطيع الإجابة ويقول: هاه، هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيضرب بمرزبة من حديد يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

[١٧١] قد يقول قائل: الميت يصير تراباً، فكيف يعذب وهو تراب؟ نقول: الله قادر على أن يعذبه وهو تراب، وقادر على أن يحمي عليه التراب.

وقد يقول قائل: ما كل الناس يدفنون، بعضهم يُلقى في البحر، وبعضهم تأكله السباع، فكيف يأتيه العذاب؟ نقول: نعم يأتيه العذاب، في أي مكان كان، وكذلك يأتيه الملكان، والإيمان بهذا هو من الإيمان بالغيب، ومن الإيمان بخبر الله ورسوله، أما

. . . .

الذي لا يؤمن بذلك ويعتمد على عقله وفكره، فهذا هو الضلال المبين.

وعذاب القبر ونعيمه دلت عليه أَدلة من الكتاب والسنة، بل قال العلماء: إن الأحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ، ومن كذب بالأمر المتواتر يكون كافراً.

فالمعتزلة لا يؤمنون بما يحدث في القبر؛ لأنهم عقلانيون، وهم الذين يبنون الأمور على عقولهم، ويسمون أدلة الشرع ظنية، فأما أدلة العقل عندهم فهي يقينية، فهكذا يقولون، وهؤلاء هم العقلانيون، وهم المعتزلة ومن سار على نهجهم من العقلانيين في هذه العصور.

ومن أدلة عذاب القبر: قول الله عز وجل في قوم فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: ٤٦]فقوله: النار يعرضون عليها غدواً وعشياً، هذا في القبر.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٧﴾ [الطور: ٤٧] فقوله: ﴿عذاباً دون ذلك﴾ قالوا: إنه عذاب القبر.

وقيل هو: العذاب في الدنيا: ما يصيبهم من القتل والسبي وضرب الجزية وغير ذلك، والآية تشمل المعنيين، وقوله

. . . .

تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢١ ﴾ [السجدة: ٢١] العذاب الأدنى هو عذاب القبر، والأكبر هو عذاب يوم القيامة.

أما السنة فتواترت الأحاديث بإثبات عذاب القبر، منها: في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام مر على قبرين فقال: «**إنهما ليعذبان، ولا يعذبان في كبير، أما أنه كبير ـ أو: بلى إنه لكبير ـ أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فإنّه لا يستبرئ من بوله**»[1].

وكذلك الحديث الصحيح الذي أمر فيه النبي ﷺ بالاستعاذة من أربع «**أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال**»[2].

وغير ذلك من الأدلة، وقد يشاهد بعض الناس ما يحصل من عذاب القبر من أجل العظة والعبرة.

ذكر الحافظ ابن رجب في كتابه «أهوال القبور وأحوال أهلها

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢١٨)، ومسلم (رقم ٢٩٢).

(٢) أخرجه الترمذي (رقم ٣٦١٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

[١٧٢] وَنُؤْمِنُ بِالبَعْثِ وَجزَاءِ الأَعْمَالِ يَوْمَ القِيامَةِ، والعَرْضِ والحِسَابِ، وقِراءَةِ الكِتَابِ، والثَّوَابِ والعِقَابِ، والصِّرَاطِ والمِيزَانِ.

إلى يوم النشور» ذكر عجائب، وذكر ابن القيم في كتابه «الروح» عجائب.

وقوله: (على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ)؛ لأن ما في القبر من النعيم والعذاب من أمور الغيب، فلا نثبت إلا ما جاء به الدليل، ولا ننكر ما جاء به، هذا مذهب أهل السنة والجماعة.

[١٧٢] بعد البرزخ يبعث الناس من قبورهم، فهذه القبور تضم الأجساد وتحفظها، فإذا جاء البعث فإن الله ينشئ هذه الأجسام كما خلقها أول مرة، لا ينقص منها شيء ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

فتعاد كما كانت، بحيث لو مر شخص على رجل يعرفه لقال: هذا فلان، ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور النفخة الثانية، فتطير الأرواح إلى أجسادها.

والمحشر: مجمع الأمم، يجمع الله الأولين والآخرين بعد البعث، فالله على كل شيء قدير، والإيمان بالبعث أحد أركان الإيمان الستة، كما في الحديث.

. . . .

وأنكرَ البعثَ المشركون والملاحدة بناء على عقولهم، فقالوا: ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝٤٧ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۝٤٨ ﴾ [الواقعة: ٤٧، ٤٨] وذكر الله إنكارهم هذا في عدة مواضع، مثل: ﴿ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ ﴾ [يس: ٧٨].

والله عز وجل ذكر أدلة عقلية على البعث ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: ٢٧] وهذا من باب ضرب المثل، فالذي خلقهم من ماء مهين، ألا يقدر أن يخلقهم من تراب ويعيدهم كما كانوا؟ ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠ ﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠].

ومن الأدلة: إحياء أرض يابسة قاحلة بيضاء ما فيها شيء، ثم ينزل الله عليها المطر، ففي أيام قليلة تهتز بالنبات.

أليس الذي يحيي الأرض بعد موتها بقادر على أن يعيد خلق الإنسان؟ فهذا شيء معقول وشيء محسوس ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا ﴾ [يس: ٣٣،] بعد أن كانت ميتة فأحياها بالنبات ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [الحج: ٥٦].

ومن الأدلة على البعث أيضاً: أن الله عز وجل لو لم يبعث

....

الناس ويجازيهم لكان خلقه عبثاً، والله سبحانه وتعالى منزه عن العبث ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

فالإنسان الذي يفني نفسه بالعبادة والطاعة في الدنيا فيموت ولا يبعث!؟ كذلك الكافر يعيث في الأرض فساداً ويفعل الفواحش ويموت ولا يبعث!؟ هذا لا يكون من حكمة الله ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الجاثية: ٢١]، وقال سبحانه: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦]، ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [ص: ٢٧، ٢٨].

فالمؤمن قد لا ينعم في الدنيا، ويكون في ضيق وشدة، فلا ينال جزاء عمله!؟ والكافر ينعم ويبطش ويفسد في الأرض ولا ينال جزاءه!؟ هذا لا يليق بحكمة الله عز وجل.

والبعث معناه القيام من القبور ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [المطففين: ٦] (وجزاء الأعمال) كما سبق: أن المحسنين والمسيئين لا ينالون جزاءهم في الدنيا، إنما ذلك في دار الآخرة.

. . . .

(والعرض) يعني: على الله ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٨]، ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٤٨] يعرضون على الله عز وجل حفاة عراة، غرلاً، أي: غير مختونين.

(والحساب) على الأعمال: تقرير الحسنات وتقرير السيئات، هذا بالنسبة للمؤمنين، أما الكافر فإنه لا يحاسب حساب موازنة بين حسناته وسيئاته، وإنما يقرر بذنوبه وكفره؛ لأنه ليس له حسنات.

والمؤمنون منهم من يدخل الجنة بغير حساب، ومنهم من يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً، وهو العرض، ومنهم من يُناقَشُ الحساب، وفي الحديث: «**من نوقش الحساب عُذِّب**»[١]. وهذه درجات المؤمنين.

(والكتب): صحائف الأعمال التي عملوها في الدنيا، كل يعطى يوم القيامة كتابه وصحيفة أعماله التي عملها في الدنيا، مكتوب فيها كل شيء ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٥٣٦) ومسلم (رقم ٢٨٧٦).

. . . .

أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال سبحانه: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]، وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢)﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٢٢] فهذا الصنف من الناس يفرح ويسره أن يطلع الناس على كتابه.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧)﴾ [الحاقة: ٢٥، ٢٧] يعني: يا ليتني لم أبعث، وكان الموت هو القاضي عليّ ولم أبعث ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩)﴾ [الحاقة: ٢٨ ـ ٢٩].

وهذا تطاير الصحف، إما باليمين أو بالشمال.

(والثواب والعقاب) الثواب على الحسنات، والعقاب على السيئات.

(والصراط) وهو: الجسر المنصوب على متن جهنم، أَحَدُّ من السيف، وأَدَقُّ من الشعر، وأَحَرُّ من الجمر، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يمر عدواً ومنهم من يمر مشياً، ومنهم من يمر

. . . .

حبواً، ومنهم من تلقطه كلاليب على حافتي الجسر وتقذفه في النار، وهذه أمور غيب، فلا يُدْخِلُ الإنسانُ عَقْلَه فيها، وكل الناس يمرون على الصراط ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢ ﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

وتوزن الحسنات، فإن رجحت حسناته فاز، وإن رجحت سيئاته على حسناته خاب وخسر ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩ ﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

وتكرر ذكر الوزن والميزان في آيات كثيرة، وهذا من عدل الله عز وجل، وأنه لا يظلم أحداً. والميزان حقيقي، له كفتان: توضع الحسنات في كفّة، وتوضع السيئات في كفة، فأيهم رجحت حسناته فاز، وأيهم رجحت سيئاته فخسر ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

[١٧٣] وَالجَنَّةُ والنَّارُ مَخْلوقَتَانِ، لا تَفْنَيانِ أَبداً وَلاَ تَبِيدانِ.

---

[١٧٣] ومما يكون في يوم القيامة: الجنة دار المتقين، والنار دار المجرمين، قال الله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝٢٤﴾ [البقرة: ٢٤] فهما داران باقيتان، وهما المستقر والنهاية. (وإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلاً). والجنة والنار مخلوقتان الآن، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، قال تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾، وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝٢٤﴾ وأعدت: فعل ماضٍ، والنبي ﷺ كان عنده أصحابه، فسمعوا وجبة، يعني: شيء سقط، فقال: «**أتدرون ما هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا حجر رمي به في جهنم منذ سبعين خريفاً، والآن وصل إلى قعرها**»[1] فدل على أن النار قد خلقت. وقال عليه الصلاة والسلام في الحر والبرد: «**إنهما نفسان لجهنم: نفس في الشتاء وهو أشد ما تجدون من البرد، ونفس في الصيف وهو أشد ما تجدون من شدة الحر**»[2]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا اشتد الحر فأبردوا**

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٨٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٥٣٧) ومسلم رقم (٦١٧).

[١٧٤] وأنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ الجَنَّةَ والنَّارَ قَبْلَ الخَلْقِ، وَخَلَقَ لهُما أَهْلاً .

[١٧٥] فَمَنْ شَاءَ مِنْهُم إلى الجَنَّةِ فَضْلاً مِنْهُ. وَمَنْ شَاءَ مِنْهُم إلى النَّارِ عَدْلاً مِنْهُ.

بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم»[1]، وكذلك الميت في قبره يفتح له باب إلى الجنة، والكافر باب إلى النار، فهذا يدل على وجود الجنة والنار، وأنكر هذا أهل الضلال، ويقولون: تخلقان يوم القيامة.

[١٧٤] الله قدر للجنة أهلاً، وكذلك للنار أهلاً، فعلى حسب عملهم يجازون.

[١٧٥] الجنة لا تُنال بالعمل، إنما هو سبب، وإنما الجنة تنال بفضل الله، فمهما عمل ابن آدم من الأعمال الصالحة وإن كثرت فإنها لا تقابل الجنة، إنما تنال بفضل الله عز وجل، والعمل الصالح سبب ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٣٢] أي: بسبب ما كنتم تعملون.

ودخول النار بسبب الكفر، عدلاً من الله، أدخله النار،

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٣٨) ومسلم (رقم ٦١٦).

[١٧٦] وَكُلٌّ يَعْمَلُ لما قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إلى مَا خُلِقَ لَهُ.

[١٧٧] والخَيْرُ والشَرُّ مُقدَّرَانِ عَلى العِبَادِ.

لا بظلم، إنما أدخله بسبب عمله.

[١٧٦] إن كان من أهل السعادة فإنه يعمل بعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيعمل بعمل أهل الشقاوة، قال عليه الصلاة والسلام: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»[١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ [الليل: ٤ ـ ١٠].

فالأعمال هي التي تحكمك، إن كانت صالحة فأنت ميسر لليسرى، وإن كانت سيئة فأنت ميسر للعسرى.

[١٧٧] سبق بحث هذا في القدر، والإيمان بالقدر ـ كما سبق ـ هو أحد أركان الإيمان الستة، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[٢].

والمؤلف أخذ هذا المعنى من نص الحديث.

فالخير والشر بتقدير الله عز وجل؛ لأنه لا يقع شيء في هذا

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٣٦٢) ومسلم (رقم ٢٦٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٥٠) ومسلم (رقم ١٠).

[١٧٨] والاسْتِطاعَةُ التي يَجبُ بِهَا الفِعْلُ، مِنْ نَحْوِ التَّوفِيقِ الَّذِي لا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ المخْلُوقُ بهِ ـ فَهِيَ مَعَ الفِعْلِ، وأَمَّا الاسْتِطَاعَةُ مِنْ

الكون إلا بقضاء الله وقدره، لابد من الإيمان بذلك.

فالله عز وجل خلق الخير والشر لحكمة ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥] يتميز بذلك أهل الإيمان والتوحيد والانقياد لله، وأهل الكفر والشرك والإلحاد، ولو لم يكن هناك خير لما حصل التمييز.

فالخير يحبه الله ويخلقه ويقدره، والشر يبغضه الله ويسخطه، ولكن يخلقه ويقدره لحكمة، للابتلاء والامتحان، لو لم يوجد الشر ما ظهر الكفر وعداوة الأنبياء والرسل، ولو لم يوجد الخير لما ظهر الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والموالاة والمعاداة، ولا تميز الناس.

قد يعترض معترض ويقول: الله يبغض الشرك والكفر، فكيف يقدر ذلك؟ ونقول: قدر ذلك لحكمة؛ ليتميز الناس ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩] فنحن لا نعلم المطيع من العاصي إلا بالأعمال، فهي تميز الشقي من السعيد.

فالأمور لا تصلح إلا إذا وجدت المتضادات.

[١٧٨] الاستطاعة هي القدرة من الإنسان، وهي على قسمين:

جِهَةِ الصِّحَةِ والوُسْعِ، والتَّمَكُّنِ وَسَلاَمةِ الآلاتِ ـ فَهِيَ قَبْلَ الفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الخِطَابُ، وهُوَ كَمَا قالَ تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا

الأول: استطاعة يتعلق بها التكليف والأمر والنهي.

الثاني: استطاعة يستطيع بها الإنسان الفعل والتنفيذ.

القسم الأول: الاستطاعة التي يتعلق بها التكليف، معناها: الوسع، أن يكون عند الإنسان وسع، أن يفعل أو لا يفعل، عنده إمكانية وتمكن، فالتكليف يتعلق بهذه الاستطاعة، فالإنسان الذي ليس عنده تمكن واستطاعة لا يكلف، كالمجنون والصغير، فلا يكلف فلا يُؤمر ولا يُنهى، ولكن الصغير إن بلغ سبع سنوات فإن عنده استطاعة فيُؤمر بالصلاة من باب الاستحباب والتربية، والتدريب على فعل العبادة، فلا تجب عليه إلا إذا بلغ فيكلف، وهذا النوع يكون قبل الفعل.

القسم الثاني: الاستطاعة التي يكون فيها التنفيذ، وإيجاد الشيء، فهذه تكون مع الفعل فالحج مثلاً فيه الاستطاعتان، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ . . . ﴾ [آل عمران: ٩٧] فهذه استطاعة تَمَكُّنٍ، فيجب الحج على من يستطيع، والسبيل هو الزاد والراحلة، فيجب عليه الحج إذا وجدهما؛ لأن عنده تمكناً، هذه استطاعة قبل الفعل، أما الاستطاعة مع الفعل ـ وهو مباشرة الحج ـ فقد لا يكون عنده قدرة مثل المريض المزمن أو الكبير الهرم، فهذا لا يستطيع استطاعة تنفيذ وفعل، ويستطيع استطاعة

وُسْعَهَا﴾.

[١٧٩] وَأَفْعَالُ العِبَادِ خَلْقُ اللهِ، وكَسْبٌ مِنَ العِبَادِ.

تكليف، فهذا يجب عليه الحج في ذمته.

ومثل دخول وقت الصلاة يوجب الصلاة على المكلف، ويكون التنفيذ بحسب استطاعته، فالمريض يصلي قائماً، فإن لم يستطع فقاعداً، فإن لم يستطع فعلى جنب، فالصلاة تجب عليه على كل حال؛ لأنه في استطاعته ذلك، وهذه الاستطاعة قبل الفعل، أما التي مع الفعل قد تكون معدومة نهائياً، وقد تكون موجودة، ولكن ليست تامة، فيجب عليه على قدر استطاعته.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وفيه فرق بين الاستطاعتين:

فالأولى يتعلق الخطاب بها، كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، والثانية يتعلق بها التنفيذ.

[١٧٩] هذه المسألة حصل فيها نزاع ومزلة أقدام ومضلة أفهام، هل الأفعال مخلوقة لله أو هي من خلق العباد؟

القول الأول: قول الجبرية والجهمية: إن العبد مجبور، ليس له دخل في الأفعال، فهي محض خلق الله عز وجل، فصلاته التي يؤدِّيها ليس باختياره، إنما هو مجبور وهؤلاء غلوا في إثبات قدرة الله.

وقولهم هذا ضلال مبين، ومعناه أن الله يظلمهم ويعذبهم على شيء

....

ليس لهم فيه اختيار، وليس لهم فيه استطاعة، وإنما الله يعذب العبد على فعل غيره، ويثيبه على شيء لم يفعله، وهذا المذهب أخبث المذاهب.

القول الثاني: وهو مضاد للقول الأول تماماً، وهو قول المعتزلة، يقولون: الأفعال من إنتاج العبد وإرادته المطلقة ومشيئته، وليس لله تدخل فيها، وإنما العبد هو الذي يخلق فعل نفسه، فهؤلاء غَلَوْا في إثبات قدرة العبد.

ويلزم من قولهم أن الله عاجز، وأن الله يشاركه غيره في الخلق والإيجاد، وهذا قول المجوس، ولذلك المعتزلة سُمُّوا: مجوس هذه الأمة(١)، فالمجوس يقولون: إن للكون خَالِقَيْنِ، خالق للخير وخالق للشر، والمعتزلة زادوا عليهم وقالوا: كل يخلق فعل نفسه، فأثبتوا خَالِقِين.

والمذهب المتوسط مذهب أهل السنة والجماعة، على ضوء الكتاب والسنة، قالوا: أفعال العباد هي فعلهم بإرادتهم ومشيئتهم، وهي خلق الله عز وجل ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦ ﴾ [الصافات: ٩٦]

---

(١) فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم**».
أخرجه أبو داود (رقم ٤٦٩١).

....

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢] ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ٣] فالله منفرد بالخلق والتقدير، والعبد له مشيئته وإرادته، وله فعل، فهو باختياره يذهب إلى المسجد، وباختياره يذهب إلى المسارح؛ لأن عنده قدرة، والإنسان الذي لم يعطه الله قدرة ولا استطاعة فهذا قد عذره الله، مثل المجنون والمكره، فليس عنده إرادة، وليس عنده قصد، أما من عنده إرادة وقصد، فهذا الذي يختار الفعل لنفسه، والعقاب والثواب يقع على فعله، وليس على فعل الله عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [البقرة: ٦٢] [النساء: ٥٩]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [آل عمران: ١١٦] أسند الإيمان إليهم، وكذلك أسند الكفر ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [النساء: ٥٩] ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [النور: ٥٢] أسند الأفعال إلى العباد.

والدليل على أن العبد له إرادة وقصد: قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإنسان: ٣٠]، فأثبت الله سبحانه له مشيئة وللعبد مشيئة، وجعل مشيئة العبد تحت مشيئته سبحانه ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التكوير: ٢٨] شاء،

[١٨٠] ولمْ يُكَلِّفْهُم اللهُ تعالى إلاَّ مَا يُطِيقُون.

[١٨١] وَلا يُطيقُونَ إلاَّ مَا كَلَّفَهُمْ.

أي: باختياره، وفي هذا رد على الجبرية. ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] في هذا رد على القدرية.

[١٨٠] قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فالله لا يكلف العباد ما لا يطيقون، إلا من باب العقوبة، كما حمَّل بني إسرائيل بسبب تعنتهم ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١]، فالله عاقبهم فكلفهم بما لا يطيقون، ولذلك جاء في الدعاء ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] فالله ـ فضلاً منه وإحساناً ـ لا يكلف العباد إلا ما يطيقون، رحمة منه، فهو رحيم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣].

[١٨١] هذا فيه نظر؛ بل يطيقون أكثر مما كلفهم، ولكن الله يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، فالله وضع عنهم المشقة، وشرع لهم الدين اليسر، ونهاهم عن الزيادة على الاعتدال، فلا يجوز للإنسان أن يصلي كل الليل، وكذلك لا يجوز له ترك الزواج، قال عليه الصلاة والسلام: «أما أنا فأصلي وأنام وأتزوج النساء وأصوم

[١٨٢] وَهُو تَفْسِيرُ: «لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بالله». نقول: لا حِيلَةَ لأَحَدٍ، وَلاَ حَرَكَةَ لأَحَدٍ ولاتَحوُّلَ لأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إلاَّ بِمَعونَةِ اللهِ، وَلاَ قُوَّةَ لأَحَدٍ على إقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ والثَّباتِ عَلَيْهَا إلاَّ بتَوفِيقِ الله.

[١٨٣] وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بمَشيئَةِ اللهِ تعالَى وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ.

وأُفطر، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[١]، فالله لا يكلف ما يشق عليهم، والله لو كلفهم لأطاقوا، ولكن لا يرضى لهم المشقة والعسر.

[١٨٢] (لا حول) أي: لا تحول من حال إلى حال (إلا بالله) عز وجل وإعانته. وكذلك: ليس لك قوة إلا من قوة الله عز وجل، ففي هذا تسليم وبراءة من الحول والقوة، فالإنسان لا يُعجب بحوله ولا بقوته، وإنما يرجع إلى الله عز وجل، فتستعين بالله، فيعينك على الطاعة، ومن التحول من المعصية إلى الطاعة، ومن الكفر إلى الإسلام، فكل شيء بحول الله وقوته، ولو وكلك إلى حولك لم تستطع، وكذلك الكد والكسب لطلب المال، هذا الكد والتعب منك، ولكن التوفيق ووضع البركة من الله عز وجل.

[١٨٣] لا يقع في ملكه شيء إلا بعلمه وتقديره ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].

فهو ما قضاه الله وقدره، وكتبه في اللوح المحفوظ، فكل ما

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٠٦٣) ومسلم (رقم ١٤٠١).

[١٨٤] غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ المشيئَاتِ كُلَّهَا.
[١٨٥] وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الحِيَلَ كُلَّهَا.
[١٨٦] يَفعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُو غَيْرُ ظَالمٍ أَبَداً، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سوءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ.

يجري في الكون فهو بقضاء الله وقدره.
[١٨٤] قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [التكوير: ٢٩] أثبت للعبد مشيئته، ولكنها داخلة تحت مشيئة الله، وأن العبد لا يستطيع المشيئة إلا بمشيئة الله.
[١٨٥] مهما عملت من الأسباب ومن الأمور، إذا لم يقدر الله المسبب فلا تنفعك الأسباب، وجميع الأعمال لا تنفع إذا لم يُقَدِّر الله عز وجل لك النفع بها، فأنت عليك فعل السبب، والتوفيق على الله، فأنت مأمور بفعل الأسباب.
[١٨٦] فالله يفعل ما يشاء من الخير والشر، والنعمة والنقمة، وهو غير ظالم لعباده؛ لأنه يضع الأشياء في مواضعها، فيضع النعمة والتوفيق لمن يتأهل لذلك، ويحرم من التوفيق ومن الطاعة من لا يستحق ذلك، وهو غير ظالم، فلا يعذب المطيع الصالح، ولا يثيب العاصي على معصيته.
فالله سبحانه الكامل في ذاته، والكامل في أسمائه وصفاته،

[١٨٧] ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾.
[١٨٨] وفي دُعاءِ الأحْياءِ وَصَدَقَاتِهم مَنْفعةٌ لِلأَمْوَاتِ.

والكامل في أفعاله وخلقه سبحانه وتعالى.
[١٨٧] وكذلك لا يُسأل سبحانه عما يفعل؛ لأن كل شيء يفعله لحكمة، وواقع موقعه، فأما العباد فيسألون؛ لأنهم يخطئون، ويضعون الأمور في غير مواضعها، ففيه فرق بين الخالق والمخلوق، فالله لا يقع في أفعاله خلل، أما العبد فعنده ظلم وحسد وكبر، وعنده أمور تقتضي أنه يخطئ في أموره وتصرفاته.
[١٨٨] هذه مسألة فقهية، ولها تعلق بالعقيدة:
قال عليه الصلاة والسلام: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»**[١].

فالعبد ينقطع عمله بموته، إلا ما تسبب في بقائه بعد موته، مثل الصدقة الجارية، كوقف مسجد أو مدرسة يدرس فيها، فما دام نفعها فأجرها يجري ما دام هذا الوقف ينتفع به.
(أو علم) بأن يكون قد دَرَّسَ الفقه أو العقيدة، وصار له تلاميذ، فيجري عليه أجر تعليمه، أو أَلَّف كتباً تنفع الناس، فيجري أجره، وهذا من العلم الذي عَلَّمه.

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ١٦٣١).

....

(أو ولد صالح يدعو له)، فهو تزوج من أجل إعفاف نفسه، وطلباً للذرية الصالحة، فجاءه ولد صالح، وهذا مما تسبب فيه، قال عليه الصلاة والسلام: «**إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم**»[١].

فإن كان صالحاً يدعو له بعد موته، فإن دعاءه يصل إليه، وهذا من عمله الذي تسبب فيه فينفعه عمل غيره.

وغير هذه المسألة محل الخلاف، قال سبحانه: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النجم: ٣٩] منطوق الآية: أن عمل الإنسان لا ينفع غيره، إلا ما تسبب فيه، فأخذ طائفة من العلماء بهذه الآية، وقال: لا ينفعه إلا عمله مطلقاً، لكن النبي ﷺ أخبر بأشياء تنفع الميت من عمل غيره، مثل الدعاء والاستغفار ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر: ١٠] ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩]، هذا يشمل الأموات أيضاً.

والنبي ﷺ أمر المسلمين إذا دفنوا أخاهم أن يقفوا على قبره،

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٣٥٢٨) والترمذي (رقم ١٣٦٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

....

وأن يستغفروا له ويسألوا له التثبيت[١]، كذلك الصدقة تنفع الميت، جاء رجل إلى النبي ﷺ وأخبره بأن أمه ماتت، ولو تكلمت لتصدقت، أفأتصدّق عنها؟ قال: «**نعم**»[٢].

كذلك الحج ينفع غيره، كما جاءت به الأدلة، كما في حديث شبرمة، قال عليه الصلاة والسلام: «**حج عن نفسك، ثم حج عن شبرمة**»[٣] فهذا عمل للغير ينفع الميت، كذلك لما جاءت امرأة تسأل النبي ﷺ عن الحج عن أمها: أنها أدركتها فريضة الحج ولم تحج، أفأحج عنها؟ قال: «**نعم، حجي عن أمك**»[٤]. فتكون هذه الأشياء: الدعاء والاستغفار والصدقة والحج والعمرة، تكون نافعة للميت من عمل غيره، فتكون مخصصة للآية ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النجم: ٣٩].

---

(١) فعن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل**».
أخرجه أبو داود (رقم ٣٢٢١) والحاكم ١/ ٣٧٠ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٢٧٦٠) ومسلم (رقم ١٠٠٤).

(٣) أخرجه أبو داود (رقم ١٨١١) وابن ماجه (رقم ٢٩٠٣) وابن خزيمة (رقم ٣٠٣٩).

(٤) أخرجه البخاري (رقم ١٨٥٢).

[١٨٩] واللهُ تعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الحَاجَاتِ.

وغَلَتْ طائفة في هذا وقالت: ينفع الميتَ كُلُّ شيء من عمل غيره، فيستأجرون المقرئين يقرءون للميت، فمثل هذا العمل لا ينفع الميت ولا الحي؛ لأن القارىء أخذ على قراءته أجرة، فليس له ثواب، ومن ناحية ثانية: أن هذا الأمر مبتدَع، ليس عليه دليل، وسبحان الله! لو جعل الأجرة التي يعطيها المقرئ صدقة عن الميت صار تابعاً للسنة وينفع الميت، أما على وجه البدعة فلا ينفع الميت ولا الحي، وهذا نتيجة ترك السنة.

[١٨٩] هذه من صفات الله عز وجل أنه يجيب من دعاه، قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وأمر الله عز وجل بدعائه فقال: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال سبحانه: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢] إلى غير ذلك من الآيات التي فيها الأمر بالدعاء وإجابة الدعاء، وهذا من كرمه وجوده وإحسانه، يأمر عباده بدعائه ليستجيب لهم، مع أنه غني عنهم، ولكن لعلمه سبحانه وتعالى بحاجتهم أمرهم بدعائه، وفي الحديث: «**من لا يسأل الله**

....

يغضب عليه»[١].

والدُّعاء أعظم أنواع العبادة؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: **«الدعاء هو العبادة»**[٢].

وكما أنه أمر بدعائه، نهى عن دعاء غيره والإشراك به في الدعاء، فقال: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨ ﴾ [الجن: ١٨]، ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٠ ﴾ [الجن: ٢٠]، ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١١٧ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

فلا يجوز دعاء غير الله، ومن دعا غير الله فهو مشرك، سواء كان المدعو مَلَكاً أو نبياً أو ولياً، فقد أشرك الشرك الأكبر ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ ﴾ [الأحقاف: ٥]، ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ ﴾ [فاطر: ١٤]

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٧٧ والترمذي (رقم ٣٣٧٠) وابن ماجه (رقم ٣٨٢٧) والحاكم ١/ ٤٩١ وصححه وأقره الذهبي.

(٢) أخرجه أبو داود (رقم ١٤٧٩) والترمذي (رقم ٣٣٦٩) وابن ماجه (رقم ٣٨٢٨) وقال الترمذي: حسن صحيح.

....

فسماه شركاً، وقال سبحانه ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣].

فالدعاء لا يكون إلا لله، فلا يدعى أحد من دونه من الأحياء أو الأموات، أيًّا كان هذا المدعو.

والدعاء على قسمين:

الأول: دعاء عبادة، وهو الثناء على الله عز وجل في أسمائه وصفاته وأفعاله، فالذي يسبحه ويكبره ويحمده ويثني عليه قد دعاه دعاء عبادة.

الثاني: دعاء مسألة، وهو طلب الحوائج من الله عز وجل، وكلاهما تضمنته سورة الفاتحة، فأولها إلى نصفها دعاء عبادة، إلى قوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ وآخر السورة دعاء مسألة.

والعلماء يقولون: دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة.

والله عز وجل وعد من دعاه أن يستجيب له، وقد يقول قائل: أنا دعوت ولم يستجب لي.

....

والجواب أن يُقال: المانع من عندك أنت، الدعاء سبب من الأسباب، والنتيجة لا تحصل إلا إذا انتفت الموانع، فقد يكون مانع من الموانع منع استجابة دعوتك، إما أن تكون دعوت بقلب غافل لاهٍ فأنّى يُستجاب لقلب غافل لاهٍ؟ كما في الحديث، أو أنك تأكل الحرام وتشرب الحرام وتلبس الحرام، قال عليه الصلاة والسلام في الذي: «**يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يارب، يارب، يارب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنّى يُستجاب له**»[1]؟

أو يدعو بإثم أو قطيعة رحم، فلا يُستجاب له، هذا من ناحية.

ومن ناحية ثانية: أن الله عز وجل أعلم بمصالحك، قد يعجل لك الإجابة وقد يؤخرها، وقد يصرف عنك من السوء مثلها، وأنت لا تدري، كما في الحديث: «**ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل دعوته، وإما أن يؤخرها له، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**»[2].

أهل الضلال يقولون: لا حاجة للدعاء؛ لأن الأمر إذا كان قدر فلا يحتاج إلى دعاء؛ لأنه إذا كان الأمر قدر لك فإنه سيأتيك، ولو لم

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ١٠١٥).
(٢) أخرجه الترمذي (رقم ٣٣٩٠)

[١٩٠] وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلاَ يَمْلِكُهُ شَيْءٌ.

تدع، وإن كان لم يقض لك ويقدر فإنك لو دعوت لم يحصل لك ولا يقدر، وهذا ضلال، والعياذ بالله، ومخالف لكلام الله عز وجل.

والجواب: أنه لا تعارض بين الدعاء والقضاء والقدر، الذي قضى وقدر هو الذي أمر بالدعاء، والدعاء سبب من الأسباب، والمسبب هو الله عز وجل، وهناك بعض الأشياء قدرت على أسباب، إذا وجدت أسبابها وجدت مسبباتها، والدعاء سبب.

[١٩٠] من صفات الله عز وجل: أنه يملك كل شيء، فكل ما في الكون فهو ملك له ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: ١]، وقال تعالى: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢].

فلا يخرج شيء عن ملكه، والناس وما يملكون فهم ملكه سبحانه وتعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦].

فلا أحد يفرض ويلزم ويملي على الله شيئاً؛ لأن الناس عباد الله فقراء إليه، كما قال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ۝١٨﴾ [الحج: ١٨].

[١٩١] وَلاَ غِنَى عَنِ اللهِ تَعَالى طَرْفَةَ عَيْنٍ

[١٩٢] وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ.

[١٩٣] واللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى، لاَ كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَى.

وإنما هو سبحانه يدبر الأمر بمفرده، ويجريه على حكمته سبحانه وتعالى.

[١٩١] الله جل وعلا هو الغني الحميد، والخلق كلهم فقراء إلى الله، وما أحد منهم يمكن أن يستغني عن الله.

قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥] فلا أحد يمكن أن يستغني عن الله، ولو كان عنده ملك الدنيا، فالملوك فقراء إلى الله، وكذلك الأغنياء، فلا أحد يستغني عن الله، لا الملائكة المقربون ولا من دونهم من الخلق.

[١٩٢] من زعم أنه في غنىً عن الله، وأنه مستغن عن الله، فقد كفر وخرج من الملة، فالواجب على العبد أن يظهر لله ضعفه، ولا يعجبه ما هو فيه من القوة والصحة والغنى؛ لأن الأمور بيد الله عز وجل، فلا يمكن الاستغناء عن الله عز وجل.

[١٩٣] من صفات الله عز وجل الفعلية: أنه يغضب ويرضى، قال سبحانه: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] فالله يرضى عن عباده، قال تعالى: ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة: ٧٢]،

....

وقال تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨]، وهو كذلك يغضب سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٦٠] فالله يغضب على من عصاه ويمقته، والمقت هو أشد البغض، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء: ٩٣].

والمخلوق يغضب ويرضى، ولا مشابهة بين غضب ورضا المخلوق وغضب ورضا الخالق، رضا الله وغضبه يليقان به سبحانه، ورضا وغضب المخلوق يليقان به كسائر الصفات ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١]، ليس له مثل في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته، وإن كانت له أسماء وصفات، وللمخلوق أسماء وصفات، فلا تشابه.

وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، يثبتون الرضا والغضب لله عز وجل وغير ذلك من الصفات، وإن كان جنس هذه الصفات موجوداً في المخلوقين، لكن مع الفارق ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾. [الشورى: ١١] كذلك المخلوق سميع بصير، وقال الله عن نفسه: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ وقال في أول الآية: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ فدل على أن هناك فرقاً بين صفات الخالق

[١٩٤] وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم.

وصفات المخلوق وهذا شيء معلوم من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ واعتقاد أهل السنة والجماعة، أما أهل التأويل والضلال فينفون الأسماء والصفات عن الله؛ لأن جنسها موجود في المخلوقين، ولو أثبتها اقتضى هذا المشابهة ـ بزعمه ـ وفي الحقيقة هذا لا يقتضي المشابهة.

ولكن هذا الفهم عقيم، ويأولون الغضب بالانتقام، والرضا بالإنعام، فالواجب التسليم لله ولرسوله وما ثبت عنهما، وأن يترك هذه الترهات والتأويلات.

ولذلك لما سئل مالك عن كيفية استواء الله على عرشه؟ أطرق مالك رأسه خوفاً وحياء من الله، ثم رفع رأسه وقال: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة).

[١٩٤] أصحاب: جمع صاحب، والصحابي هو: الذي لقي الرسول وهو مؤمن به ومات على ذلك، فإن آمن به ولم يلقه فليس بصحابي، ولو كان معاصراً للنبي ﷺ، كالنجاشي، وكذلك يشترط الإيمان به والموت على ذلك، فبمجرد الردة والموت عليها تبطل الصحبة وسائر الأعمال، وصحابة رسول الله ﷺ هم أفضل القرون والأمم بعد الأنبياء والرسل، وذلك لأنهم أدركوا المصطفى عليه الصلاة والسلام وآمنوا به وجاهدوا معه وتلقوا عنه العلم، وأحبهم

....

النبي ﷺ واختارهم الله لنبيه أصحاباً.

والله يقول: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال سبحانه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح: ٢٩]، والصحابة أفضل القرون؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»[(١)] فهم خير القرون بفضل صحبتهم للنبي عليه الصلاة والسلام، فحبهم إيمان وبغضهم نفاق، قال تعالى: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفتح: ٢٩].

فالواجب على المسلمين عموماً حب الصحابة جميعاً، بنص الآية؛ لمحبة الله عز وجل لهم، ولمحبة النبي ﷺ، ولأنهم جاهدوا في سبيل الله، ونشروا الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وآزروا

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٦٥٢) ومسلم (رقم ٢٥٣٣).

....

الرسول وآمنوا به واتبعوا النور الذي أُنزل معه، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

فالله لما ذكر المهاجرين والأنصار في سورة الحشر، قال سبحانه: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [الحشر: ٨ـ١٠] فهذا موقف المسلمين من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام، يستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم بغضاً للصحابة، وكذلك آل بيت الرسول فلهم حق القرابة وحق الإيمان، ومذهب أهل السُّنة والجماعة: موالاة أهل بيت النبي عليه الصلاة والسلام.

وأما النواصب: فيوالون الصحابة، ويبغضون بيت النبي عليه الصلاة والسلام، ولذلك سموا بالنواصب؛ لنصبهم العداوة لأهل بيت النبي عليه الصلاة والسلام.

والروافض: على العكس، والوا أهل البيت بزعمهم،

....

وأبغضوا الصحابة، ويلعنونهم ويكفرونهم ويذمونهم.

والصحابة يتفاضلون، فأفضلهم الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، رضي الله عن الجميع، الذين قال فيهم النبي عليه الصلاة والسلام: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضُّوا عليها بالنواجذ**»[1] ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة وهم: أبو عبيدة عامر بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله، وعبدالرحمن بن عوف، رضي الله عنهم.

ثم أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان، قال تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

ثم الذين آمنوا وجاهدوا قبل الفتح، فهم أفضل من الصحابة الذين آمنوا وجاهدوا بعد الفتح، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ۚ

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٤٦٠٧) والترمذي (رقم ٢٦٧٨). وابن ماجه (رقم ٤٢) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

....

﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠] والمراد بالفتح: صلح الحديبية.

ثم المهاجرون عموماً، ثم الأنصار؛ لأن الله قدّم المهاجرين على الأنصار في القرآن، قال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨﴾ [الحشر: ٨] وهؤلاء هم المهاجرون.

ثم قال سبحانه في الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩].

فقدَّم المهاجرين وأعمالهم على الأنصار وأعمالهم، مما دل على أن المهاجرين أفضل؛ لأنهم تركوا أوطانهم وأموالهم وهاجروا في سبيل الله، فدل على صدق إيمانهم، فجميع الصحابة يجب حبهم وموالاتهم، ولا نتدخل فيما حصل بينهم من حروب، فما حصل بينهم من الحروب فبتأويل منهم، فهم مجتهدون، فمن أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد، وكذلك عندهم

....

من الحسنات والفضائل العظيمة التي تُكَفِّر ما يقع من الخطأ من بعضهم.

فالواجب على المسلمين الترضِّي عنهم، وطلب العذر لهم، والدفاع عنهم، فمذهب أهل السنة والجماعة: أنهم لا يتدخلون فيما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم؛ لما لهم من الفضل والسابقة؛ ولقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»[(١)] لفضلهم، فمن تدخل فيما حصل بين الصحابة وصار في قلبه شيء، فهذا زنديق، فأما من قال: نتدخل فيما حصل بين الصحابة من باب البحث، فهذا خطر عظيم ولا يجوز، ولذلك لما سُئِلَ عمر بن عبدالعزيز عما حصل بين الصحابة قال: «أولئك قوم طهّر الله أيدينا من دمائهم، فيجب أن نطهر ألسنتنا من أعراضهم».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**هل أنتم تاركو لي أصحابي؟**»[(٢)] فلا نتدخل فيما حصل بين الصحابة؛ لأنه من مقتضى الإيمان ومن مقتضى النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولعامة المسلمين وخاصتهم.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٦٧٣) ومسلم (رقم ٢٥٤١).

(٢) أخرجه البخاري بلفظ قريب (رقم ٣٦٦١).

[١٩٥] وَلاَ نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُم.

[١٩٦] وَلاَ نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُم.

---

[١٩٥] الإفراط: الغلو، أي: لا نغلوا في حب أحد منهم، كما غلت الرافضة في حب علي رضي الله عنه على زعمهم، وإلا الظاهر أنهم لا يحبونه ولا يحبون المسلمين عموماً، فغلوا فيه حتى قال بعضهم: إن علياً هو الله، وذلك في زمن علي رضي الله عنه، فخَدَّ لهم الأخاديد وأحرقهم بالنار غيرةً لله عز وجل. فالغلو ممنوع سواء في الصحابة أو غيرهم، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧]، والنبي ﷺ يقول: «**إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**»[١] فنحن نحب أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولكن لا نغلو فيهم حتى نجعلهم شركاء لله وندعوهم من دون الله، كما تفعل الرافضة والقبوريون، فليس هذا حباً للصحابة، فحبهم باتباعهم والاقتداء بهم والترضِّي عليهم.

[١٩٦] في هذا إشارة إلى الرافضة الذين يتبرؤون من الصحابة، وخاصة أبا بكر، وعمر، وعثمان، بل يكفرون كثيراً من الصحابة، هذا من التفريط، فلا نُفَرِّط في حبهم؛ لأن التفريط هو ترك محبتهم.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢١٥، ٣٤٧) وابن ماجه (رقم ٣٠٢٩).

[١٩٧] وَنُبْغِضُ مَن يُبْغِضُهُم.

[١٩٨] وَبغَيْرِ الخَيْرِ يَذْكُرُهُم، ولا نَذْكُرُهُم إلاَّ بِخَيْرٍ.

[١٩٩] وَحُبُّهُم دِينٌ وإِيمَانٌ وإِحْسَانٌ، وبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ.

[٢٠٠] وَنُثْبِتُ الخِلاَفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أَوَّلاً

---

[١٩٧] من يبغض الصحابة فإنّه يبغض الدين؛ لأنهم هم حملة الإسلام وأتباع المصطفى عليه الصلاة والسلام، فمن أبغضهم فقد أبغض الإسلام؛ فهذا دليل على أنه ليس في قلوب هؤلاء إيمان، وفيه دليل على أنهم لا يحبون الإسلام.

[١٩٨] على ما سبق فلا يجوز الخوض فيما حصل بينهم؛ بل يجب الإمساك عن ذلك وأن لا يُذكروا إلا بخير.

[١٩٩] هذا أصل عظيم يجب على المسلمين معرفته، وهو محبة الصحابة وتقديرهم؛ لأن ذلك من الإيمان، بغضهم أو بغض أحد منهم من الكفر والنفاق، ولأن حبهم من حب النبي ﷺ، وبغضهم من بغض النبي ﷺ.

[٢٠٠] لما فرغ مما يجب للصحابة من المحبة والولاء، وترك بغضهم وبغض من يبغضهم، وعدم التدخل فيما جرى بينهم، شرع في ذكر الخلافة بعد النبي ﷺ، وهي على النحو الذي ذكره؛ لأن النبي ﷺ قدم أبا بكر للصلاة في آخر حياته، وفي هذا إشارة إلى خلافته، ولذلك قال الصحابة لما بايعوه: (رضيك رسول الله ﷺ

لأبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، تَفْضِيلاً لَهُ وتَقدِيماً عَلَى جَمِيعِ الأُمَّـةِ، ثُـمَّ لعُمَـرَ بـنِ الخَطَّـابِ رَضِـيَ الله عَنْـهُ، ثُـم لِعُثْمَـانَ

لديننا، ألا نرضاك لدنيانا؟) فبايعوه، ولِمَا لأبي بكر من السوابق العظيمة قبل الهجرة وبعدها، وهو أولى الناس بعد النبي ﷺ، ثم بعده عمر بن الخطاب بعهد من أبي بكر، ثم عثمان بإجماع الصحابة باختيار من أصحاب الشورى الذين عينهم عمر قبل وفاته من العشرة المبشرين بالجنة، وهم خيار الصحابة. وبعد مقتل عثمان وليها علي رضي الله عنه، هذا هو ترتيب الخلافة، فمن زعم أن الخلافة بعد النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه، فهو ضال ومخالف للنبي ﷺ ولإجماع المسلمين.

فالشيعة: يزعمون أنها لعلي، ويسمونه الوصي على الأمة، وإنّما قصدهم التهويش وإشعال الفتن بين الناس، فهم ليسوا بأحسن نظراً من الصحابة رضي الله عنهم. فالشيعة يقولون: الصحابة ظلمة، وكل وصف ذميم في القرآن المعني به الصحابة عندهم فيصفونهم بأنهم ظالمون وكافرون وضالون، وهذا مما جعل العلماء ينصون على ذكر الخلافة في كتب العقائد؛ لئلا يتأثّر أحد بهؤلاء الأرجاس. فترتيب الخلفاء الأربعة على هذا الترتيب هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ لأن الصحابة رتبوا هذا الترتيب

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ لِعَلِيِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهُمُ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ والأَئِمَّةُ المُهْتَدُون.

[٢٠١] وَأَنَّ العَشَرَةَ الَّذينَ سَمَّاهُم رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وَبشَّرَهُم بِالجَنَّةِ، عَلَى مَا شَهِدَ لَهُم رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم، وَقَوْلُهُ الحقُّ، وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، والزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُ الرَّحمنِ بنُ عَوْفٍ، وأَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ وَهُوَ أَمِينُ هَذِه الأُمّةِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أَجْمَعِين.

وأجمعوا عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (من خالف في أمر الخلافة فهو أضل من حمار أهله).

[٢٠١] فهؤلاء هم العشرة المشهود لهم بالجنة، وأبو عبيدة رضي الله عنه وصف بأنّه أمين هذه الأمة؛ لأنه لما عقد النبي ﷺ العهد مع أهل نجران، وفرض عليهم الجزية، طلبوا منه أن يبعث إليهم أميناً، فاختار أبا عبيدة وقال ﷺ: «**لأبعثن عليكم أميناً، حق أمين**» فاستشرف الصحابة لذلك فبعث أبا عبيدة[١].

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٧٤٥) ومسلم (رقم ٢٤٢٠).

[٢٠٢] وَمَنْ أَحْسَنَ القَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم، وأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاته المقدسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ؛ فَقَدْ بَرِيءَ مِنَ النِّفَاقِ.

---

[٢٠٢] بعد أن ذكر ما يجب للصحابة انتقل إلى ذكر أهل بيت النبي ﷺ، وأول أهل البيت هم أزواج النبي ﷺ؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، هذا خطاب لهن.

فأول من يدخل في أهل البيت: زوجاته، ثم قرابته عليه الصلاة والسلام، وهم آل العباس وآل أبي طالب، وآل الحارث بن عبدالمطلب.

فالرافضة: يقدحون في عائشة ويصفونها بما برأها الله منه، وهذا تكذيب لله عز وجل ووصف لله بأنه اختار لرسوله امرأة لا تصلح له، وهذا كفر بالله، قال تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ ﴾ [النور: ٢٦] فالنبي ﷺ طيب فلا يختار الله له إلا الطيبة.

وذرياته المقصود بهم أولاده عليه الصلاة والسلام، وأولاد ابنته فاطمة، وهم الحسن والحسين وأولادهما، هؤلاء هم ذريته ﷺ.

[٢٠٣] وعُلماءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقينَ، وَمَنْ بعْدَهُم مِنَ التَّابِعينَ ـ أَهْلُ الخَيْرِ والأَثَرِ، وَأَهْلُ الفِقْهِ والنَّظَرِ ـ لا يُذكُرونَ إلاَّ بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكرهُم بِسُوءٍ فَهُو عَلى غَيْرِ السَّبيلِ.

---

[٢٠٣] لما فرغ ـ رحمه الله ـ من حقوق الصحابة وأهل البيت، وما يجب لهم من المحبة والموالاة، وعدم التنقُّص لأحد منهم انتقل إلى الذين يلونهم في الفضيلة وهم العلماء، فعلماء هذه الأمة لهم منزلة وفضل بعد الصحابة؛ لأنهم ورثة الأنبياء؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**العلماء ورثة الأنبياء**»(١) والمراد بهم: علماء أهل السنة والجماعة، أهل العلم والنظر والفقه، وأهل الأثر، وهم أهل الحديث.

فالعلماء على قسمين:

القسم الأول: علماء الأثر، وهم المحدثون الذين اعتنوا بسنة النبي ﷺ وحفظوها وذبُّوا عنها، وقدموها للأمة صافية نقية، كما نطق بها رسول الله ﷺ، وأبعدوا عنها كل دخيل وكل كذب، فَنَحَّوْا الأحاديث الموضوعة وبينوها وحاصروها، فهؤلاء يسمون: علماء الرواية.

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعلم، وأبو داود (رقم ٤٦٣) وابن ماجه (رقم ٢٢٣) والترمذي (رقم ٢٦٨٧).

....

القسم الثاني: وهم الفقهاء، وهم الذين استنبطوا الأحكام، من هذه الأدلة، وبينوا فقهها، وشرحوها وبينوها للناس، فهؤلاء يسمون: علماء الدراية.

ومنهم من جمع بين العلمين، ويسمون: فقهاء المحدثين، كالإمام أحمد، ومالك، والشافعي، والبخاري.

وكل هؤلاء العلماء لهم فضل، والنبي ﷺ قال: «**نضّر الله أمرأً سمع مقالتي فوعاها فأدّاها كما سمعها**»[1] فالنبي ﷺ دعا لهم ومدحهم.

فالعلماء قاموا بما أوجب الله عليهم من حماية الدِّين والعقيدة، فبينوا الأحكام، والمواريث، والحلال والحرام، وبينوا أيضاً فقه الكتاب والسنة، فجعلوا للأمة ثروة عظيمة يستفاد منها ويقاس عليها ما يَجِدُّ من مشاكل.

والفقه على قسمين:

القسم الأول: الفقه الأكبر، وهو فقه العقيدة.

القسم الثاني: وهو فقه عملي، لا يقل عن الفقه الأكبر من

---

(١) أخرجه ابن ماجه (رقم ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٣٠٥٦).

[٢٠٤] وَلا نُفَضِّلُ أَحَداً مِنَ الأَوْلِيَاءِ عَلى أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ، ونقولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ.

حيث الأهمية، وهو فقه الأحكام العملية.

وفي فضل العلماء جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «**فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب**»[١] وذلك لأن نفعهم يتعدّى، وفي رواية: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**»[٢] فالعلماء لهم احترام ومنزلة.

فلا يجوز الطعن فيهم وتنقصهم حتى لو حصل من بعضهم خطأ في الاجتهاد، فهذا لا يقتضي تنقصهم؛ لأنهم قد يخطئون، ومع ذلك هم طالبون للحق، قال النبي ﷺ: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد**»[٣] وهذا في حق العلماء وليس المتعالمين؛ لأنه لا يحق لهم أن يدخلوا فيما لا يحسنون.

[٢٠٤] انتقل المصنف ـ رحمه الله ـ من العلماء إلى الأولياء.

والأولياء: جمع ولي، والولاية هي القرب والمحبة، فهم أهل القرب والمحبة من الله عز وجل، وسُمُّوا بالأولياء لقربهم من الله، ولأن الله يحبهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٢٦٨٧).

(٢) أخرجه الترمذي (رقم ٢٦٩٠).

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٧٣٥٢) ومسلم (رقم ١٧١٦).

....

﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقد بينهم الله في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، فالولي لابد أن يجتمع فيه صفتان:

الأولى: الإيمان.

والثانية: التقوى.

والناس في الولاية والبغض على أقسام ثلاثة:

القسم الأول: أولياء الله الخُلَّص من الملائكة والنبيين والصدِّيقين والشهداء وصالح المؤمنين.

القسم الثاني: أعداء لله عداوة خالصة، كالمشرك والكافر والمنافق النفاق الأكبر، فهؤلاء أعداء الله ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]، وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١].

....

القسم الثالث: من فيهم ولاية من وجه، وعداوة من وجه، وهو المسلم العاصي، ففيه ولاية بقدر ما معه من طاعة، وفيه عداوة بقدر ما معه من معصية، فكل مسلم ولي لله ولكن على حسب ما معه من إيمان.

فمن ادّعى الولاية أو ادعيت له الولاية وليس معه إيمان، وليس فيه تقوى، فإنما هو دجال وكذاب.

وقد يدعون الولاية وهم سحرة وكهنة ومشعوذون وعرافون، وقد كتب شيخ الإسلام كتاباً سمّاه (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) وبيّن فيه من يدّعي الولاية، ويُروج على الناس أشياءَ يُظَنُّ أنها كرامات، وهي خوارق شيطانية، وسيأتي بيانه.

فتجب محبة أولياء الله، والاقتداء بهم، وولايتهم، والقرب منهم.

وقوله: (ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام):

رد على الصوفية، فعندهم غلو في الأولياء. وأنهم عندهم أفضل من الأنبياء وأهل السنة والجماعة لا يغلون في الأولياء وينزلونهم منازلهم، أما الصوفية الضُّلَّال فيفضلونهم على الأنبياء، يقول قائلهم:

[٢٠٥] وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِم، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِم.

مقــام النبــوة فــي منــزل فُـويـقَ الـرسـول ودون الـولـي

وهذا كفر؛ لأن الأفضل الرسل ثم الأنبياء ثم الأولياء، وسبب تقديم الولي على النبي عند الصوفية ـ على زعمهم ـ أن الولي يأخذ عن الله مباشرة، والنبي يأخذ بواسطة.

وقوله: (ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء):

وهذا لا شك فيه، فجميع الأولياء من أول الخلق إلى آخرهم لا يعادلون نبياً واحداً، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

[٢٠٥] هذا بحث عظيم، وهو بحث الكرامات، فالكرامة هي الخارق للعادة، فإن كانت على يد نبي فهي معجزة، مثل معجزة القرآن، فالإنس والجن عجزوا عن أن يأتوا بمثله، وهي أعظم المعجزات، ومثل معجزة عصا موسى، والتسع الآيات، ومثل إحياء الموتى لعيسى ابن مريم؛ وإن جرت الخارقة على يد رجل صالح فهو كرامة من الله أجراها على يده، وليس من عنده، مثل ما حصل لأصحاب الكهف وما حصل لمريم ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ [آل عمران: ٣٧] فكان يأتيها رزقها وهي تتعبّد الله ولم تخرج من المحراب، وكذلك ما حصل من كرامات لهذه الأمة، وقد ذكر شيخ الإسلام طرفاً منها في كتابه: الفرقان.

أما إذا جرى الخارق على يد كاهن أو ساحر فهذا خارق

....

شيطاني، يجري على يده من أجل الابتلاء والامتحان، فقد يطير في الهواء ويمشي على الماء ويعمل أعمالاً خارقة للعادة وهي من أعمال الشياطين.

والضابط: أننا ننظر إلى عمله، فإن كان موافقاً للإسلام، فما يجري على يده كرامة، وإلا فهو من خدمة الشياطين له.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، فالجني استمتع بالإنسي بالخضوع له وطاعته، والإنسي استمتع بالجني لأنه يخدمه ويحضر له ما يريد، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٨، ١٢٩]، فهذه خوارق شيطانية، فالفارق بينها وبين الكرامة: الإيمان والعمل الصالح؛ وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، أما من عاداهم فقد حصل عنده بسبب فهم الخوارق خلط كثير، فالمعتزلة ومن نحا نحوهم من العقلانيين إلى يومنا هذا ينكرون الكرامات، حتى إن غلاتهم ينكرون بعض المعجزات، ويقولون: هذه لا يثبتها العقل؛ لأنهم يقدمون عقولهم.

الصنف الثاني: وهم القبوريون والصوفيون، غلوا في إثبات الكرامات حتى أثبتوها لأولياء الشيطان، فيثبتونها لمن لا يصلي ولا

....

يصوم إذا جرى على يده خارق للعادة، وهي خوارق شيطانية، ومنهم من يغلو في الولي الصالح ويتخذه إلهاً مع الله كما حدث للقبوريين، فلو قرأت كتاب الشعراني المسمى «طبقات الأولياء» لرأيت العجب العجاب والحكايات الباطلة، فالولي عندهم خرج عن التكاليف ولا يحتاج إلى العبادة.

فالإنسان مهما بلغ من الصلاح والعبادة فإنه لا يخرج عن العبودية، لا الملائكة، ولا الأولياء، ولا الأنبياء، حتى نبينا ﷺ يقول: «والله إنِّي لأرجو أن أكون أعلمكم بالله وأتقاكم»[(١)]، وهو سيد البشر وخير من مشى على الأرض، ويقول الله له: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: ٩٩] فما أحد بلغ ما بلغه النبي ﷺ وما خرج عن عبادة الله، حتى المسيح ﷺ يقول الله عز وجل فيه: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ۝١٧٢ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ۝١٧٣﴾ [النساء: ١٧٢، ١٧٣]. فهذا بحث

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٠٦٣) ومسلم (رقم ١١١٠) كلاهما بلفظ قريب.

[٢٠٦] وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ: مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّالِ.

عظيم يجب معرفته، وبخاصة في أوقات الجهل والخرافة.

[٢٠٦] الأشراط: جمع شرط، وهو العلامة، ومنه سمي الشرطي: شرطياً؛ لوجود العلامة عليه.

وأشراط الساعة: علاماتها الدالة على قرب وقوعها، قال سبحانه: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد: ١٨]فقوله: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ ﴾ أي: ينتظرون، وقوله: ﴿ بَغْتَةً ﴾ أي: لا يعلم وقتها إلا الله، قال سبحانه: ﴿ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال جبريل للنبي ﷺ: «**أخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل؟ قال: أخبرني عن أماراتها، قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**»(١).

وقد ذكر العلماء أن أشراط الساعة على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: العلامات الصغرى، وهذه حصلت وانقضت.

القسم الثاني: العلامات الوسطى، هذه ما تزال تحدث مثل ما حدث في زماننا من تقدم الصناعات والاتصالات، واستخراج الكنوز من الأرض، وتقارب البلدان، حتى كأن العالم قرية واحدة،

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٠) مسلم (رقم ٩، ١٠).

....

واجتماع اليهود في فلسطين انتظاراً للدجال، وتوطئة للملاحم التي ستقوم هناك.

القسم الثالث: العلامات الكبرى، من خروج الدجال، ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، ثم طلوع الشمس من مغربها، فهذه إذا حصل أحدها تتابعت البقية.

وقوله: (من خروج الدجال):

هو أول العلامات الكبرى، وهو من اليهود، ويدّعي الربوبية، ومعه خوارق شيطانية، تفتن الناس، يأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتخرج ما فيها من الكنوز والنبات.

والدجّال هو أشد الفتن؛ لأن الذين يفتنون به كثير؛ لشدة ما معه من الفتن، ومعه جنة ونار، ويأتي على جميع الأرض إلا مكة والمدينة، وهذه الفتنة تميز المؤمن من الكافر، وسُمِّي دجالاً من الدجل، وهو الكذب؛ لكثرة كذبه، وسمي المسيح؛ لأنه يسير في الأرض ويمسحها بسرعة؛ لما هيأ الله له من وسائل المواصلات السريعة، التي هي أسرع من الريح، وقيل: سمي بذلك لأن عينه ممسوحة، فهو أعور، ويسمى: مسيح الضلالة. فيخرج الدجال فيتبعه اليهود، فيقودهم، ويحصل بسببه على المسلمين فتنة

....

عظيمة، وما من نبي إلا حذر أمته منه، وأشدهم تحذيراً منه نبينا ﷺ؛ لأنه آخر الأنبياء، وأمته آخر الأمم، وأقربها للدجال، وأمرنا النبي ﷺ بعد التشهد الأخير من الصلاة: «**أن نتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال**»[1] فهو فتنة عظيمة وشر كبير، فينزل عيسى عليه الصلاة والسلام من السماء فيقتله بباب «لد» فيريح الله منه المسلمين، ثم يحكم عيسى بحكم الإسلام، فهو تابع للنبي ﷺ؛ لأنه ليس بعد نبينا نبي، وليس بعد شريعة الإسلام شريعة.

ثم يخرج في وقته يأجوج ومأجوج، وهم أيضاً فتنة عظيمة، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٦]، وهم أمة من الأمم من بني آدم، كانوا في زمان الإسكندر ذي القرنين، وبنى دونهم السد، قال الله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الكهف: ٩٧] فلا يستطيعون الصعود فوق الحائط، ولا يستطيعون نقبه؛ لقوته؛ لأنه من الحديد والبأس الشديد، ولكن إذا جاء وعد الله جعله دكاً،

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٣٦١٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

[٢٠٧] ونُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ السّماءِ.
[٢٠٨] وَنُؤمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا.

فيخرجون ويفتكون بالعالم، وليس لأحد طاقة في قتالهم، ثم يهلكهم الله في ساعة واحدة.

[٢٠٧] ويسمى بالمسيح؛ لأنه كان يمسح على ذي العاهة فيشفيه الله، ويسمى: مسيح الهداية، ونزوله من السماء إلى الأرض في آخر الزمان متواتر، ومن أنكر ذلك فهو كافر، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١] وفي قراءة: (وإنه لَعَلَم للساعة) - بفتح العين واللام - أي: علامة على قرب الساعة، قال الله سبحانه: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] وهذا في آخر الزمان؛ لأنه حي في السماء ولا يموت إلا بعد إنهاء المهمة الموكلة إليه، فيموت فيدفن في الأرض بعد أن يقتل الدجال والخنزير ويضع الجزية ويحكم بالإسلام.

[٢٠٨] الشمس مسخرة تجري بأمر الله، فتخرج من المشرق، وتغرب من المغرب، ثم إذا كان آخر الزمان وحان قيام الساعة أمرها الله سبحانه بالطلوع من المغرب، فتكون علامة للقيامة، وإذا طلعت من مغربها فلا يقبل الله توبة التائب، قال سبحانه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨] فالكافر

[٢٠٩] وَخُرُوجِ دَابَّةِ الأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا.
[٢١٠] وَلاَ نُصَدِّقُ كَاهِناً وَلا عَرَّافاً.

يسلم، ولكن لا يقبل الله إسلامه، والعاصي يتوب، ولكن لا تقبل توبته.

[٢٠٩] قال سبحانه: ﴿ ۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [النمل: ٨٢] تخرج هذه الدابة فتسم المؤمن والكافر، أي: تضع عليه علامة يتعارف الناس بها، فيتخاطبون، وهذا يقول: يا مسلم، وهذا يقول: يا كافر، ومعنى قول الله: ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ بكلام خارق للعادة. وليس عندنا خبر ثابت عن موضع خروجها، لكن نؤمن بخروجها من موضعها الذي يعلمه عالم الغيب والشهادة، قال سبحانه: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢].

[٢١٠] سبق أن ذكر المؤلف الكرامات وضابطها، وأن الكرامات حق ثابت، ولا يجوز الاعتماد عليها، ولا يظن بأن للأولياء مرتبة يُدْعَون فيها مع الله عز وجل، كما يقوله القبوريون والخرافيون، فيتعلقون بالأولياء والصالحين من أهل هذه الخوارق.

أما قوله رحمه الله: (لا نصدق كاهناً ولا عرافاً) ففيه بيان الفرق بين الكرامة والكهانة والعرافة والسحر والشعوذة والتنجيم، فهذه ـ أي التي مع الكهان والعرافين ـ خوارق شيطانية وأعمال

. . . .

حذقوها وتعلموها بسبب تقربهم من الشياطين فيظن الناس والجهال أن هذه كرامات وأنها بسبب ولايتهم لله، وهذا غلط، إنما هي من فعل الشياطين؛ لخضوعهم لهم وموافقتهم على الشرك، فالسحرة ما توصلوا إلى السحر إلا لخضوعهم للشياطين، فالسحر من عمل الشيطان وهو كفر بالله، فلا يغتر بهم، فهم يقولون: هذه كرامة أو أعمال رياضية أو أعمال بهلوانية، ويحضرون في المحافل والنوادي، ويتركون يعملون السحر أمام الناس، ويقولون: هذه أمور رياضية، ليضلوا الناس وليأكلوا بسحرهم الأموال، فيجب التنبيه على هؤلاء وبغضهم وعداوتهم؛ لأنهم أعداء الله ولرسوله.

والسحر على قسمين:

القسم الأول: سحر حقيقي: وهو ما يؤثر في بدن المسحور فيمرضه أو يؤثر على عقله أو يقتله، فهذا عمل شيطاني.

القسم الثاني: سحر تخييلي، قال الله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه: ٦٦] وهو ما يسمى: القمرة، فيعملون شيئاً على أعين الناس، وهو ليس له حقيقة، فيظهر منه أن يضرب نفسه بالسيف، وأنه يأكل المسامير أو النار أو الزجاج، أو يدخل في النار، أو أن السيارة تمشي عليه، أو ينام على مسامير، أو يجر السيارة

....

بشعره، أو يأتي بأوراق عادية، ويروج على الناس أنها نقود، وإذا ذهب سحره عادت الأوراق إلى أصلها، كما يحصل من النشالين.
ومن أعمال السحرة أيضاً: أن يأتي أحدهم بِجَعْلٍ، وهي الحشرة المعروفة، ويُظهر بسحره أمام الناس أنها خروف، وكذلك فهم يروجون على الناس أنهم يمشون على خيط دقيق، وهو ما يسمى بالسرك، أو ما يسمى بالبهلوان.

فهذا كله كذب وتدجيل على الناس، وسحر لأعين الناس، وهو سحر تخييلي، إذا ذهب هذا السحر عادت الأمور كما هي، فيجب علينا أن لا نغتر بهم ولا نصدقهم ولا نمكنهم من أولادنا ولا بلادنا من أجل ترويج سحرهم.

وأما الكاهن: فهو الذي يدعي علم الغيب وقد أخبرنا النبي ﷺ أن الشياطين يسترقون السمع فيسرقون الكلمة، فيخبرون بها الكاهن فيكذب معها مائة كذبة فيصدقه الناس في كل ما قال بسبب تلك الكلمة، قال سبحانه: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١- ٢٢٣] وكانت الكهانة في الجاهلية كثيرة، فكان في كل قبيلة كاهن يتحاكمون إليه ويسألونه عن الأمور الغائبة، ولما جاء الإسلام أبطل الكهانة ومنع النبي ﷺ من الذهاب إلى الكهان، قال عليه الصلاة

....

والسلام: «**من أتى كاهناً لم تقبل منه صلاة أربعين يوماً**»[١] وهذا الحديث في صحيح مسلم.

وجاء في السنن «**من أتى كاهناً أو عرافاً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»[٢]، ولما سُئِلَ عن الكهان قال: «**ليسوا بشيء**»، وقال النبي ﷺ: «**لا تأتوهم**».

فالكاهن: هو الذي يدّعي علم الغيب، بسبب تعامله مع الشيطان.

وأما العراف: فهو الذي يدّعي علم الغيب، لكن ليس بواسطة الشياطين، وإنما بالحدس والتخمين، فيقول: يمكن أن يقع كذا وكذا، بناء على تنبؤات كاذبة.

وقال بعض أهل العلم: إن العراف هو الكاهن، كل منهما يخبر عن الأمور الغائبة لكن باختلاف الوسيلة، فيجب على المسلم أن يكفر بالكهانة والعرافة، ولا يصدق أهلها، فهم ليسوا من أولياء الله، إنما هم من أولياء الشيطان، ومن أراد التوسع في هذا فليراجع كتاب «الفرقان» لشيخ الإسلام.

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٢٣٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٩) والحاكم ١/ ٨ وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما جميعاً.

....

وأما التنجيم فالمنجم: هو الذي يخبر عن الأمور المستقبلة بواسطة النظر في النجوم، إذا طلع النجم الفلاني يحصل كذا، وإذا غرب النجم الفلاني يحصل كذا، والبرج الفلاني فيه نحس أو فيه سعادة، وهكذا يستندون إلى هذه الأعمال الكاذبة.

فالتنجيم: (هو نسبة الحوادث الأرضية إلى الأحوال الفلكية) كما عرفه شيخ الإسلام. والتنجيم من أمور الجاهلية، قال عليه الصلاة والسلام: «**أربع في أمتي من أمور الجاهلية لا يتركونهن: الطعن في الأنساب، والفخر بالأحساب، والنياحة على الميت، والاستسقاء بالنجوم**»[1]، أي: طلب السقاية من النجوم، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝٨١ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٨٢]، أي: تنسبون ما يحصل لكم من الرزق للنجوم والحوادث الفلكية، فهذا من اعتقاد الجاهلية، فالنجوم إنما هي خلق من خلق الله مسخرة، وخلقها الله لثلاث حكم:

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٩٣٤).

[٢١١] وَلاَ مَنْ يَدَّعِي شَيْئاً يُخَالِفُ الكِتَابَ والسُّنَّةَ وإِجْمَاعَ الأُمَّةِ.
[٢١٢] وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَاباً، والفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا.

الأولى: أنها زينة للسماء الدنيا.

الثانية: أنها رجوم للشياطين.

الثالثة: أنها علامات يهتدى بهافي ظلمات البر والبحر، فمن اعتقد أنها لغير ذلك فهو قد أضاع نصيبه.

وإذا تدبرت القرآن وجدت أن الله ذكر للنجوم ثلاث فوائد، أما ما يحدث في الأرض من حوادث فليس للنجوم فيها تأثير، وإنما المنجمون يُدَلسون ويكذبون على الناس، ويقولون: إن هذه الحوادث بسبب النجوم، قال سبحانه: ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [النحل: ١٢]، فهذه الأمور تخل بالعقيدة، ويبطل إيمانه إذا صدق أن النجوم هي التي فعلت هذا الشيء بالكون.

[٢١١] أي: لا نصدق أحداً يخالف الكتاب أو السنة أو الإجماع؛ لأنها الأدلة التي يعتمد عليها، فما خالفها فهو باطل، سواء من الأقوال أو الأعمال أو الاعتقادات.

[٢١٢] نرى ـ معشر أهل السنة والجماعة ـ أن الاجتماع حق والفرقة عذاب، فالاجتماع للأمة على الحق رحمة، والفرقة بينها عذاب، وهذا من صميم عقيدة أهل السنة والجماعة، فيجب الاجتماع ونبذ الفرقة، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فحبل الله القرآن والإسلام، وقوله:

....

﴿ جَمِيعًا ﴾ أي: اجتمعوا على القرآن والسنة، وقوله: ﴿ وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ لما أمر الله بالاجتماع نهى عن الفرقة، وأخبر أن الاجتماع يكون على حبل الله، وهو القرآن، ولا يجوز الاجتماع على غيره من المذاهب والحزبيات، فهذا يُسبِّب الفرقة.

فالاجتماع لا يحصل إلا على كتاب الله، قال سبحانه: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فأمر الله سبحانه بالاجتماع ونبذ الفرقة في الآراء وفي القلوب، فالمسلمون مهما تفرقوا وبعدت أقطارهم فإنّهم مجتمعون على الحق، وقلوبهم مجتمعة، ويحب بعضهم بعضاً، أما أهل الباطل وإن كانوا في مكان واحد، أحدهم إلى جنب الآخر، فهم مجتمعة أبدانهم متفرقة قلوبهم، قال سبحانه: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم: ٣١ ـ ٣٢]، وقال سبحانه: ﴿ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣].

فالواجب على المسلمين أن يكونوا أمة واحدة في عقيدتها وفي عبادتها وفي جماعتها وطاعتها لولي أمرها، فتكون يداً واحدة،

....

وجسماً واحداً، وبنياناً واحداً، كما شبهها النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا رحمة للمسلمين، تُحقن دماؤهم، وتتآلف قلوبهم، ويأمن مجتمعهم، فإذا حصل هذا درت عليهم الأرزاق. أما إذا تناحروا وتقاطعوا وتباغضوا تسلط عليهم الأعداء، وسفك بعضهم دماء بعض.

والاختلاف على قسمين:

القسم الأول: اختلاف في العقيدة، وهذا لا يجوز أبداً؛ لأنه يوجب التناحر والعداوة والبغضاء ويفرق الكلمة، فيجب أن يكون المسلمون على عقيدة واحدة، وهي عقيدة لا إله إلا الله، واعتقاد ذلك قولاً وعملاً واعتقاداً، والعقيدة توقيفية ليست محلاً للاجتهاد، فإذا كانت كذلك فليس فيها مجال للتفرق، فالعقيدة مأخوذة من الكتاب والسنة، لا من الآراء والاجتهادات، فالفرقة في العقيدة تؤدِّي إلى التناحر والتباغض والتقاطع، كما حصل من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والفرق الضالة التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: «**ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**»[1] فما يجمع الناس إلا ما كان مثل ما عليه النبي ﷺ

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٤٥٩٦) وابن ماجه (رقم ٣٩٩١) وأحمد ٢/ ٣٣٢ والحاكم=

....

وأصحابه.

القسم الثاني: اختلاف في الاجتهاد الفقهي، وهذا لا يوجب عداوة؛ لأن سببه هو النظر في الأدلة حسب مدارك الناس، والناس يختلفون في ذلك، وليسوا على حدٍّ سواء، فهم يختلفون في قوة الاستنباط وفي كثرة العلم وقلته.

فهذا الخلاف إذا لم يصحبه تعصب للرأي فإنه لا يفضي إلى العداوة، وكان الصحابة يختلفون في المسائل الفقهية، ولا يحدث بينهم عداوة، وهم إخوة، وكذلك السلف الصالح والأئمة الأربعة يختلفون، ولم يحصل بينهم عداوة، وهم إخوة، وكذلك أتباعهم، فإذا تعصب أحدهم للرأي فإن ذلك يوجب العداوة، ويجب على المسلم أن يأخذ الأقوال التي توافق الدليل من الكتاب أو السنة، قال سبحانه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ١٠] فيرجع في الخلاف إلى الكتاب والسنة ويؤخذ ما ترجح بالدليل.

= ١/ ١٢٨ وصححه.

[٢١٣] وَدِينُ اللهِ في الأَرضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ، وهُو دينُ الإِسْلَامِ.

---

[٢١٣] والإسلام عبادة الله وحده لا شريك له، فهذا تدين به الملائكة في السماء والإنس والجن في الأرض، وهو دين الإسلام، ومعناه بمفهومه العام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، كما عرفه شيخ الإسلام ونقله عنه الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الثلاثة الأصول، فالإسلام دين جميع الأنبياء وأتباعهم، فكل نبي دعا قومه إلى ذلك، وكل من اتبعه على ذلك فيعتبر مسلماً، سواء من أول الخلق أو آخرهم، فهو مستسلم لله بالتوحيد ومنقاد إلى الله بالطاعة، فدين الأنبياء واحد، وشرائعهم شتى ومختلفة بسبب حاجة البشر في كل زمان ومكان، ففي الحديث: «**الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد**»[1] وقال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، فالله يشرع لكل نبي ما يناسب قومه ويناسب مصالحهم، ثم ينسخ الله لأمة أخرى بحسب مصالحها، فمن كان على دين نبي قبل أن ينسخ فهو مسلم، فعبادة الله بما شرعه لذلك النبي، ولكن بعد البعثة المحمدية صار الدِّين واحداً ونسخ الله ما قبله، وصار الدين المعتبر دينه عليه الصلاة والسلام، فلا يجوز لأحد أن يبقى على دين

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٤٤٣) ومسلم (رقم ٢٣٦٥).

[٢١٤] قال اللهُ تَعالَى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾.

[٢١٥] وَهُو بَيْنَ الغُلُوِّ والتَّقْصِيرِ.

من الأديان السابقة؛ لأن رسالته ودينه عليه الصلاة والسلام عام لكل الخلق، وشامل لكل زمان ولكل جيل.

[٢١٤] فهو الدين الذي رضيه لعباده من بعثة محمد ﷺ إلى أن تقوم الساعة.

[٢١٥] فالإسلام وسط بين الغلو، وهو: الزيادة والتشديد، وبين التقصير، وهو: الجفاء، فدين الإسلام وسط لا تشديد فيه ولا تحلل منه، فكلا الطرفين مذموم، والوسط خير، ولهذا قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٧٧] وقال عليه الصلاة والسلام: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثاً[١]، والمتنطعون هم المتشددون في أمور الدين، ولما قال نفر على عهد النبي ﷺ... قال أحدهم: أنا أصوم ولا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأصلي ولا أنام، وقال الثالث: أما أنا فلا آكل اللحم، وقال الرابع: أما أنا فاعتزل النساء، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أما إني أتقاكم لله وأخشاكم لله، وإنِّي أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس**

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٦٧٠).

[٢١٦] وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ والتَّعْطِيلِ.

مني»[١]؛ لأن هذا تشديد ما أمر الله به، قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٨٧] يعني: من باب التدين، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ ﴾ [المائدة: ٨٧] فالآية شملت الطرفين، فالدين وسط.

[٢١٦] أي: في العقيدة، بين التعطيل والتشبيه، بين تعطيل أسماء الله وصفاته، وبين تشبيه المخلوق بالخالق، والعقيدة وسط، فالمعطلة غلوا في التنزيه، فنفوا الأسماء والصفات، والمشبهة غلوا في الإثبات حتى شبهوا الله بخلقه، والعقيدة وسط، قال سبحانه: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ [الشورى: ١١] هذا رد على المشبهة، ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾ [الشورى: ١١] هذا فيه رد على المعطلة، ـ ونحن معشر أهل السنة والجماعة ـ نثبت ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله، من الأسماء والصفات، ولا نعطلها ولانفيها، ولا نشبه الله بأحد من خلقه، بل: نقول أسماء الله وصفاته تليق به سبحانه وإن كانت هذه الأسماء والصفات موجودة في البشر، لكن الكيفية مختلفة، والصفة تابعة للموصوف.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٠٦٣) ومسلم (رقم ١٤٠١).

[٢١٧] وَبَيْنَ الْجَبْرِ والقَدَرِ.

---

[٢١٧] مذهب أهل السنة والجماعة وسط بين الجبرية والقدرية، فالجبرية يغلون في إثبات القدر حتى يسلبوا العبد عن الاختيار، فيقولون: العبد ليس له اختيار، أفعاله كلها مجبور عليها، فهو آلة يحركه القدر، فصلاته وصيامه وأعماله ليس له فيها اختيار، فهو يحرك كما تحرك الآلة، وهذا مذهب باطل. والقدرية غلوا في إثبات اختيار العبد فنفوا القدر، حتى جعلوا العبد يستقل بأفعاله ويخرجونها من إرادة الله ومشيئته، وأن العبد له إرادة مستقلة، فقالوا: هو الذي يخلق فعل نفسه، وليس لله فيها تصرف، وهذا مذهب المعتزلة.

أما أهل السنة والجماعة فتوسطوا في هذه المسألة، وقالوا: إن العبد له اختيار ومشيئة، يفعل باختياره، ولكنه لا يخرج عن قضاء الله وقدره، فأفعاله خلق الله، وهي فعله وكسبه، فهو الذي يفعل المعاصي ويفعل الطاعات، ولكن الله هو المقدر، فلذلك يعاقب على جرائمه، ويثاب على طاعته، ولوكان يفعل هذا بغير اختياره ما حصل على الثواب ولا العقاب، فالمجنون والصغير لا يؤاخذان، وكذلك المكره الذي ليس له اختيار لا يؤاخذ.

[٢١٨] وَبَيْنَ الأَمْنِ والإِياسِ.

---

[٢١٨] كذلك، هذا من عقيدة أهل السنة والجماعة، وهو الوسط بين الأمن من مكر الله والإياس من رحمته، فهم يرجون رحمة الله، ولا يأمنون من مكر الله، ولا من العذاب والفتنة، لكن لا يقنطون من رحمة الله، فيجمعون بين الخوف والرجاء، وهو ما كان عليه الأنبياء، قال سبحانه: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فهؤلاء هم الأنبياء، فخوفهم من الله لم يحملهم على القنوط من رحمة الله، قال سبحانه: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الحجر: ٥٦]، وأيضاً: رجاؤهم من الله لم يحملهم على الأمن من مكر الله، قال سبحانه: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٩].

فإبراهيم أبو الأنبياء يقول: ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] فإبراهيم ما أمن على نفسه، ولكنه خاف الفتنة؛ لأنه بشر.

فلا يأمن الإنسان على نفسه ويقول: أنا رجل صالح، بل يخاف على نفسه، مع عدم القنوط من رحمة الله، قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ

[٢١٩] فَهَذا دِينُنَا واعْتِقَادُنَا ظَاهِراً وَبَاطِناً. ونَحْنُ بَرَاءٌ إلى الله مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ.

﴿جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٣، ٥٤].

فالواجب على الإنسان: أن يفعل أسباب الرحمة، وهي التوبة وإسلام الوجه لله سبحانه، عند ذلك يحصل على رحمة الله، فرحمة الله قريب من المحسنين، والإحسان سبب الرحمة، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهو بين مذهب المرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، فإذا كان الإنسان مؤمناً بقلبه فلا تضره المعصية، فهؤلاء أمنوا مكر الله، ويقولون: الأعمال لا تدخل في حقيقة الإيمان، فيدخل الجنة وإن لم يعمل شيئاً عندهم، وهذا مذهب أفسد الدنيا، تحلل الناس من الدين بسببه، وقالوا: ما دام أننا ندخل الجنة، فلا حاجة إلى الأعمال، فيفعلون مايشاءون.

وبين الوعيدية الخوارج الذين يُكَفِّرون بالكبائر التي دون الشرك، ويرون إنفاذ الوعيد الذي ذكره الله على من عصاه، فإن الله توعد العصاة، لكن قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] فهم تحت المشيئة، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهو الوسط.

والقول الحق مع أهل السنة والجماعة الذين توسطوا بين الأمن والرجاء، والخوف والقنوط، ولهذا يقولون: الخوف والرجاء بالنسبة للإنسان كجناحي الطائرة، ولابد من سلامة الجناحين، فكذلك الخوف والرجاء لو اختل أحدهما سقط، فلابد من التعادل كما يتعادل جناحا الطائر.

[٢١٩] أي: ما ذكرناه في هذه العقيدة من أولها إلى آخرها،

[٢٢٠] وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالى أَنْ يُثَبِّتَنا عَلى الإِيمانِ، ويَخْتِمَ لَنا بِهِ.

[٢٢١] ويَعْصِمَنَا مِنَ الأَهْوَاءِ المخْتَلِفَةِ، والآرَاءِ المتَفَرِّقَةِ.

فهو ديننا معشر المسلمين، ونحن براء من كل من خالفه؛ لأنها عقيدة حق، وما خالفها فهو باطل.

[٢٢٠] هذا تأدب مع الله، لما بين عقيدة أهل السنة والجماعة، سأل الله أن يثبته عليها، فلا يكفي أن الإنسان يعرف العقيدة، فالعالم يَزَلُّ ويخطئ، فلا يغتر الإنسان بعلمه، ولا يأمن الفتن، فهل علمه يعادل علم إبراهيم عليه الصلاة والسلام؟ وقد دعا اللهَ فقال: ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [النساء: ٣٥، ٣٦].

فالإنسان يسأل الله السلامة والعافية، فكم من عالم زل وانحرف عن الدِّين، وكم وكم.. فالأعمال بالخواتيم.

[٢٢١] ما أضل الناس إلا الأهواء، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال سبحانه: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الجاثية: ٢٣] فالإنسان يسأل الله السلامة من الهوى، وأن يهديه الحق، وإن خالف هواه، وقال الله عز وجل في اليهود: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [البقرة: ٨٧]، فالهوى خطير جداً.

[٢٢٢] والمذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ.
[٢٢٣] مِثْلَ المشَبِّهَةِ.
[٢٢٤] والمعْتَزِلَةِ،

---

[٢٢٢] وهي الفرق التي أخبر عنها عليه الصلاة والسلام بقوله: **«ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار. . . »**[1] الحديث؛ لأنها خارجة عن الحق، إلا من سار على مثل ما سار عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه، فإنهم ناجون من النار، ولذلك سموا بالفرقة الناجية.

والمذاهب بمعنى الآراء.

[٢٢٣] هم الذين شبهوا صفات الله بصفات المخلوقين.

[٢٢٤] هم الذين عطَّلوا صفات الله ونَفَوْها، بحجة أنهم ينزهون الله، فَغَلَوْا في التنزيه، وهم أتباع واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وكانا من تلاميذ الحسن البصري، وكانوا يحضرون في حلقته، فسئل الحسن البصري عن صاحب الكبيرة، فأجاب بما

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٤٥٩٦) وابن ماجه (رقم ٣٩٩١). وأحمد ٢/ ٣٣٢ والحاكم ١/ ١٢٨. وصححه.

[٢٢٥] والجَهْمِيّة والجَبْرِيّةِ.

يوافق الكتاب والسنة، وقال: هو تحت المشيئة، ولا يكفر بالكبيرة، وهو ناقص الإيمان، فعند ذلك أنكر عليه واصل وقال له: هو في منزلة بين المنزلتين، ليس بكافر ولا مسلم. فاخترع هذا المذهب الباطل، واعتزل مجلس الحسن، واجتمع حوله الناس الذين هم من جنسه، فكَوّنوا جماعةً سُمُّوا بالمعتزلة.

[٢٢٥] وهم أتباع الجهم بن صفوان[(١)] الترمذي، تبنّى مذهب شيخه الجعد بن درهم[(٢)]، وهذا أخذه عن طالوت اليهودي، الذي أخذه عن لبيد بن الأعصم الذي سحر النبي ﷺ، وهذا المذهب هو القول بخلق القرآن، ومن أقوالهم: الجبر؛ أن الإنسان مجبور على أعماله وغيرها، ولذلك نُسبوا إلى الجهم، وسموا بالجهمية، فالجهم أخذه من الجعد الذي كان في أواخر دولة بني أمية، وقتله

---

(١) أبو محرز الراسبي أُس الضلالة ورأس الجهمية، كان صاحب ذكاء وجدال، وكان ينكر الصفات وينزه الباري عنها بزعمه، ويقول بخلق القرآن وأن الله في الأمكنة كلها. وكان يقول: الإيمان عقد بالقلب وإن تلفظ بالكفر. انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦-٢٧).

(٢) هو مؤدب مروان الحمار، وهو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً ولا كلم موسى. قال المدائني: كان زنديقاً. وقد قال له وهب: إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله أن له يداً وأن له عيناً ما قلنا ذلك. ثم لم يلبث أن صلب. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣٣).

[٢٢٦] والقَدَرِيَّةِ.

[٢٢٧] وَغَيْرِهم، مِنَ الّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ والجَمَاعَةَ، وَحَالفُوا الضَّلالَةَ.

خالد بن عبدالله القسري، كان خالد يخطب في عيد الأضحى، فقال: ضحوا أيها الناس، تقبل الله ضحاياكم، فإني مُضَحٍّ بالجعد بن درهم، فإنّه يزعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً. فنزل من على المنبر فذبحه؛ لأنه زنديق، فقتله واجب، وشكر ذلك أهل السنة والجماعة، ولذلك قال ابن القيم في النونية:

ولأجلِ ذا ضَحَّى بجعدٍ خالدُ الـ   قسري يومَ ذبائحِ القربانِ
لقد شَكَرَ الضحيةَ كُلُّ صاحبِ سُنَّةٍ   لله دَرُّكَ مِنْ أخي قربان

فخلفه الجهم، فنُسب المذهب إليه؛ لأنه هو الذي أظهره، فجمع بين الجبر والتجهم.

ولهذا يقول الشاعر:

عجبت لشيطان دعا الناس جهرة   إلى النار واشتق اسمه من جهنم

[٢٢٦] مثل نفاه القدر، وهم المعتزلة، يقولون: أفعالُ العباد خَلْقُهم، وليست داخلةً في خلق الله ولا إرادته، ولذلك سُمُّوا بمجوس هذه الأمة؛ لأن المجوس أثبتوا خَالِقَيْن: خالق للخير، وخالق للشر، أما القدرية[١] فأثبتوا خَالِقِينَ متعددين مع الله.

[٢٢٧] من الذين خالفوا الكتاب والسنة من سائر الفرق الضالة.

---

(١) حديث «القدرية مجوس هذه الأمة» تقدم تخريجه ص٢١٠.

[٢٢٨] ونَحْنُ مِنْهُم بَرَاءٌ، وَهُمْ عِنْدَنا ضُلَّالٌ وأَرْدِيَاءُ. وبِاللهِ العِصْمَةُ والتَّوْفِيقُ.

---

[٢٢٨] فنحن نبرأ منهم، ونعاديهم في الله، ونبغضهم؛ لأنهم أهل ضلال وباطل، فالواجب هجرهم وبغضهم، والرد عليهم وعلى باطلهم.

فنحن نتبرأ ممن يقول: إن كل الفرق تحت اسم الإسلام، ويجب أن نتغاضى عن هذه الأمور، أخذاً بحرية الكلمة وحرية الرأي، فالفرق كلها تدخل تحت الإسلام. وهذا مذهب باطل وخطير على الأمة، وحرية الكلمة والرأي مقيدة بالكتاب والسنة وماعليه سلف الأمة. والفرق المخالفة كلها في النار إلا الفرقة التي على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه.

والإنسان عُرضة للخطأ، والعصمة والتوفيق والحول والقوة بيد الله، فالإنسان لا يضمن لنفسه النجاة، إنما يرجو الله ويخافه.

وبهذا انتهت هذه النبذة المباركة، المشتملة على جُمَل عظيمة من اعتقاد أهل السنة والجماعة، فنسأل الله أن ينفعنا بها، وأن يجزل لمؤلفها جزيل الثواب على ما بَيَّن، وعلى ما وَضَّح وعلى ما كتب، وعلى مانصح للأُمة، فجزاه الله خيراً وسائر أئمة المسلمين.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينامحمد وآله وصحبه أجمعين.

الفهـــارس

* فهــرس الآيـــات
* فهـــرس الأحاديـــث
* فهـــرس الموضوعات

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة